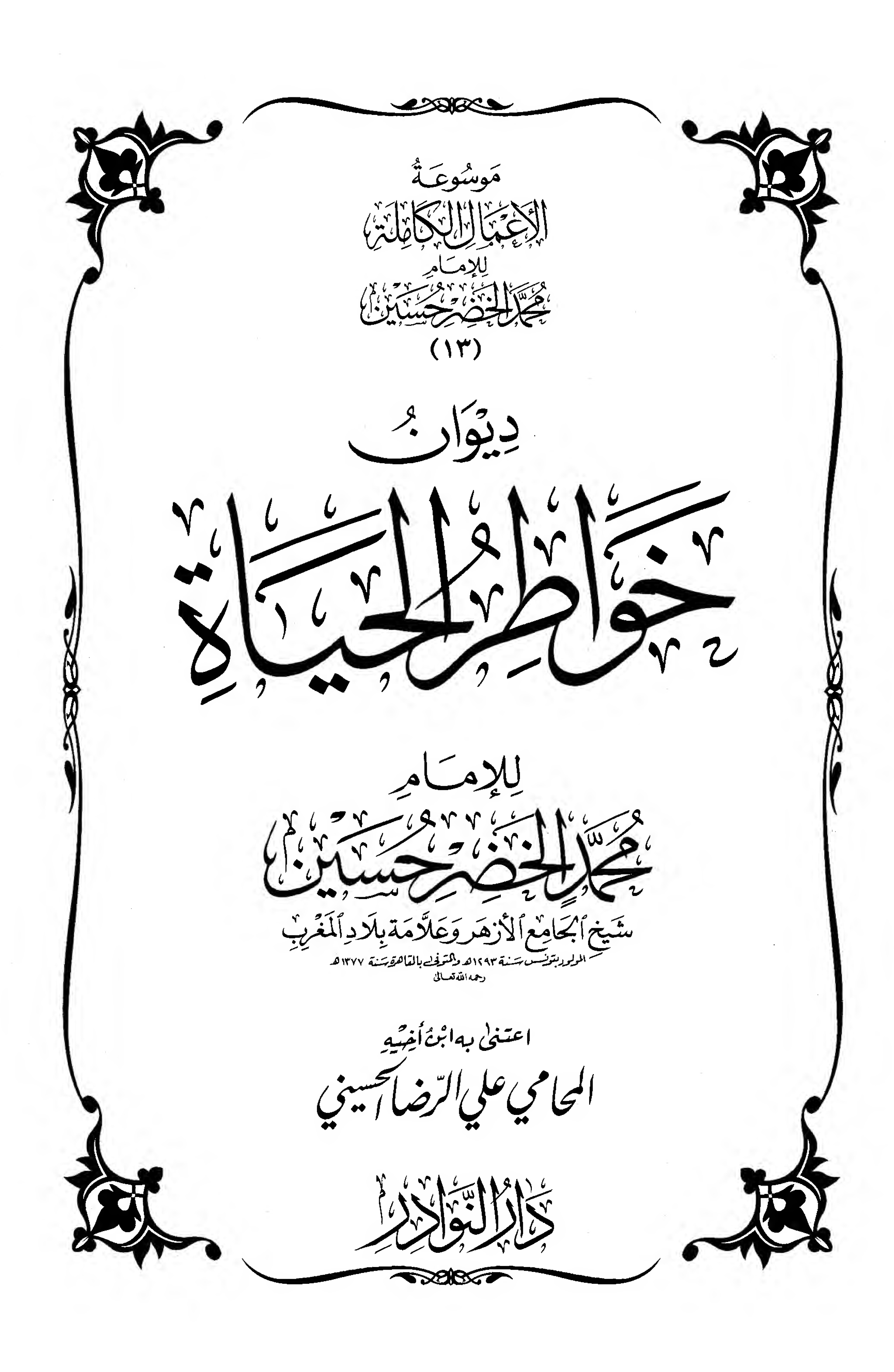


موسوعة

الأعمال الكاملة

للإمام

محمد الخضر حسين

(١٣)

ديوان

خواطر الحياة

للإمام

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر وعلامة بلاد المغرب

المولود بتونس سنة ١٢٩٣ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به ابن أخيه

المحامي علي الرضا الحسيني

دار النوادر



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

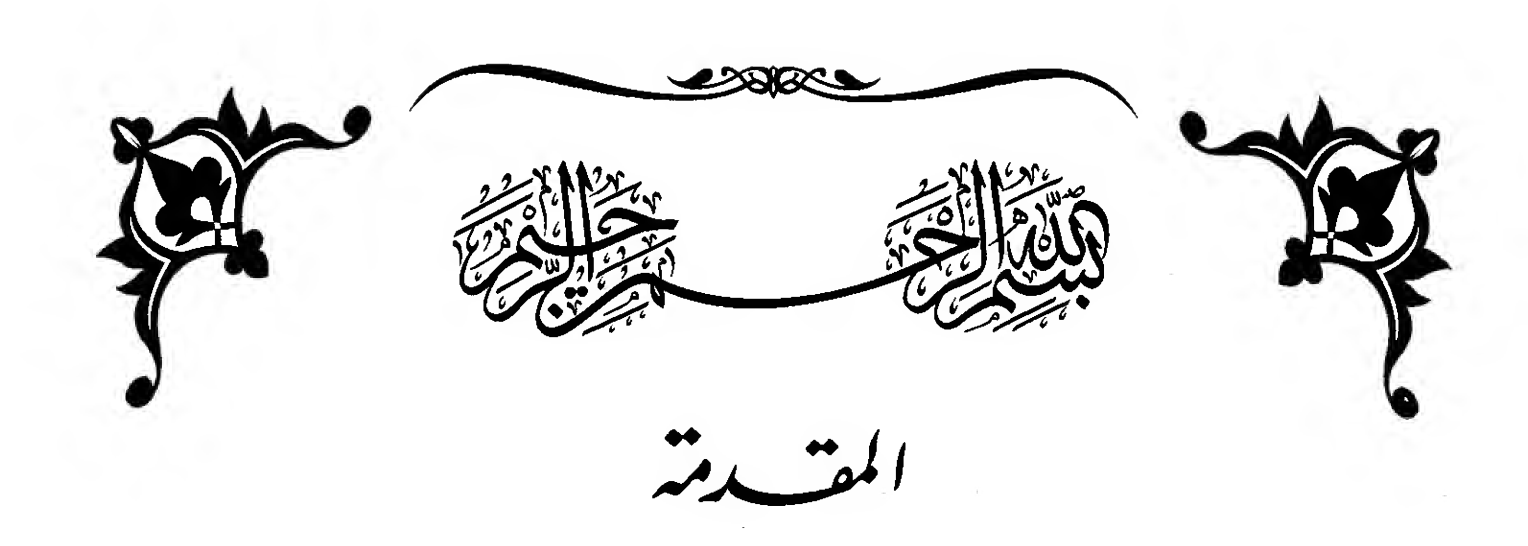
ردمك: ٣ - ٢٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418263

دار النوادر
سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَسَة دار النَّوادِر م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دار النَّوادِر اللُّبْنانِيَّة ش. م. م - لُبْنان * شَرِكَة دار النَّوادِر الكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسَّسَها سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنفِيذِي



المقدمة

شاعرنا الإسلامي المصلح الكبير الإمام الأكبر محمد الخضر حسين ـ رضوان الله عليه ـ راية هدى، وداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وديوانه «خواطر الحياة» روضة من رياض الحق والخير والسمو الخلقي، وقف حياته الطاهرة على الجهاد في سبيل الله، ومن أجل نصرة الشريعة، فكان شعره كنثره هما سلاحان ماضيان للذود عن الإسلام وللدعوة إلى الإسلام.

ولم يكن الشعر في نظره إلا دافعاً للشعوب التي تقاسي الاضطهاد، وحماساً لها ضد الجور والظلم، يقول في إحدى قصائد الديوان:

وأنفع الشعر ما هاج الحماسة في	شعب يقاسي اضطهاد الجائرِ الأشِرِ
لو لم أخف وخز تثريب يصول بـه	عليّ ناقد شعري مـن بنـي مُضـرِ
لقلت: لا شعر إلا في قريحة من	يبيت من شقوة الأوطان في سهرِ
مـن ذا يقـيم علـى أرض يظللهـا	ضيم ويحسن وصف الدلّ والحـور

وإذا صنع القريضَ نقداً، فالإصلاح غايته ومرماه، وإذا رثى بقصيدة، فلعبرة ومأثرة، وإذا مدح، فللخصال الحميدة التي رآها في ممدوحه، وإذا وصف، أبدع، فازداد الأدب السامي ثراءً وجودة.

لعلو همته، ورفعة شأنه، وعاطر سيرته، أغضى عن بعض فنون الشعر، فلم ينظم إلا ما اطمأنت إليه نفسـه، وارتاح له ضميره، وابتغى به وجـه الله

ـ سبحانه وتعالى ـ، وعزة الإسلام، وقليل من الشعراء في كل عصر ومصر من كان على هذه المرتبة الراقية من الإباء والشمم. يقول شاعرنا:

ولـم أُنـض القريحـةَ فـي نسـيب ... ولا عَـذَلاً شـكوت ولا بعـادا

فمـا أهـوى سـوى لغـة سـقاها ... قـريش مـن بـراعتهم شِـهادا

وطوّقهـا كتـابُ الله مجـداً ... وزاد سـنا بلاغتهـا اتقـادا

من الشعراء من نظم شعره إرضاء للباطل حتى يقتات من موائده، فغوى مع الغاوين، وهام في كل واد مع الهائمين، يمدح طاغية ليتصيد لقمة، ويخوض في بحر الكذب حتى القمة.

ومنهم من حمل بضاعة شعره يعرضها في كل سوق رائجة، يصوغ الشعر تكلفاً وتكليفاً، وينظمه أحجاماً وطبقات.

ومنهم من اتخذ الشعر لبثّ اللهو، وإرضاء الشهوة، فانحط به إلى الدرك الأسفل من الرذيلة، فكان مهرجاً لا شاعراً.

يقول الإمام الشاعر:

وفي الشعراء مـن ضـاقت خُطـاه ... وفاتتـه الحقـائق وهـي شـتى

فـراح يخـال لهـو القـول جـدّاً ... وينفـث فـي مكـان الرشـد بهتـا

وشـعر العـرب ذو نظـم فرفقـاً ... بهـا إن شـئت رفقـاً واسـتطعتا

هذا وقد أضفتُ إلى هذه الطبعة الرابعة ما عثرت عليه من شعر شاعرنا الكبير في أوراقه الخاصة، أو في الصحف والمجلات والكتب، وحاولت الجهد أن أشير إلى مرجع كل قصيدة أو مقطّعة، والمناسبة التي قيلت فيها، وتاريخ النظم.

3209

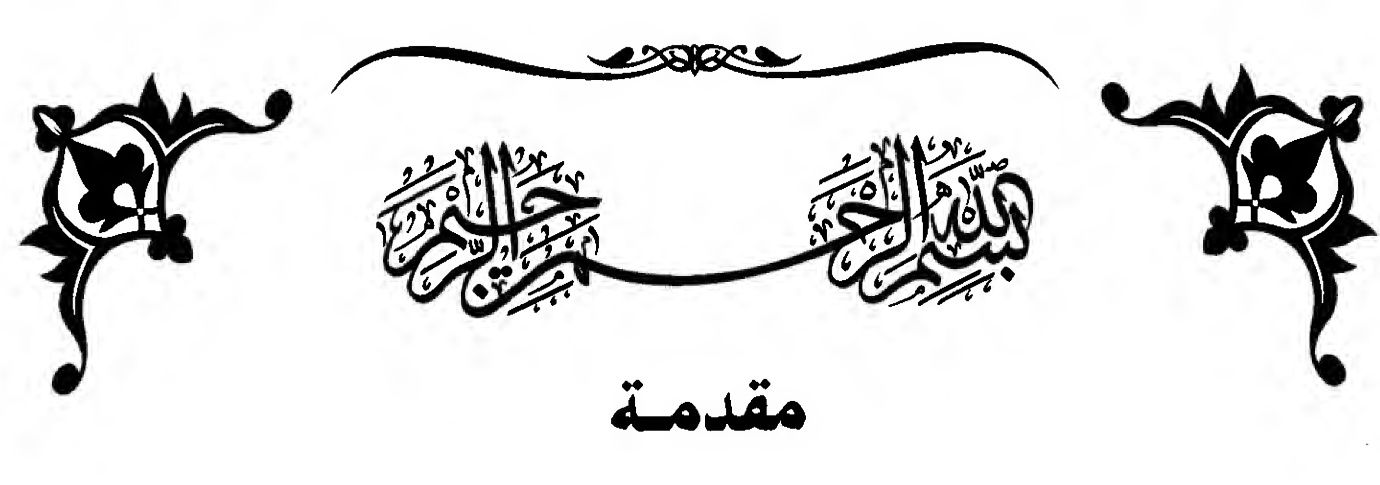
ومن الأمانة في العلم القول: إننا قد حافظنا على شرح وتعليق العالم الفاضل المرحوم الشيخ محمد علي النجار في طبعة الديوان عام ١٣٧٣هـ ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ـ جزاه الله خيراً ـ.

إن هذا الديوان «خواطر الحياة» جدير بأن يتناوله رجال الفكر والأدب بالتحقيق الواسع والدراسة المستفيضة، وإعطاء صورة صادقة لشاعرية المؤلف.

والله نسأل التوفيق والهداية في خدمة رسالة الإسلام.

علي الرّضا الحسيني

❑ ❑ ❑



مقدمة

خواطر الحياة

نشأت في بلدة من بلاد الجريد بالقطر التونسي يقال لها «نفطة»[1]، وكان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهبُّ في مجالس علمائها، وكان حولي من أقاربي[2] وغيرهم من يقول الشعر، فتذوقت طعم الأدب من أول نشأتي.

وحاولت في سن الثانية عشرة نظم الشعر، وفي هذا العهد انتقلت أسرتي إلى مدينة تونس، والتحقت بطلاب العلم بجامع الزيتونة[3]، وكان من أساتذة الجامع ومن هم في الطبقة العالية من طلاب العلم من أولعوا بالأدب، والتنافس في صناعة القريض إلى شأو غير قريب، فاقتفيت أثرهم، وكنت أنظم قصائد تهنئة لبعض أساتذتي عند إتمام دراسة بعض الكتب، ولكني أقبلت على طلب العلم، وتغلب ارتياحي له على ارتياحي للأدب حتى زهدت في صناعة النظم، إلا في أوقات تقتضي أن أهنئ صديقاً حميماً، أو في مجالس تجري فيها

(١) بلدة صحراوية في جنوب تونس، أطلق عليها اسم: الكوفة الصغرى؛ لمكانتها العلمية آنذاك.

(٢) وفي مقدمتهم أستاذه وخاله العلامة محمد المكي بن عزوز.

(٣) بناه الأمير حسان بن النعمان الغساني عام ٧٩هـ، وأتم بناءه الأمير عبدالله بن الحبحاب عام ١٤١هـ، ثم أحدثت به أبنية فخمة من المرمر والرخام.

محاورات أدبية، فتحرك داعية النظم لأن أقول البيت أو البيتين أو الثلاثة.

ولقلة إقبالي على نظم الشعر، أو لأنني كنت أرى أن ما أنظمه منه ليس أهلاً لأن يحتفظ به، لم يصحبني منه عندما رحلت[1] من تونس إلى الشام غير شذرات علقت بذاكرتي، أو شذرات وجدتها مبعثرة في كتب استصحبتها في رحلتي.

نزلت دمشق وللشعر فيها سوق غير كاسدة، ولكني آثرت أن أصرف القريحة في البحث العلمي، أو في العمل للقضية الإسلامية، بقدر ما أستطيع، وربما نزعت نفسي إلى أن أقول شعراً، فأرخي لها العنان، وأقول: هو فن من فنون الأدب الجميل، وللنفس فيه سلوة، ولا سيما شعراً أطرقُ به ناحية خلقية، أو أشارك به العاملين لإصلاح الحالة المدنية، أو أودعه صورة معنى لا أذكر أني لمحته فيما طالعته من المنشآت الشعرية أو النثرية.

ثم هبطت مصر[2]، وكانت صناعة القريض قد ارتقت فيها إلى ما يطمح إليه الشاعر العبقري، فازددت زهداً في النظم، وقلت يومئذ: أَجودُه ليس في متناول قريحتي، وغير الأجود تتسامى عنه همتي، وربما خطرت لي صور من المعاني في أوقات أبتغي فيها راحة، فألبسها ثوباً من الكلام الموزون.

ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته، وأخرجه للناس، حتى اقترح عليّ طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراقه المتفرقة، وأصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم، وقلت: هو كلام موزون، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق، أو

---

(١) خلال شهر كانون الأول ١٩١٢م الموافق ١٣٣١هـ.

(٢) عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢٠م.

معنى رشيق، فقد يرى فيه المؤرخ أشياء يهمه أن يتعرفها من مصادر متعددة.

وعمدت إلى ما نشر في بعض الصحف، أو احتوته بعض المذكرات، وضممت بعضه إلى بعضه، مرتباً له على حروف المعجم، ومنبهاً على المناسبة التي دعت إلى نظم القصيدة أو المقطَّعة، ثم عرضت على من اقترحوا علي جمعه، فأطلقوا عليه اسم: ديوان، ولقبوه بـ: «خواطر الحياة»[١].

ودونك ما جمعت ورتبت، فانقده بفكرك الثاقب، وميزان منطقك العادل، عسى أن تنبه على خلل في تأليف الكلام، أو عيب في تصوير المعاني، فإن فعلتَ، فما هو بأول شعر كشف النقد البريء عما انطوى عليه من هفوات، وإذا محضتك الشكر، فما أنا أول من شكر الناقد البصير على إخلاصه للأدب، وإيثاره الصراحة في الحق على كتم ما تقع فيه الأفكار أو الألسنة من عثرات، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

محمّد الخضر حسين

«بنت عزّوز» لقد لقَّنتنا ... خشية الله وأن نرعى الذِّماما

ودرينا منك أن لا نشتري ... بمعالينا من الدنيا حُطاما

ودرينا منك أن الله لا ... يخذل العبد إذا العبدُ استقاما

ودرينا كيف لا نعنو لمن ... حارب الحق وإن سلّ الحساما

«من قصيدة للشاعر في رثاء والدته»

---

(١) صدرت الطبعة الأولى من الديوان بالقاهرة عام ١٣٩٩هـ، ١٩٤٦م، وأعيد طبعه للمرة الثانية بالقاهرة عام ١٣٧٣هـ، ١٩٥٣م، وعلق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد علي النجار.



قافية الألف

أيْ فلسطين

«قيلت في مصر على فراش المرض عام ١٣٥٨هـ»[١].

نَصبَ البُغاةُ على ذُراكِ لِواءَ ... وكَسَوْا مَرابِعَكِ الحِسانَ دِماءَ[٢]

كُنْتِ الشَّرى وديارُكِ الآجامُ لا ... يَبني حَوالَيْها الجَبانُ خِباءَ[٣]

وبَنوكِ أُسْدٌ مَنْ يَجُسُّ طِباعَها ... لَمْ يَلْقَ إلاَّ نَخْوَةً وإباءَ[٤]

ولقَدْ عَهِدْتُكِ والحَياةُ أنيسةٌ ... ورُباكِ تَزْهو بَهْجَةً ورُواءَ[٥]

---

(١) قصيدة قالها الشاعر منبهاً للخطر الصهيوني الداهم، وحاثاً المسلمين على الجهاد. ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية ـ الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر.

(٢) البغاة: يقال: بغى فلان على فلان: استطال عليه، وظلمه، وهي جمع باغ.
الذُّرى: ذرى الشيء ـ بالضم ـ أعاليه، الواحدة ذروة ـ بكسر الذال وضمها ـ.

(٣) الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل، والطريق في سلمى كثير الأُسد، ويكنى بها عن المكان الذي تكثر فيه الأسود. الآجام: جمع أَجَمَة: الشجر الكثير الملتف، يقال: «الموت لا تنجو منه الأسد في الآجام، ولا الملوك في الآطام».

(٤) جَسَّ: مسّ بيده.

(٥) الربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض.

مـا سـارَ فيـكِ الْغَـيْمُ إلاَّ صَـيِّباً　　والـرِّيحُ إلاَّ أَنْ تَكـونَ رُخَـاءَ[1]

لا يحتَسي من ماءِ أَرضِـكِ صـائِلٌ　　فيما عَرَفْتُ سـوى شُـعاعِ ذُكـاءَ[2]

لا دَمْـعَ إلاَّ مِـنْ مَـآقي خاشـعٍ　　للهِ يَـدْعُو خِيفَـةً ورَجـاءَ

لا حَـرَّ إلاَّ غَيْـرةٌ فـي أَنفُـسٍ　　تَهـوى إذا حَمِـيَ الـوَطيسُ لِقـاءَ[3]

مـا لِلْيهـود اسـتَوْطَنُوكِ وَصـاعَروا　　بعـدَ الهَـوانِ خُـدودَهُمْ خُـيَلاءَ؟[4]

أَفَمـا نبَـتْ بِهِـمُ مَـواطِنُ لـم تُطِـقْ　　مَكْـراً يَحُـوكُ شَـقاً لهـا وبـلاءَ[5]

يَنْفـيهِمُ الزُّعمـاءُ عَـنْ سـاحاتِها　　نَفْـيَ الرِّيـاحِ عَـنِ المِيـاهِ غُثـاءَ[6]

هاتي فِلَسطينُ الحديثَ عـنِ الَّـذي　　خَلَعَـتْ يَـداهُ علـى الْيهـود وَلاءَ

وأَعَـدَّ للعُـرْبِ الْكِـرامِ قذيفَـةً　　فتَّاكَـةً أَوْ طعنَـةً نَجْـلاءَ[7]

يُعطـيهُمُ عَهـدَ الحَليـفِ مُـداهِناً　　ويَسُـومُهمْ سـوءَ الْعَـذابِ عِـداءَ

---

(١) الصيّب: مجيء السماء بالمطر. الريح الرخاء: اللينة الهُبوب.

(٢) صائل: يقال: صال صولاناً؛ أي: استطال، وسطا. الذُّكاء: الشمس، ويقال للصبح: ابن ذُكاء؛ لأنه من ضوئها.

(٣) الوطيس: التنور، أو الفرن، جمع وَطَس، ومنه قولهم: حمي الوطيس: إذا اشتدت الحرب، وتواطست الأمواج: تلاطمت.

(٤) صاغر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كِبَرْ. الخيلاء: الكبر والإعجاب.

(٥) نبا: تجافى وتباعد.

(٦) الغُثاء والغثَّاء: البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل.

(٧) نجلاء: واسعة، يقال: عين نجلاء كناية عن سعة شقة العين.

يَسقيهُمُ السُّمَّ الزُّعافَ فإنْ شَكَوْا ... عاطاهُمُ شَهْدَ الْكَلامِ رِياءَ[1]

يهتَزُّ من طربٍ لِرؤْيَةِ ثاكِلٍ ... تَبكي بِهاطِلِ دَمْعِها الشُّهداءَ[2]

أَفَيَحْسَبُ الْقاسي الفُؤادَ دُموعَها ... ودَمَ الشَّهيدِ الماءَ والصَّهْباءَ[3]

يا مَنْ دَهى الأَوطانَ وهيَ أَمينَةٌ ... واجتاحَ أَطْفالاً بِها ونِساءَ[4]

لا تأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إنَّ صُروفَهُ ... لا تَقْبَلُ الذَّهَبَ النُّضارَ فِداءَ[5]

والعُرْبُ تَأْبَى الضَّيْمَ إلاَّ أَنْ تَرى ... ضَيماً تَسَنَّمَ قَبْلَها الجَوْزاءَ[6]

ما وعدُ بِلْفورٍ سوى الزَّبَدِ الَّذي ... يَطْفو ويَذْهبُ في الفَضاءِ جُفاءَ[7]

---

(١) سم زُعاف: قاتل سريعاً. الشَّهد والشُّهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه.

(٢) ثاكل: المرأة فقدت ولدها.

(٣) الصهباء: الخمر، وقيل: المعصورة من العنب الأبيض.

(٤) دهى: نزل. أمنية: آمنة، وأهلها مطمئنون فيها.

(٥) صروف الدهر: حدثانه ونوائبه. النضار: الذهب والفضة، والجوهر الخالص من كل شيء.

(٦) الضيم: الظلم. تسنَّم الشيء: علاه، وهو من قولهم: تسنم الناقة؛ أي: ركب سنامها. الجوزاء: برج في السماء.

(٧) بلفور: وزير خارجية بريطانيا: وجه رسالة إلى أحد أثرياء اليهود روتشيلد بتاريخ ٢ تشرين الثاني نوفمبر من عام ١٩١٧م جاء فيها: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتحقيق هذه الغاية..». الزَّبد: ما يعلو الماء وغيره من الرغوة. الجُفاء: ما نفاه السيل، وقوله تعالى: ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[الرعد: ١٧]؛ أي: باطلاً.

أَفَبَعْدَ فَتْحِ ابنِ الوَليدِ وصَحْبِهِ ... لِلقُدسِ وَعْدٌ يَستَحِقُّ وَفاءَ[1]

مَنْ مُبْلِغُ الحُنَفاءَ أُمَّةَ أَحمَدٍ ... نَبَأً يَطيرُ له الْفُؤادُ هَباءَ[2]

تِلْكَ الأَيامَى عَضَّهُنَّ بِنابِهِ ... بُؤسٌ وهُنَّ الصَّامِتاتُ حَياءَ[3]

ذاكَ الْفَطيمُ تَفَقَّدَتْ لَحَظاتُهُ ... مَنْ كانَ يُطْعِمُهُ صَباحَ مَساءَ[4]

وَيْحَ الرَّضيعِ يَمُصُّ ثَدياً لَمْ تَذَرْ ... فِيهِ الْكَوارِثُ للرَّضيعِ غِذاءَ[5]

ونَرى ابْنَ يَعْرُبَ في الصِّفادِ وَغَيْرُهُ ... طَلْقٌ يَجُرُّ ـ كما يَشاءُ ـ رِداءَ[6]

أَننامُ عَنْ إسْعافِهِمْ والدِّينُ قَدْ ... عَقَدَ ائْتِلافاً بَيْنَنا وإخاءَ

هَلْ من عواطِفَ كالنَّسيمِ يمرُّ في ... سَحَرٍ بِزَهْرِ حَديقَةٍ غَنَّاءَ

كُلٌّ يَجُودُ بِما اسْتَطاعَ فَما النَّدى ... وَقْفاً على مَنْ يُجْزِلونَ عَطاءَ[7]

لا تُنْجِدُوهُمْ بالتَّحَسُّرِ وَحْدَهُ ... إنَّ التَّحَسُّرَ لا يُزيحُ عَناءَ

---

(١) ابن الوليد: (. . . ـ ٢١هـ) خالد بن الوليد بن المغيرة، سيف الله، والفاتح الكبير توفي ودفن في حمص.

(٢) الحنيفية: يقال: تحنف إلى الشيء إذا مال إليه، ومنه قيل لمن مال عن كل دين أعوج: هو حنيف، والجمع حنفاء، والحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، ويطلق على كل من أصبح على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

(٣) الأيامى: جمع أيّم، والأيم: من لا زوج لها، بكراً أم ثيباً.

(٤) تفقد الشيء: طلبه عند غيبته.

(٥) لم تذر: لم تدع.

(٦) الصفاد: ما يوثق به الأسير من قيد وغُلّ.

(٧) الندى: الجود والكرم.

لا تَـنْهَضُ الأوطـانُ مِـنْ كَبَواتِهـا ... إلاَّ علـى أَيْـدٍ تَفـيضُ سَـخاءَ

مـا سـادَ قَـومٌ أُشْـرِبُوا شُـحّاً وإِنْ ... بَلَغُـوا السّـماءَ شَـجاعَةً وذَكـاءَ[1]

أَمِـنَ المُـروءَةِ أَنْ نُنـادَى لِلَّتـي ... فيهـا النَّجـاةُ ولا نُجيـبُ نِـداءَ

نَبْغِـي النَّجـاةَ ولا جِهـادَ كَمُـدْنَفٍ ... يَبْغـي الشِّـفاءَ ولا يُسـيغُ دَواءَ[2]

إنْ تَحْسَـبوا الـبُخلاءَ أَحْيـاءً وَهُـمْ ... صُـمُّ المسـامِعِ تَظْلِمـوا الأَحيـاءَ

لَوْ قِيلَ مَنْ مِثْلُ الحِجارةِ في الـوَرى ... لَـم أَعْـدُ فـي تَمثيلـيَ الْـبُخَلاءَ

بَسَـطَ الْيَهُـودُ إلـى اليَهـودِ أَكُفَّهُـمْ ... بِالمـالِ مِـنْ بَيْضـاءَ أَوْ صَـفْراءَ[3]

ومَتى أَرى قَوْمي قَدِ اسْتَبَقوا العُـلا ... بِسَـخاءِ كَـفٍّ يَكْشِـفُ الَّـلأْوَاءَ[4]

بعض أمراضنا الاجتماعية[5]

أَيَعـودُ للشَّـرْقِ الحَماسَـةُ والإِبـاءُ ... فَتَعـودُ عِزَّتُـهُ ويَبْـتَهِجُ الْعَـلاءُ؟

قالوا: اسْتَقامَ الشَّرْقُ وَهْوَ يسيرُ فـي ... نَهْـجِ الفَـلاحِ وفـي عَزيمَتِـهِ مَضـاءُ

---

(١) الشح: البخل مع الحرص.

(٢) المدنف: الذي أثقله المرض. ساغ الدواء: سَهُلَ مدخله في الحلق.

(٣) البيضاء: الفضة. الصفراء: الذهب.

(٤) اللأواء: يقال: لأواء العيش: شدته، وفي الحديث الشريف: «من كانت له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن، كنَّ له حجاباً من النار».

(٥) قصيدة الشاعر يدعو بها إلى الإصلاح الاجتماعي، محذراً من الإلحاد والدعايات الخبيثة، ونشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزأين الأول والثاني من المجلد الرابع عشر.

ولَشَدَّ ما خُضْنا الخُطوبَ ولَـمْ نُـرِدْ إلاَّ العُــلا وجَــرَتْ بِوادينـا دِمـاءُ
قُلنا: الدَّعارةُ لمْ تَـزَلْ فـي أَرْضِـنا ولِرَهْطِها في كُـلِّ حاضِـرةٍ لِـواءُ[1]
تِلْـكَ الخُمـورُ تُـدارُ فـي عَلَـنٍ ولا لَـوْمٌ يَنـالُ المُعْلِنـينَ ولا جَـزاءُ
كَمْ مِنْ مَآدِبَ في البِـلادِ تُقامُ فـي رَأْدِ الضُّحى وَعلى مَوائِدِها الطِّلاءُ[2]
فَتياتُنـا إنْ رُمْــتُ بَــثَّ شِـكايَتي مِنْ خَطْبِهِنَّ يُسابِقُ الشَّكْوى بُكـاءُ
كُــنَّ البُــدورَ حَصــانَةً وَوَســامَةً والحُسْـنُ يَبْهـرُ إذْ يُخالِطُـه الحَيـاءُ
وحُجـورُهُنَّ مَـدارِسُ الأَطفـالِ إذْ طَهُـرَتْ فَحَظُّهُـمُ الطَّهـارَةُ والنَّقـاءُ
مـا بـالُهُنَّ اليَـوْمَ يُرْضِـينَ الهـوى ما شـاءَ، لا راعٍ يُهـابُ ولا قَضـاءُ
أَقْصَـى الإلــهُ مَلاهِيـاً ومَراقِصـاً نُصِبَتْ كأَشْـراكٍ يُصـادُ بهـا النِّسـاءُ
فَيَضَـعْنَ أَحْمـرَ فَـوْقَ أَبـيَضَ زينَـةً ويَرِدْنَها كـالعِيسِ يَقْتُلُهـا الظَّمَـاءُ[3]
يَغْشَـــينَها وثِيــابُهُنَّ كأَنَّهـــا لِشُفوفِها فَوقَ الصَّلا والبَطْنِ مـاءُ[4]

---

(١) الدعارة: الخبث والفسق. الرهط: قوم الرجل وقبيلته. الحاضرة: ضد البادية، وهي المدن والقرى والريف.

(٢) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس عند الخمس الأول من النهار، وانبساط ضوئها، وذلك شباب النهار. الطلاء: ما يطبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب يسمي الخمر: الطلاء

(٣) الأحمر والأبيض: الأصبغة التي تضعها النساء على وجوههن. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، وتطلق على كرام الإبل. الظماء: العطش.

(٤) الصَّلا: وسط الظهر من الناس، ومن كل ذي أربع، جمع صَلَوات، وأصلاء، وصَلا الفرس؛ أي: مغرز ذنبه.

أَسَفاً على عِرْضِ الفَتاةِ أَلَمْ يَكُنْ ... مِنْ غَيْرَةِ الأُمِّ العَطوفِ لَهُ وِقاءُ

اليَوْمَ تُرْسِلُها يدُ الأَبِ نَفْسِهِ ... بَيْنَ الشَّبابِ كأَنَّهُ مِنْها بَراءُ

وتَعودُ مِنْ، تِلْكَ الخَلاعةِ مَوْهِناً ... وفؤادُها مِنْ عِزَّةِ التَّقوى هَواءُ(١)

قالوا: دَواءُ قُضاتِنا قانونُ با ... ريز، وقانونُ الإلهِ هُوَ الدَّواءُ

سُسْنا بِهِ الأَقْوامَ فانْتَظَمَتْ لَنا ... في الشَّرقِ والْغَرْبِ العَدالَةُ والدَّهاءُ

لا تُخْرِجُ الغَبْراءُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... أَوْ مِثْلَ شَرْعٍ آثَرَتْهُ بِهِ السَّماءُ(٢)

طَغَتِ الوساطَةُ في الوظائف وَيْحَ مَنْ ... لَمْ يَدْرِ أَيْنَ الجَاهُ أَوْ أَيْنَ الثَّراءُ

ضاعَتْ بِجانِبِها كِفاياتٌ بَنَى ... آساسَها العِلْمُ المُؤَثَّلُ والذَّكاءُ

بَلْوَى الرِّياسةِ أَنْ تُناطَ بِمَنْ لَهُ ... نَفْسٌ تَعَبَّدَها غُرورٌ أَوْ رِياءُ

يَرْنو إلى الدُّنيا بِمِرآةِ الهوَى ... وبِعَيْنِ أَعْشى والعَشا داءٌ عَياءُ(٣)

صَوْتٌ مِنَ الشَّيْطانِ ردَّدَهُ الأُلى ... مَرَدوا على تَمثيلهِ وَهُوَ الهُذاءُ(٤)

نادَوْا بِها قَوْمِيَّةً خَرْقاءَ أَوْ ... وَطَنِيَّةً، لاحَبَّذا ذاكَ النِّداءُ

---

(١) المَوْهِنْ: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه، وقال الأصمعي: هو حين يدير الليل. هواء: خالٍ.

(٢) الغبراء: الأرض، ويقال: جاء على ظهر الغبراء والغُبيراء؛ أي: على ظهر الأرض؛ يعني: راجلاً.

(٣) الأعشى: الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار. العشا: سوء البصر بالليل والنهار، وقيل: العمى. داء عَياء: صعب لا دواء له؛ كأنه أعيا الأطباء.

(٤) مرد على الشيء: استمر عليه. الهذاء: القول الباطل، والتكلم بغير معقول لمرض أو غيره.

وإذا ذَكَـرْتَ الـدِّينَ قـالوا: خَلِّنـا ... مِـنْ ذِكْـرِهِ وعَلـى أُخُوَّتِـهِ العَفـاءُ[(١)]

إنَّ المـدارِسَ كالسَّـمواتِ العُـلا ... وعُلومُها مِثْلُ النُّجُـومِ لَهـا ضِـياءُ

وكَأَنَّمـا عِلْـمُ الدِّيانَـةِ بَيْنَهـا ... قَمـرُ السَّـماءِ إذا تَجَلَّـى أَوْ ذُكـاءُ[(٢)]

وَسِياسَـةُ التَّثْقيـفِ يَشْـغَلُ بالَهـا ... ويَهُمُّهـا غَيْـرُ الهُـدى حَتَّـى الغِنـاءُ

ومَتـى يُمـاطُ أَذى الـدِّعاياتِ التـي ... تُوحي ضَلالاً والضَّلالُ هُوَ الوَبـاءُ[(٣)]

فَدِعايَـةُ الإلْحـادِ يَنْفُـثُ سُـمَّها ... رَهْـطٌ يُـؤازِرُهُمْ عَلَيْهـا أَغْبِـياءُ

إنْ جِئْـتَ نـادِيَهُمْ بـأَبلَغِ حُجَّـةٍ ... فَجَـوابُهُمْ عَنْهـا الـتَّهَكُّمُ والبَـذاءُ[(٤)]

وَدِعايَـةٌ فـي الفُـرْسِ بُيِّـتَ أَمْرُهـا ... يالَيْتَها ذَهَبَـتْ كما ذَهَبَ الجُفاءُ[(٥)]

جاسَتْ خِلالَ الشَّرقِ واغْتالَـتْ بِـه ... نَشْـئاً ولَـمْ يَغْـتَلْهُمُ إلاَّ الشَّـقاءُ

خَرَجُوا عنِ التَّوْحِيـدِ وارتَـدُّوا إلـى ... شِرْكٍ أَمَا قالوا: الإلهُ هُوَ البَهَـاءُ؟![(٦)]

---

(١) العفاء: التراب: قال صفوان بن محرز: إذا دخلت بيتي، فأكلت رغيفاً، وشربت عليه ماءً، فعلى الدنيا العفاء، ويقال: الهلاك.

(٢) ذُكاء: الشمس.

(٣) أماطه: أي: نحّاه، ومنه: إماطة الأذى عن الطريق.

(٤) البذاء: الفحش، وفلان بذيُّ اللسان.

(٥) الدعاية التي قامت في الفرس هي البهائية. الجُفاء: ما نفاه السيل إذا رمى به، وقال ابن السكيت: «وذهب الزبد جفاء»؛ أي: مدفوعاً عن مائه.

(٦) انظر كتاب المؤلف: «القاديانية والبهائية». البهاء: زعيم الطائفة البهائية، لقب يدعى به ميرزا حسين علي، وهو الزعيم الثاني للمذهب. وتسمى: الطائفة البابية، نسبة إلى (الباب)، وهو لقب ميرزا علي محمد الذي ابتدع هذه النحلة.

وَدِعايَـــةٌ فـــي قادِيـــانَ تَبَرَّجَـــتْ ... لَكِـــنَّ حِلْيَتَهـــا خِـــداعٌ وافْتِـــراءُ[١]
زُعَماؤُهُمْ ـ وغُلامُ أَحْمَـدَ رَأْسُـهُمْ ـ ... زَعَمـــوا بِـــأَنَّهُمُ دُعـــاةٌ أَنْبِـــياءُ[٢]
ودِعايةٌ هِيَ مِـنْ صَـنيعِ الغَـرْبِ تَـرْ ... عاهـا سِياسَـتُه ويَغْمُرُهـا الحِبـاءُ[٣]
لِمَـنِ المَـدارسُ نَبْلُهـا شُـبَهٌ ومَـرْ ... ماها جُحودٌ في النُّفوسِ أَوِ امْتِـراءُ[٤]
عَجَبـاً لَنـا نُلْقِـي إلـى أَحْضـانِها ... أَكْبادَنا مِنْ بَعْـدِ أَنْ بَـرِحَ الخَفـاءُ[٥]
أُعْطيتُ عِلْماً مـا جَنَيْـتُ بِـهِ سِـوى ... ذَهَبٍ، وصارَ البَيْتُ هَمِّي والغِـذاءُ
إنْ لَـمْ أُذَكِّـرْ بالحَقـائقِ دائِبـاً ... فَأَنـا وغَيْـرُ العـالِمينَ بِهـا سَـواءُ
هِـيَ تِلْـكَ أَمْـراضٌ نَـئِنُّ لَهـا ولَـمْ ... يَهْـدَأْ صَـباحٌ مُـذْ عَرَتْنـا أَوْ مَسـاءُ
لا خَيْرَ في الرُّؤْساءِ إنْ لَـمْ يَنْهَضـوا ... بالشَّرْقِ حَتَّى يَخْلُفَ الـدَّاءَ الشِّـفاءُ
قـالوا: حَوالَيْنـا غَريـبٌ رُبَّمـا ... يُبْدي رَغائبَ قَدْ تُعارِضُ ما نَشـاءُ[٦]
قُلْنـا: الـرَّئيسُ الحُـرُّ لا يَثْنِيـهِ عَـنْ ... إِصْلاحِ شَأْنِ الشَّعْبِ خَوْفٌ أو رَجـاءُ

---

(١) قاديان: بلدة في الهند قامت بها دعوة غلام أحمد، التي عرفت بالقاديانية.

(٢) غلام أحمد زعيم الطائفة القاديانية (١٢٥٢ ـ ١٣٢٦هـ)، ولد في قاديان بالهند، ودفن فيها، وله مؤلفات في دعوته الباطلة.

(٣) الحِباء: العطاء.

(٤) المدارس: ويقصد بها المدارس التبشيرية التي يوجهها ويديرها الاستعمار، والتي انتشرت في مصر والعالم الإسلامي داعية إلى غير رشاد. الامتراء: الشك.

(٥) أكبادنا: أي: أولادنا. برح الخفاء: وضح الأمر.

(٦) الغريب: يقصد به المستعمر إطلاقاً.

3222

العرب والسّياسة

«كنت في قطار بضواحي برلين يرافقني مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية، وكان يتحدث مع شاب ألماني باللغة الألمانية. ثم أقبل عليَّ، وقال لي: أليس هكذا يقول ابن خلدون: إن العرب أبعد الناس عن السياسة؟ فقلت: يريد: العربَ قبل دخولهم الإسلام. وبهذه المناسبة نظمت هذه الأبيات».

عَـذِيرِيَ مِـنْ فَتـىً أَزْرى بِقَـوْمي ... وَفـي الأَهْـواءِ مـا يَلِـدُ الهُـذاءَ[١]

يَقـولُ: العُـرْبُ ظَلُّـوا فـي جَفـاءٍ ... ومـا عَرَفُـوا السِّياسَـةَ والـدَّهاءَ

سَـلوا التَّـاريخَ عَـنْ حَكَـمٍ تَملَّـتْ ... رَعايـاهُ العَدالَـةَ والرَّخـاءَ[٢]

عَـزوفِ الـنَّفْسِ عَـنْ تَـرَفٍ ذَكُـورٍ ... لِعُقْبـي مَـنْ أَجـادَ وَمَـنْ أَسـاءَ[٣]

هُمـامٍ كـانَ سـامِرُهُ وأَقْصَـى ... بِـلادٍ فـي مَهابَتِـهِ سَـواءَ[٤]

هُـوَ الفـاروقُ لـمْ يُـدْرِكْ مَـداهُ ... أَميـرٌ هَـزَّ فـي الـدُّنيا لِـواءَ[٥]

---

(١) العذير: العاذر، يقال: عذر؛ أي: رفع عنه الذنب واللوم فيما صنع، أو على ما صنع، ويقال: من عذيري من فلان؟ ومعناه: أنه أهل للإيقاع به، فإن أوقعت به، كنت معذوراً. أزرى به: وضع منه، أو قصّر به. الهذاء: القول الباطل.

(٢) تمّلى: استمتع، يقال: تمليت عمري: استمتعت فيه.

(٣) عزوف: يقال عزفت النفس عن الشيء: زهدت فيه، وانصرفت عنه، أو ملّته، فهي عزوف عنه، العقبى: جزاء الأمر، الآخرة.

(٤) الهمام: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع، وهو من أسماء الأسد. السامر: مجلس السمّار، يقال: أمسيت البارحة في سامر الحي؛ أي: في مجلس مسامرتهم.

(٥) الفاروق: (٤٠ق هـ، ٢٣هـ) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وثاني الخلفاء الراشدين، قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق، فرق به بين الحق والباطل».

قوس الغمام

«قيلت في برلين عام ١٣٢٧هـ».

أَيَخْفى ضَميرُ المَرءِ يَوْماً وَلَـو سَـما ... إلى الذُّروَةِ القُصوى ضُحًى ودَهـاءَ

إذا كَتَمَتْنا الشَّـمْسُ أَلْوانَهـا ضُـحى ... يَبـوحُ بِهـا قَـوْسُ الغَمـامِ مَسـاءَ[١]

حمرة الشّفق

«قيلت في برلين عام ١٣٢٧هـ».

هَـذا الـدُّجى اغْتـالَ النَّهـارَ ودسَّـهُ ... تَحْـتَ التُّـرابِ مُضَـرَّجاً بِدِمائِـهِ[٢]

ما حُمْرَةُ الشَّفَقِ الَّتـي تَبْـدو سِـوى ... لَطْخٍ مِنَ الـدَّمِ طـارَ نحـو رِدائِـهِ[٣]

ما ليل أرضي

«قيلت في مصر عام ١٣٦١هـ».

إنْ لَمْ أَبِـتْ أَحْـدو إلـى أَوْجِ الْعُـلا ... هِمَمـاً فَـلا طَلَعَـتْ عَلَـيَّ ذُكـاءُ[٤]

مـا لَيْـلُ أَرْضـي أَنْ يُقَطِّـبَ أُفْقُهـا ... وَعَلَيْـهِ مِـنْ نَسْـجِ الْغُـروبِ رِداءُ

بَـلْ لَيْلُهـا زَمَـنٌ يَفـوتُ وَلَـمْ يَكُـنْ ... لِلْفِكْـرِ أَوْ لِلْعِلْـمِ فيـهِ نَمـاءُ

---

(١) قوس الغمام: وكذلك قوس السحاب، يحدث في الأفق عقب المطر، وألوانه مختلفة.

(٢) الدجى: الظلمة.

(٣) الشفق: الحمرة في الأفق من الغروب إلى العشاء الآخرة، أو إلى قريب العتمة. اللطخ: اليسير القليل من كل شيء.

(٤) أحدو: أسوق، يقالك حداً الإبل: ساقها وغنى لها فهو حادٍ. الذكاء: الشمس.

الأثرة بين الأصدقاء

سايَرْتُ خِلاًّ في الهَجيرِ فَحـادَ عَـنْ ... ظِـــلٍّ وآثَرَنـــي بِبَـــرْدِ هَوائِـــهِ[١]
فَأَبَيْـتُ أَنْ أَرِدَ الظِّـلالَ وَصـاحِبي ... يَلْقى وَهيجَ الشَّمْسِ فـي غُلَوائِـهِ[٢]
وَلَوِ احْتَسى الْماءَ الزُّعـاقَ حَسَـوْتُهُ ... عَبّـاً ولَـوْ جـاءَ الفُـراتُ بِمائِـهِ[٣]
والـــوِدُّ إِنْ شـــابَتْهُ يومـــاً أَثْـــرَةٌ ... ضَـلَّتْ مَعـالِمُ صِـدْقِهِ وَصَـفائِهِ[٤]

❐ ❐ ❐

---

(١) الهجير: الهاجرة، شدة الحر.

(٢) وهيج الشمس: توقدها. الغُلَواء: أول الشباب، نشاطه وسرعته.

(٣) حسا الماء: شربه شيئاً بعد شيء. الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه. الفرات: الصافي.

(٤) الأثرة: الحال غير المرضية.



قافية الباء

تحية المجمع

«قيلت في افتتاح جلسات «المجمع اللغوي» بالقاهرة؛ لتحية المجمع، والإشادة باللغة العربية، والتنويه بمآثرها، وشكر المعنيين بها».

مـا زِلْـتَ تَقْتَـنِصُ المُنـى أَسْـرابا ... وتُـديرُ مِـنْ خمـرِ الصَّـفا أَكْوابـاً[1]

يُزْهـى فِنـاؤكَ بالرِّمـالِ كراحَـةٍ ... لَبِسَتْ مِنَ الـذَّهَبِ المُذابِ خِضابا[2]

فَعَلامَ تشكو الدَّهْرَ شَكوى قاطنٍ ... خَطَفَتْ يَدُ التَّرْحَالِ مِنْهُ صِحابا؟

أَوجَسْـتُ رُعْبـاً إِذْ رأَيـتُ ركائِبـاً ... حملَتْ إلى مَرْسى السَّفينِ عِيابـا[3]

ولسَـرْعَ مـا طَلَعَـتْ بُـدورٌ والنَّـوى ... تَرْنـو لتقْـذِفَ فـي الفـؤادِ شِـهابا[4]

---

(١) اقتنص: اصطاد.

(٢) الفِناء: ما امتد من جوانب الدار، والساحة أمام البيت. الخضاب: ما يخضب به، وإذا أُطلق، دلّ على خضاب اللحية بالنسبة إلى الرجل، وعلى خضاب اليدين بالنسبة إلى المرأة، اختضب بالشيء: تلون به.

(٣) أوجس: أحس وأضمر. العياب: جمع العَيبة، وهي ما يجعل فيه الثياب.

(٤) لَسرْع: أي: ما أسرعَ. النوى: البعد. رنا: نظر. الشهاب: شعلة من نار ساطعة، أو ما يرى كأنه كوكب انقض، وجمعه شُهُب.

صَــفَرَ المُنبِّــهُ للرَّحيــلِ وَلَيْــتَهُمْ ... سَـمَّوْا وَغَـى هـذا الصَّـفيرِ نُعابـا[1]

شَيَّعْتُ بـالطَّرفِ السَّـفينةَ شاخِصـاً ... حَتَّـى تَـوارَتْ بالعُبـابِ فَآبـا[2]

وإذا انْثَنـى طَرْفـي فَقلْبـي لا يَـرى ... غَيْـرَ السَّـفينةِ للقلـوبِ مَآبـا

يا رامِياً عَـنْ قَـوسِ جـالينوس هَـلْ ... أَلْفَيْـتَ للقَلْـبِ الشَّـجِيِّ طِبابـا[3]

هَـذا الأسـى تُذْكيـهِ ذِكْـرى رامَـةٍ ... وتزيـدُهُ ذِكْـرى العَقيـقِ لِهابـا[4]

أَسْـلو البِـقاعَ سِـوى تِهامـةَ إنَّهـا ... كانَـتْ إذا خَبَـروا البِـلادَ لُبابـا[5]

هي هالةُ العُرْبِ الأُلى شادوا علـى ... هـامِ النُّجـومِ الزَّاهِـراتِ قِبابـا[6]

وأَمَـدَّهُمْ وَحـيُ السّـماءِ بِحِكْمَـةٍ ... ساسـوا بهـا الأَجسـامَ والأَلْبابـا

إِنْ سُولِموا كـانوا الملائِـكَ سُجَّداً ... أَو حُورِبـوا كـانوا اللُّيُـوثَ غِضـابا

---

(١) الوغى: الصوت والجلبة، ومنه قيل للحرب: (وغى)؛ لما فيها من الصوت والجلبة. النعاب: صوت الغراب، يقال: نعب الغراب: صوّت بالبين.

(٢) شيّع فلاناً: خرج معه ليودعه، ويبلغه منزله. الطرف: العين، ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحداً وجمعاً، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[إبراهيم: ٤٣]. شاخص: الذي يفتح عينيه ولا يَطْرِف. العباب: الموج. آب: رجع.

(٣) جالينوس: طبيب وحكيم يوناني (نحو ١٣١ ـ ٢٠١م)، له اكتشافات هامة في التشريح. الطباب: ما يطب به.

(٤) تذكيه: أذكى: أوقد وأشعل. رامة: مكان في الطريق بين البصرة ومكة المكرمة. العقيق: وادٍ بظاهر المدينة المنورة. اللِّهاب: جمع اللّهب، وهو لسان النار.

(٥) تهامة: مكة، وبلاد شمالي الحجاز. اللباب: المختار الخالص من كل شيء.

(٦) هالة: الدّارة حول القمر، جمع هالات.

عَرِّجْ على التَّاريخِ يُمْلِ عَلَيْكَ مِنْ خَطَراتِ هاتِيكَ النُّفوسِ عُجابا
تَلْقى مَنابِرَ في صُدورِ مَحافِلٍ تَجْري بِها نُهُرُ البَيانِ عِذابا
تَلْقى مَجَرَّ قَناً ومَجْرى ضُمَّرٍ خُلِقَتْ كما يَبْغي الكُماةُ عِرابا[1]
ما ضَرَّ مَنْ مَلَكَتْ يداهُ صَوارِماً أَلاَّ يَرُدَّ إلى الطُّغاةِ جَوابا[2]
بَهَرَ الرَّشيدُ بِقَوْلِهِ لِمُهَدِّدٍ: سَتَرى الجَوابَ كَتائباً وحِرابا[3]

---

(١) قنا: جمع قناة، وهي الرمح. ضُمَّر: جمع ضامر، ويقصد بها الخيل. الكماة: جمع الكمّي: الشجاع. الخيل العراب: السالمة من الهجنة.

(٢) الصوارم: جمع صارم: السيف القاطع.

(٣) الرشيد: هارون بن محمد بن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق (١٤٩ ـ ١٩٣م) ولد بالري، وتوفي في «سناباذ» من قرى طوس. وكان بين هارون الرشيد والملكة ريني ملكة الروم عهد، حتى خلعت، وارتقى العرش نقفور الذي كتب إلى الرشيد: «من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مُقام الرُّخّ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إلينا، لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن. فإذا قرأت كتابي، فاردد ما حصل لك من أموالها، وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك، وإلا، فالسيف بيننا وبينك». فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب، استفزه الغضب حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه، وتفرق جلساؤه، ودعا بدواة، وكتب على ظهر الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة، والجواب ما تراه، لا ما تسمعه، والسلام». ثم حمل الرشيد من يومه على الروم، وهزمهم. الكتائب: واحدها الكتيبة، وهي القطعة المجتمعة من الجيش، وقيل: جماعة الخيل إذا أغارت من المئة إلى الألف. الحراب: جمع حربة. وهي آلة للحرب من الحديد قصيرة محددة الرأس.

قَلَمُ ابنِ يَحْيى كانَ بَيْنَ حُماتِهِ ... يُسْدي نَعيماً أَوْ يُذيقُ عَذابا[1]

ونَأَوْا فَلَمْ يُسْعِدْهُ فَضْلُ بَيانِهِ ... حَتَّى تَوَسَّدَ بِالعَراءِ تُرابا

والسَّيفُ في عَشْواءَ لَوْ لمْ يَسْتَضِئْ ... بِسَنَا اليَراعَةِ في الخُطوبِ لخَابا[2]

فَهُما جَناحا الشَّعْبِ إذْ يَبْغي العُلا ... وإذا هُما فاتاهُ كانَ ذُنابى[3]

آهِ تصدَّعَ ما بَناهُ الشَّرقُ مِنْ ... مَجْدٍ وأَوشَكَ أَنْ يَصيرَ يَبابا[4]

عِفْتُ الحياةَ وكِدْتُ مِنْ أَسَفي عَلى ... مَجْدٍ تَصَدَّعَ لا أُسيغُ شَرابا

مَنْ ذا يُنَبِّئُني بِلَهْجَةِ مُلْهَمٍ ... نبأً يُزيحُ عَنِ الحَشا أَوْصابا[5]

أَنرى المِياهَ القُتْمَ تَحْتَ سَمائِنا ... شَفّافَةً، ونَرى الثِّمادَ عُبابا[6]

وإذا صَفا وِرْدُ الحياةِ لأُمَّةٍ ... مَدَّ الفَلاحُ بأَرْضِها أَطْنابا[7]

---

(١) ابن يحيى: عبد الحميد بن يحيى المعروف بالكاتب (. . . ـ ١٣٢هـ) من أئمة الكتاب، وعالم بالأدب، أصله من قيسارية، وسكن الشام، وقتل في بوصير بمصر. حماة: جمع حامٍ، وهو الأسد. يسدي: يحسن ويصيب.

(٢) عشواء: ظلمة. اليراعة: القصبة التي يكتب بها. الخطوب: الشؤون والأمور الجليلة واليسيرة.

(٣) ذنابى: ذنب

(٤) آهِ: اسم فعل مضارع بمعنى أتوجّع. يباب: خراب.

(٥) الحشا: ما في البطن، جمع أحشاء. أوصاب: جمع وَصَب، وهو المرض.

(٦) القتم: جمع الأقتم، وهو الأسود. الثماد: الماء القليل لا مادّة له.

(٧) الوِرْد: الماء الذي يورد. الأطناب جمع طُنُب، وهو حبل طويل يشد به سرادق الخباء.

مَهْلاً كَأَنِّي شِمْتُ بَرْقَ حَماسَةٍ ... بَيْنَ الجَوانِحِ فاطَّرَحْتُ عِتابا

ولَمَحْتُ في شُبّانِنا وكُهولِنا ... عَزْماً صَميماً لا يَهابُ صِعابا

عَزْمٌ هُوَ الصَّمْصامُ إلاَّ أَنَّهُ ... لَمْ يَتَّخِذْ مِثْلَ السُّيوفِ قِرابا[1]

لِيَطُلْ على الآمالِ لَيْلٌ أَوْ تَقُمْ ... مِنْ دونِها شُمُّ الجِبالِ عِقابا[2]

عَهْدٌ عَلَيْنا أَنْ نُعيدَ بِعَزْمَةٍ ... عُمَرِيَّةٍ هَرَمَ الزَّمانِ شَبابا[3]

أَنا إنْ يَئِسْتُ قَضَيْتُ بُغْيَةَ شامِتٍ ... وَحَلا الهِجاءُ لِمَنْ يَرومُ سِبابا

لَوْ أَنَّ يأْسَ النَّفْسِ صُوِّرَ طائِراً ... لَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الطُّيورِ غُرابا

رُمْنا السَّعادَةَ في الحَياةِ فَلَمْ نَجِدْ ... غَيْرَ المَعارِفِ لِلسَّعادَةِ بابا

والعِلْمُ كاللَّبَنِ الغَريضِ يَطيبُ إنْ ... أَنْقَيْتَ أَقْداحاً لَهُ وَوِطابا[4]

لا خَيْرَ في عِلْمٍ وَعَتْهُ نَقيبَةٌ ... كَشَفَتْ عَنِ الطَّبْعِ الذَّميمِ نِقابا[5]

أَوَ ما تَرى شَهْدَ الغَمامِ يَمُرُّ إنْ ... لاقى مُراراً في الفَلا أَوْ صابا[6]

---

(١) الصمصام: السيف الذي لا ينثني. القراب: الغمد.

(٢) عقاب: جمع عقبة، وهي مرقى صعب في الجبال.

(٣) عمرية: نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب.

(٤) الغريض: يقال غَرَض الشيء: اجتناه طرياً، والمقصود هنا باللبن الغريض: أي: حديث العهد بالحلْب. الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن، ويجمع كذلك على أوطب، وأوطاب.

(٥) النقيبة: النفس، والعقل، والمشورة، النقاب: القناع أوالبرقع.

(٦) الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. المرار: شجر مرّ من أفضل العشب. الصاب: شجر مرّ عصارته.

والعِلْمُ لَوْ لمْ تَحْتَضِنْهُ اللَّهْجةُ الْـ ـفُصْحى لَعَزَّ على العُقولِ طِلابا

وَمفاتِحُ العِرْفَانِ في أيدي الأُلَى راضوا البَيانَ خَطابةً وكِتابا

والعُرْبُ قُدْماً مَهَّدوا لحضارةِ الْـ أُمَمِ الحُجورَ وفتَّحوا الأَبْوابا[1]

حَضَنوا العُلومَ وأَنْعَشوها بَعْدَ أَنْ كادَتْ تَشُقُّ مِنَ الأَسى أَجْيابا

واسْتَطْلعوا أَسْرارَها فَبَدَتْ كما يُبْدي المِزاجُ على الكُؤوسِ حَبابا[2]

وتبوَّأَتْ مِنْ لَهْجَةٍ فَيْنانَةٍ نُزُلاً كأَنْدِيَةِ الكِرامِ رِحابا[3]

هِيَ لَهْجةٌ حَظِيَتْ بِنُطْقِ مُحَمَّدٍ فَزَكا جَناها في اللُّغاتِ وَطابا[4]

لَكِنْ عَرَتْها غَفْوَةٌ وَقَرائِحُ الْـ ـعُلَماءِ تَغْزو أَوْهُداً وهِضابا[5]

مَسَحَتْ عَنِ الجَفْنِ النُّعاسَ يَروعُها أَنْ تُزْدَرى بينَ اللُّغَى وتُعابا[6]

وَرأى رِجالُ العِلْمِ كيْفَ تَكامَلَتْ لَهَجاتُ قَوْمٍ سايَرَتْهُ جِنابا[7]

فاسْتَنْكَفوا أَلاّ يَكونَ شِعارُهُمْ في الدَّرْسِ حَرْفَ الضَّادِ والإِعْرابا

---

(١) الحُجور: جمع الحِجْر، وهو العقل. قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[الفجر: ٥].

(٢) المزاج: ما يمزج به كالماء في الشراب. الحَباب: الفقاقيع التي تعلو الماء، قطرات الندى.

(٣) تبوأ المكان: اتخذه محله، وأقام به. فينانة: كثيرة الشعر؛ أي: غزيرة وواسعة.

(٤) زكا: نما، وزاد. الجنى: ما يجنى من الشجر ما دام غضاً.

(٥) عرا: ألمّ به. قرائح: جمع قريحة، وهي ملكة في نظم الشعر واستنباط العلم. أوهداً: جمع وَهْد، وهي الأرض المنخفضة.

(٦) راع: فزع. تزدرى: تُحتقر، ويستخف بها. اللّغى: جمع لغة، كما تجمع على لغات.

(٧) جانب الشيء: صار إلى جنبه وجنابه.

نَهَضوا كما تَبْغي الكَرامَةُ وانْتَضَوْا   عَزْماً يَرُدُّ الرَّاسِيَاتِ هَبابا[١]

جَنَحوا إلى لُغَةِ الفَصاحَةِ وانْتَقَوْا   كَلِماً كأَحْداقِ المَها خُلاَّبا[٢]

واسْتَوْرَدوا العِلْمَ الحديث حِياضَها   فَسَقَتْهُ بالكَأْسِ الدِّهاقِ رُضابا[٣]

ساروا عَلى نَهْجِ المقاييسِ الَّتي   كانَتْ بِها وَلاَّدةً مِنْجابا[٤]

وَمَنِ اقْتَفَوْا نَهْجَ القِياسِ تَصَيَّدوا   ما لا يُحيطُ بِه اللِّسانُ حِسابا

هي سِيرةٌ عَقَدَتْ لِمِصْرَ زَعامَةً   لِتُقيمَ قِسْطاً أَو تَقولَ صَوابا

والقِسْطُ في رَأْيِ الحَكيمِ سِياسَةٌ   ترعى الهُدى والعِلْمَ والآدابا

أيها الأنسان

أَمَا كَفاكَ ظِباءً أَوْ مَهاً بِرُبَى   حَتَّى تَقَنَّصْتَ آسادَ الشَّرى بِزُبَى[٥]

---

(١) انتضى السيف: استله من غمده. الراسيات من الجبال: الثوابت الرواسخ. الهباب: دقاق التراب.

(٢) أحداق: جمع حدقة، وهي سواد العين الأعظم. المها: جمع المهاة، وهي البقرة الوحشية. خلاّب: يقال: خلبه؛ أي: سلب له عقله.

(٣) الحياض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء. الدهاق: الكأس الممتلئة. الرضاب: الريق، فتات المسك.

(٤) ولادة: مبالغة في الوالدة. منجاب: من الرجال والنساء: من ولد النجباء.

(٥) الظباء: جمع ظبي، وهو الغزال للذكر والأنثى. المها: جمع المهاة، وهي البقرة الوحشية. ربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض. الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل، ويكنى بها عن المكان الذي تكثر فيه الأسود. زبى: جمع زبية، وهي حفرة للأسد.

وَمَا قَنِعْـتَ بمـا يَطْفـو علـى لُجَجٍ فَغُصْـتَ تَلْقُـطُ دُرّاً تَحْتَهـا رَسَـبا[١]

أَلَسْـتَ أَبـدَعْتَ قَـوْلاً تَسْتَبِـنُ بِـهِ ما في الضَّميرِ فَكانَ الثَّغْـرَ والشَّـنَبا[٢]

أَرْسَـلْتَهُ زَمَنـاً فَلِـمْ أَقَمْـتَ لـهُ وَزْناً؟ أَكانَ حَصًى ثُمَّ انْثَنـى ذَهَبـاً؟

قَلَّبْتَ وَجْهَكَ بعْدَ الأَرْضِ في فَلَـكٍ وَبِـتَّ تَرْصُـدُ مِنْـهُ السَّـبْعَةَ الشُّـهُبا

هَلاَّ تَفَقَّهْـتَ عَنْهـا فـي حَقـائِقِ مـا وَراءَهـا وَجَلَـوْتَ الشَّـكَّ والرِّيَبـا

مَشى اليَراعُ على القِرْطاسِ في مَهَـلٍ والرَّأْيُ يَنْزِلُ مِنْ أُفْقِ الحِجا خَبَبـا[٣]

فَكانَ أَنْ زِدْتَ فـي الـدِّيوانِ راقِمَـةً تَخُطُّ في الطِّرْسِ خَطَّ البَرْقِ لَـوْ كَتَبـا[٤]

صُغْتَ الحَديدَ مَطايا إذْ تَلَبَّثَـتِ الْـ ـجِيادُ أَوْ لَقِيتْ مِنْ سَيْرِها نَصَبـا[٥]

واشْتَقْتَ نَجْوى أَليفٍ فاهْتَدَيْتَ إِلـى ما يُمْتِعُ السَّمْعَ مِنْهـا أَيْنَمـا ذَهَبـا[٦]

حَكى الصَّدى صَيْحَةً رَجَّتْ فَجِئْتَ بِمـا يَحْكي القَصائِدَ أَنَّى شِئْتَ والخُطَبـا

ما ضاقَتِ الأَرْضُ يَوْماً عَنْ خُطـاكَ لِمـا صَعَّدْتَ في الجَو تَحْكـي الطَّيْـرَ والسُّـحُبا

---

(١) لجج: جمع لجة وهي معظم البحر.

(٢) تستبين به: تستوضح به. الشنب: ماء ورقة وعذوبة في الأسنان.

(٣) اليراع: جمع اليراعة، وهي القصبة، ويكنى بها عن القلم. الحجا: العقل والفطنة. الخبب: السرعة في العدو، مراوحة الفرس بين يديه ورجليه.

(٤) الراقمة: الآلة الكاتبة.

(٥) مطايا: جمع المطية، وهي الدابة تمطو في سيرها، ويقصد بها: السكك الحديدية. النصب: التعب.

(٦) الأليف: الصديق المؤانس. ويقصد بذلك: الهاتف.

خَطَبْتَ دَهْراً وَلَم تُسْمِعْ سِوى مَـلأٍ وَالْيَوْمَ تُسْمِعُ عُجْمَ الأَرْضِ والْعَرَبـا[١]

حُبُّ الحَياةِ اسْتثارَ العَزْمَ مِنْكَ إلـى طِبٍّ وَحَرْبٍ فكُنْتَ الْبُرْءَ والوَصَبَا[٢]

أَرْسَلْتَ فـي كُـلِّ وادٍ رائـداً فَـدَرى بِحِكْمةِ الْبَحْثِ كُنْهَ الأَمْـرِ والسَّـبَبا[٣]

لِكِنَّنـي مـا دَرَيـتُ الْيَـوْمَ أَنَّـكَ قَـدْ أَكْمَلْتَ في نَفْسِكَ الأَخـلاقَ والأَدَبـا

تدريس صناعة الإنشاء

«من قصيدة قدمها الشاعر إلى نظّار جامع الزيتونة بتونس سنة ١٣٢٨هـ يطلب بها الاهتمام والعناية بدراسة مادة الإنشاء»[٤].

مَقـامُكُمُ الجَـديرُ بـأَنْ يُهابـا وَمَطْلَبُنـا الجَـديرُ بـأَنْ يُجابـا

أَرى بالجـامِعِ السَّـامي بُحـوراً مِـنَ الْعِرْفـانِ زاخِـرةً عِـذابا[٥]

وَلَكِـنَّ الخَصاصَـةَ فـي فُنـونٍ تَهـيجُ بِنـا المَخاقَـةَ أَنْ نُعابـا[٦]

فَـإِنَّ صِـناعَةَ الإِنْشـاءِ خاسَـتْ بِضـاعَتُها فَلَـمْ تَبْلُـغْ نِصـابا[٧]

وكَيْـفَ يَعِـزُّ والأَلْفـاظُ فُصْـحَى عَلَيْنـا أَنْ نُعيـدَ لهـا الشَّـبابا

---

(١) الملأ: الجماعة. العجم: خلاف العرب. ويقصد الشاعر من هذا البيت: المذياع (الراديو).

(٢) البرء: الشفاء. الوصب: المرض.

(٣) الرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً يترلون فيه. ومنه قولهم: «الرائد لا يكذب أهله».

(٥) الجامع السامي: جامع الزيتونة بتونس.

(٦) الخصاصة: الفقر.

(٧) خاست: تغيرت وفسدت. النصاب: الأصل، وأول كل شيء.

وَلا نَرْمـي بسَـهْمِ الْفِكْـرِ إلاَّ   يَقـولُ الْعَـالِمونَ لَقَـدْ أَصـابا
نُجَـرِّدُ للْمَعـالي سَـيْفَ حَـزْمٍ   يُمَـزِّقُ دونَ طَلْعَتِهـا الحِجابـا
ومَـنْ صَـرَفَ الْعِنايَـةَ فـي ارْتِقـاءٍ   إلى أَعْلى الـذُّرى اقْـتَحَمَ الْعِقابا[1]
ونُضْـرِبُ عَـنْ مَقالَـةِ مَـنْ نَعاهـا   لِيُخْمِـدَ مِـنْ عَزائِمنـا الْتِهابـا[2]
يقـولُ ابـنُ العَميـدِ لَهـا خِتـامٌ   وَعِنْـدَ فَواتِـهِ نَفَضَـتْ جِرابـا[3]
فَتِلْـكَ شَـهادَةٌ مَسَـحَ التَّغـالي   عَلَيْهـا مِـنْ سَـماجَتِهِ خِضـابا[4]
فَكَـمْ مِـنْ فِتْيَـةٍ هَـزُّوا يَراعـاً   وأَجْلَـوا عَـنْ مَباسِـمِها النِّقابـا[5]
جَنَـوْا مِـنْ دَوْحِهـا ثَمـراً لَذيـذاً   وأَجْـرَوْا مِـنْ عُصـارَتِهِ رُضـابا[6]

---

(١) العقاب: جمع عَقَبة: وهي المرقى الصعب في الجبل.

(٢) نعى: أخبر بالموت.

(٣) ابن العميد: (. . . ـ ٣٦٠هـ) محمد بن الحسين العميد بن محمد، تولى الوزارة في عهد ركن الدولة البويهي، من أئمة الكتاب والسياسة. قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد (الكاتب)، وختمت بابن العميد، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، ومات بهمذان. الجِراب: الوعاء.

(٤) التغالي: يقال: تغالى الشجر: التف وعظم. السماحة: القبح. الخضاب: ما يخضب به.

(٥) اليراع: القصب، الواحدة يراعة، وأريد بها: القلم. أجلوا: كشفوا. المباسم: جمع مبسم، وهو الثغر. النقاب: القناع، أو البرقع.

(٦) الدوحة: الشجرة العظيمة، وتجمع على دوح. الرضاب: الريق، فتات المسك.

وَلا تَرْقَـى شُـؤونُ الشَّـعْبِ إلاَّ ... بِـأَقْلامٍ تُناقِشُـهُ الحِسـابا

وتَكْشِـفُ عـن مُحيَّـا الحَـقِّ لَبْسـاً ... أثـارَ عَلـى وَسـامَتِهِ سَـحابا[1]

ومـا الحـادي بِشِـعْرِ أَبـي فِـراسٍ ... وقَـدْ جِسَّـتْ أَنامِلُـهُ الرَّبابـا[2]

بِأَعْـذَبَ مِـنْ صَـدى قَلَـمٍ تَهـادى ... عَلـى طِـرْسٍ يَخُـطُّ بـه كِتابـا[3]

عبرات الأشجار

«قيلت في قرية لنداو، والثلج على الأشجار، وقد طلعت عليه الشمس، فأخذ يذوب، وقرية لنداو على بحيرة بودن بألمانيا».

نَسَجَ الْغَمَـامُ لِهَـذِهِ الأَشْـجارِ مِـنْ ... غَـزْلِ الثُّلـوجِ بَراقِعـاً وَجَلابِبـا[4]

والشَّمْسُ تَبْعَثُ في الضُّحى بِأَشِـعَّةٍ ... تَسْـطو عَلـى تِلْـكَ الثِّيـابِ نَواهِبـا

فَبَكَتْ لِكَشْفِ حِجابِها أَوَ مـا تَـرى ... عَبَراتِهـا بَـيْنَ الْغُصـونِ سَـوَاكِبا[5]

---

(١) اللَّبْس: اختلاط الظلام. الوسامة: أثر الحسن.

(٢) الحادي: الذي يسوق الإبل ويغني لها. أبو فراس الحمداني: (٣٢٠ ـ ٣٥٧هـ) الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أمير وشاعر وفارس، وهو ابن عم سيف الدولة، سكن منبج في سورية، وجرح في معركة مع الروم، فأسروه سنة ٣٥١هـ، وقتل في تدمر. وكان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك، وانتهى بملك، ويعني: امرأ القيس، وأبا فراس.

(٣) الطرس: الصحيفة، جمع أطراس وطروس.

(٤) الغمام: السحاب، جمع غمائم. الغزْل: المغزول. الجلابب: أصلها الجلابيب، وقد حذفت الياء، جمع الجلباب: وهو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء.

(٥) عبرات: جمع عَبرة، وهي الدمعة قبل أن تفيض.

ريح تنسف في روضة

«قيلت في برلين».

جادَ هـذا الـرَّوْضَ غَيْـثٌ فَـازْدَهى ... وَغَـــدا بُلْبُلُـــهُ يُطْـري السَّــحابا
وتَمــادى مُسْــهِباً فــي مَدْحِــهِ ... فحثَـتْ فـي وَجْهِـهِ الـرِّيْحُ تُرابـا[1]

وجه الموت غير كئيب

«قيلت على فراش المرض بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ».

أَقــولُ فَــلا أَرْتــادُ غَيْــرَ خَصــيبِ ... وأَنْظِــمُ لَكِــنْ لا أُطيــلُ نَســيبي[2]
أَجِـــدُّ وإنْ رامَ النَّــــديمُ دُعابَـــةً ... فَلَـمْ تَـرَ غَيـرَ الجِـدِّ عَـيْنُ رقيبـي
أَحُثُّ إلـى داعـي المَعـالي مَطِيَّتـي ... وَلَسْتُ إذا يَدْعو الهوى بمُجِيـبِ[3]
ومَا بَرِحَتْ هَـذي الحَيـاةُ تَروعُنـي ... بِكَبْـــوَةِ آمـــالٍ وَفَقْـــدِ حَبيـــبِ
فَأَنْكَرْتُهــا لا الْبَـدْرُ يَطْلُـعُ مُؤْنِسـاً ... وَلا الرَّوْضُ يُسْليني بِنَفْحَـةِ طيـبِ
وَمــا لَيْلُهــا إلاَّ سَــريرَةُ حاسِــدٍ ... وما صُـبْحُها إلاَّ بَيـاضُ مَشـيبِ[4]
أَطَلَّ علَيَّ المَوْتُ مِنْ خِلَـلِ الضَّـنا ... فَآنَسْتُ وَجْهَ الموْتِ غَيْـرَ كَئيـبِ[5]

---

(١) أسهب في الكلام: أكثر منه وأطال. حثا التراب: هاله بيده، ومعنى هذا البيت مقتبس من الحديث الشريف: «احثوا التراب في وجوه المداحين».

(٢) ارتاد الشيء: طلبه. النسيب: تشبيب الشاعر بالمرأة.

(٣) أحثَّ الفرس على العدو: صاح به. المطية: الدابة تمطو في مشيتها.

(٤) السريرة: السر الذي يكتم. المشيب: الشيب، وهو الشعر وبياضه.

(٥) الضنا: المرض والهزال، وسوء الحال.

وَلَـوْ جَـسَّ أَحْشـائي لَخِلْـتُ بَنانَـهُ وإِنْ هــالَ أَقْوامــاً بَنــانُ طَبيــبِ
فَلا كانَ مِـنْ عَـيْشٍ أَرى فيـهِ أُمَّتـي تُســاسُ بِكَفَّـيْ غاشِـمٍ وغَريـبِ[1]

شكر على تقريظ

«عندما ألّف الشاعر كتابه «الخيال في الشعر العربي» أرسل إليه حضرة اللغوي الأستاذ الشيخ عبد القادر بن المبارك الجزائري قصيدة قرظ بها الكتاب، وهي المنشورة في الحاشية. وقد أجابه الشاعر بالقصيدة التالية سنة ١٣٤٠ هـ»[2].

---

(١) ساس الأمة: قام عليها. الغاشم: الظالم والغاصب. الغريب: المستعمر إطلاقاً.

(٢) نص قصيدة الأستاذ عبد القادر بن المبارك التي بعث بها إلى الشاعر:

لمحمـد الخضـر الحسين التونسـي سـامي كتـاب خيـال شـعر مـؤنس
يحـوي فنـون قـوى المفكـرة التـي هـي ربّـة المعنـى الأغـرّ الأنفـس
طالعتــه فظننــت أن قــد ضــمني فـي جنّـة الشـعراء أبهـى مجلـس
أُسـرى إليـه بـي الخيـال ودأبـه أن يقطـع الفلـوات غيـر معـرّس
فتمثّلــت لــي ثــروة الشـعر التـي هـي سـر إغنـاء الخيـال المفلـس
ورأيــت أفلاكــاً كواكبهــا النهــى ومقامهــا فـوق الجـواري الكـنس
وزمانهــا أســحار ليــل مقمــر فـي الطيـب أو آصـال يـوم مشـمس
ونوابـغ الشـعراء فيهـا اسـتعمروا وطنـاً بغيـر نبـوغهم لـم يحـرس
لاذوا بـه مـن غلظـة الأرض التـي لــولا مــزاج بـارد لـم تـوبس
وهنالـك «الخضـر» اجتلـى بخيالـه مـا يجتلـي الطيـار فـوق الأرؤس
في جـو شـعر العـرْب حلّـق راسـماً أسمى عروس شـعور تلـك الأنفـس
وعلـى اتسـاع خيـالهم وسـمّوه لـم يبـق فـي آفاقـه مـن حنـدس
فبـدا خيـال الشـعر لـي ببيانـه كالجسم موصـوفاً بـرأي مهنـدس =

يـا رُبـىَ تَرْفُـلُ فـي حُسْـنٍ وطَيـبِ	والصَّبا تَخْفِقُ بالغُصْـنِ الرَّطيـبِ[1]
هـاجَ ذِكْـراكِ شَـذا الأُنْـسِ الَّـذي	هَبَّ مِنْ أَرْدانَ واديـكِ الخَصيـبِ[2]
هــاجَ ذِكــرى زَمَــنٍ يَبْسِــمُ فــي	جِلَّــقَ الْفَيْحــاءِ بِـالثَّغرِ الشَّـنيبِ[3]
كَيْـفَ أَسْـلوهُ وَفـي الْقَلْـبِ لَـهُ	شَـوْقُ مِهْيَـارَ لِيَـوْمٍ بالجَريـبِ[4]

= بـل كـاد مـن روح البيـان يقـول لـي	أنــا جــوهر فــانظر إلــيَّ أو المــس
يســلو الأديــب علــى نزاهتــه بــه	عن مطربه وعـن شـموس الأكـؤس
ويكـــاد يغريـــه انســـجام حديثـــه	بالزهـــد فـــي إســـتبرق أو ســـندس
وكـأن كـل صـحيفة مـن صـحفه	ضـمت غـذاء الـروح للمـتلمس
صــفحاته تســعون لــذ ســميرُها	فيهــا مســامرة الخيــال الكــيس
لــم أنتقــد إلا علــى خطــأٍ جــرى	فــي طبعــه وخلــوه مــن فهــرس
فليحـــي رب يراعـــة فـــي شـــرعها	حتــى الخيــال حقوقــه لــم تــبخس
دهـــر يجـــود لعمـــري محســـن	فعــلام يوصــم بالبخيــل وبالمُســي

(١) الربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض. ترفل: تجر ذيلها، تتبخر. الصَّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٢) أردان: جمع الرُّدن وهو أصل الكم.

(٣) جلق والفيحاء: من أسماء دمشق. الفيحاء: الواسعة من الدور. الشنيب: من به شَنَب؛ أي: ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان.

(٤) مهيار: مهيار بن مرزويه الديلمي (. . . ـ ٤٢٨هـ) شاعر كبير، وكاتب فارسي الأصل من أهل بغداد، وتوفي بها، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم، درس على شيخه الشريف الرضي، وأسلم على يديه بعد أن كان مجوسياً. له ديوان مطبوع من أربعة أجزاء. الجريب: اسم مكان، وهذا البيت إشارة إلى قول مهيار:

نظــرة منــك ويــوم بالجريــب	حسـب نفسـي مـن زمـاني وحبيبـي

مُهْـــدِيَ الشِّـــعْرِ الَّـــذي باكَرَنَـــا | في رِفافِ النِّيلِ بـالْبُرْدِ الْقَشـيبِ[(١)]
أَنْـتَ بَحْـرُ اللّغَـةِ الْفُصْـحى وكَـمْ | جُـدْتَ بالمَـأْنوسِ مِنْهـا والغَريـبِ
فَلِمــاذا تَنْسُــجُ الأَشْــعارَ مِــنْ | حَبَـبِ الْكَـأْسِ وأَخْـلاقِ الأَديـبِ
صُغْتَ (عَبْدَ الْقـادِرِ) التَّقْـريظَ فـي | طَـرْزِ حَسَّــانَ وإبــداعِ حَبيــبِ[(٢)]
لـم أُجِـدْ صُـنْعاً ولا هَـزَّتْ يَـدي | قَلَمــاً يَبْهَــرُ بالسِّــحْرِ الْعَجيــبِ
وبــديعُ السِّــحْرِ فــي وِدٍّ صَــفا | وأَراكَ الحُسْـنَ فـي وَجْـهِ المَعيـبِ
خُضْــتُ فــي بَحْــرٍ خَيــالٍ وأَنــا | مُـوجِسٌ خِيفَـةَ تَثْريـبِ الرَّقيـبِ[(٣)]
إِذْ خَيالُ الشِّـعْرِ مِـنْ مَرْعـى الْفَتـى | ويَراعـي ارْتـادَهُ حـالُ المَشـيبِ[(٤)]
رادَهُ فــي سَــحَرِ الْعُمْــرِ وَمــا | سَـحَرُ الْعُمْـرِ لِلَهْـوٍ بنَسـيبِ[(٥)]
إنَّمــا عَلَّلْــتُ نَفْســاً راعَهــا | ذلِـكَ الْبَـيْنُ بِمَـرْآهُ الْكَئيـبِ[(٦)]

---

(١) باكر: أتاه بُكرة. القشيب: الجديد، الأبيض، النظيف.

(٢) عبد القادر: (١٣٠٤ ـ ١٣٦٤هـ) عبد القادر بن محمد المبارك الجزائري الدمشقي. أديب ولغوي، له مؤلفات عديدة. التقريظ: المدح.
حسان: (. . . ـ ٥٤هـ) حسان بن ثابت الأنصاري، شاعر النبي ﷺ، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سكان المدينة، وتوفي بها، له ديوان مطبوع. وحبيب: (١٨٨ ـ ٢٣١هـ) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أحد أمراء الشعر والبيان، ولد في جاسم بسورية، وتوفي بالموصل، له ديوان مطبوع.

(٣) التثريب: العتاب واللوم.

(٤) اليراع: القصب، ويقصد به القلم.

(٥) راد الشيء: طلبه. السَّحَر: قبيل الصبح. النسيب: القريب.

(٦) راع: فزع. البين: الفرقة. ويشير هنا إلى مفارقته دمشق.

وتَأَسَّيْتُ بِذي الجِدِّ الَّذي ... يَدْخُلُ الحِكْمَةَ مِنْ بابِ النَّسيبِ[١]

أَمْحَضُ الأُستاذَ شُكْراً ساطِعاً ... بَيْنَ صافي الوِدِّ والشَّوْقِ المُذيبِ[٢]

وَسَلاماً مِنْ بَعيدٍ كُلَّما ... عَزَّ إلْقاءُ سَلامي مِنْ قَريبِ

تمثال الأخلاّء

حَنانَيْكَ ما التِّمْثالُ باعِثُ سَلْوَةٍ ... إذا غابَ عَنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ حَبيبُ

أُسيمُ بِهِ طَرْفي لأُطْفِئَ لَوْعَةً ... فَيَزْدادُ في قَلْبي المَشُوقِ لَهيبُ[٣]

الأخ الصديق

«أبيات قالها في أخيه السيد محمد المكي بن الحسين أيام كانا بدمشق»[٤].

دَعَتْني إلى وِدِّه فِطْنَةٌ ... يُجيدُ بِها إنْ سَأَلْتُ الجَوابا

وَما بَيْنَ بُرْدَيْهِ إلاَّ أَخٌ ... يُؤانِسُني إنْ فَقَدْتُ الصِّحابا[٥]

أَرومُ عِتاباً عَلَيْهِ وكَمْ ... تَفَرَّسَ ما رُمْتُهُ فَأَصابا

---

(١) تأسى به: جعله أسوة. النسيب: تشبيب الشاعر بالمرأة.

(٢) محض: أخلص.

(٣) أسام إليه بطرفه: رماه به. الطرف: العين.

(٤) محمد المكي بن الحسين: (١٢٩٩ ـ ١٣٨٣هـ) الأخ الأصغر للشاعر، من كبار علماء اللغة، ولد وتوفي بتونس. من آثاره: عادات عربية ـ أسماء لغوية ـ نوادر في اللغة ـ نوادر في الأدب ـ حكم وأخلاق عربية ـ أمثال عربية ـ كلمات للاستعمال.

(٥) البرْد: الثوب المخطط.

يَهُبُّ على وَجْهِهِ خَجَلٌ فَيَصْفو ضَميري وأنْسى الْعِتابا

الأحرار

أَبى الأَحْرارُ أَنْ يَحْنُوا رُؤوساً عَلَى هَونٍ فتَرْكَبُها العُيوبُ[1]

وَقالوا عِزَّةُ الأَوطانَ أَن لا يَقُومَ مِنَ العِدا فيها رَقيب

وأَشْقَى النَّاسِ أَحْرارٌ تَولَّى شُؤونَهُمُ عَلَى رَغْمٍ غريبُ

فَلاذوا بِالقَنا إذْ لاذَ قَومٌ بِأَقْوالٍ يُنَمِّقُها الخَطيبُ

ولا يَحْمي البلادَ سِوى اتِّحادٍ يَشُدُّ عُراهُ إقْدامٌ مَهيبُ

في مجلس أدب بتونس

«في مجلس ضم بعض الأدباء بتونس جرى فيه ذكر العاذل والرقيب».

أَيَهْنَأُ عَيْشي وَيَحْلو الهَوى وَلي عاذِلٌ وَعَلَيْكُمْ رَقيبُ[2]

فَيا لَيْتَ في فَمِ هذا الَّذي يَمُجُّ المَلامَ حَصًى لا يَذوبُ[3]

وَفي عَيْنِ ذاكَ الرَّقيبِ قَذًى يُلِمُّ بِها وَيَحارُ الطَّبيبُ[4]

في الدَّين

«قيلت سنة ١٣٦١هـ».

أَتَكْسِبُ خَمْساً وتُنْفِقُ سِتاً ضَلَلْتَ لَعَمْري سَبيلَ الأَريبِ

---

(١) بتصرف.

(٢) العاذل: اللائم.

(٣) مجّ الشراب من فيه: رمى به.

(٤) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

هُــوَ الــدَّيْنُ إِنْ جِئْتَــهُ فَارْتَقِــبْ ... نَهــارَ الــذَّليلِ وَلَيْــلَ الْكَئيــبِ
وَطَـعْـمُ الهَـوانِ ـ وَمــا ذُقْـتُـــهُ ـ ... أَمَـرُّ مِـنَ الْمَـوتِ قَبْـلَ المَشيـبِ[١]

قطب رحى الحرب

حَياتُــكَ مِــرآةٌ وأَنْفَــسُ مــا تَــرى ... حِسانٌ مِنَ الْعِرفانِ والْفِكْرُ خاطِـبُ
وما الْفِكْـرُ إلاَّ الـرَّأْيُ تَقْـدَحُ زَنْـدَهُ ... فَتبْصِرُ ما أَخْفَتْ عَلَيْكَ الْغَياهِـبُ[٢]
ورُبَّ امْرِئٍ ساواكَ بالرَّأْيِ وانْـزَوَى ... خُمولاً وأَنْتَ المسْتَشارُ المحارِبُ[٣]
بِسَـطْوَةِ حَـزْمٍ واحْتِـدامِ حَماسَـةٍ ... تُـزاحُ خُطـوبٌ أَوْ تُتـاحُ مـآرِبُ[٤]
يُدَبِّرُ شَأْنَ الحَرْبِ كُـلُّ مَـنِ ارْتَـدى ... بَإِقْـدامِ قَـرْمٍ هَذَّبَتْـهُ التَّجـارِبُ[٥]
وقُطْـبُ رَحاهـا مَـنْ يُـدبِّرُها وقَـدْ ... عَلاهُ مِنَ النَّقْـعِ المُثـارِ سَـحائِبُ[٦]

العيد

مَا العيدُ للشَّعْبِ في تَنْميـق أَثْـوابِ ... وَلاَ مُلاقَــاةِ إِخْــوانٍ وأَصْــحابِ
وإنَّمــا العِيــدُ أَنْ يُحيــي بَصـائِرَهُـمْ ... بِنُــورِ هَــدْيٍ وعِرفــانٍ وآدابِ

---

(١) الهوان: الذل. وقول الشاعر: «وماذقته»؛ أي: طعم الهوان، دليل على سمو النفس وعلوها.

(٢) الزند: العود الذي تقدح به النار. الغياهب: الظلمات، واحدها الغيهب.

(٣) انزوى: انقبض.

(٤) احتدام: اشتداد واشتعال. الخطوب: جمع الخطب، وهو الأمر صغُر أو عظُم.

(٥) القَرْم: الفحل لم يمسه حبل، ولم يحمل عليه، السيد العظيم، جمع قروم.

(٦) القطب: سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم. الرحى: الطاحون. النقع: الغبار.

ما بين السُّطور

أُطـالِعُ مـا صـاغَ الْبَليـغُ فَـأَقْتَني ... لآلِـىءَ لا أُحْصـي لَهُـنَّ حِسـابا

وَطَالعَـهُ زَيْـدٌ وعـادَ يَقـولُ لـمْ ... أَجِدْ مِنْهُ بَحْراً بلْ وَجَدْتُ سَرابا[1]

فَلَمْ يَرَ زَيْدٌ غَيْرَ مـا في سُطورِهِ ... وأَبْصَرْتُ مِنْ بينِ السُّطورِ كِتابـا

وأَنْكَدُ ما في الْعَيْشِ صُحْبَةُ مَنْ يَرَى ... اللُّبـابَ قُشـوراً والْقُشـورَ لُبابـا

ثوب المذنب كفن

أَيَـا مَـنْ خـاطَ لـي ثَوْبـاً قَشـيباً ... وَقَـدْ مُلِئَـتْ صَحائِفُ مِـنْ ذُنـوبي

أَتَصْـنَعُهُ بِـلا جَيْـبٍ، وَهَـذا ... يُعَـدُّ لَـدَى الرِّجـالِ مِـنَ الْعُيـوبِ؟

فَقالَ: أَلَسْتَ في الموتَى، وَمَـنْ ذا ... رأَى الأَكْفـانَ تُصْـنَعُ بـالجُيُوبِ؟

تقلّب الزمان

لا تَغْـلُ فـي مَـرَحٍ إِذا ... بَسَـمَ الزَّمـانُ ورَحَّبـا[2]

وَتَلَقَّـهُ بِتَجَلُّـدٍ ... مَهْمَـا جَفـاكَ وَقَطَّبـا

هُـوَ إِنْ تَصِـفْهُ مُشَـبِّهاً: ... كَـالْمِنْجَنُونِ تَقَلُّبـا[3]

---

(١) البحر: ضد البر، قيل سمي به؛ لعمقه واتساعه. السراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء، ويضرب به المثل في الكذب والخداع، يقال: «هو أخدع من السراب».

(٢) تغل: غلا في الأمر: جاوز فيه الحد. المرح: شدة الفرح والنشاط.

(٣) المنجنون: والمنجنين: الدولاب التي يستقى عليها.

إهابة

«قيلت بتونس في التذكير بإعانة بعثة الهلال الأحمر التركية التي مرت بتونس إلى طرابلس أيام الحرب الإيطالية سنة ١٣٢٨هـ».

رُدُّوا عَلى مَجْدِنا الـذِّكْرَ الَّـذي ذَهَبـا ... يَكْفي مَضاجِعَنَا نَوْمٌ دَهَـى حُقُبـا[1]

وَلا تَعـودُ إلـى شَـعْبٍ مُجادَتُـهُ ... إلاَّ إذا غـامَرَتْ هِمَّاتُـهُ الشُّـهُبا[2]

حَيَّـاكُمُ اللهُ قَـومي إنَّ خَـيْلَكُمُ ... قَدْ ضُمِّرَتْ وَالسِّباقُ الْيَوْمَ قَدْ وَجَبا[3]

هَلْ جاءَكُمْ مِنْ حَديثِ الْقَوْمِ إذْ هَجَروا ... ديارَ مَنْ أَلِفوا والـواديَ الخَصِبـا[4]

لَبَّوْا نِداءَ الضَّـميرِ الحُـرِّ وَاقْتَحَموا ... لُجَّ الخِضَمِّ الَّذي لاقَوْا بـهِ نَصَبا[5]

خاضُوا مَلاحِمَ جَيْشٍ في طَـرابُلُسٍ ... لِيَصْرِفُوا الهَمَّ عَنْ جَرْحاهُ والوَصَبا[6]

وأَحْمَدُ النَّاسِ سَعْياً مَـنْ يَمُـدُّ إلـى ... إسْـعافِ جِيرَتِـهِ يَـوْمَ الـوَغى سَـبَبا

---

(١) دهاه: أصابه بأمر عظيم. الحُقْب: ثمانون سنة، ويقال أكثر من ذلك.

(٢) مجادته: عزته وشرفه. غامرت: قاتلت ولم تبال بالموت هماته: جمع همة، وهي العزم القوي. الشهب: شعلة من نار ساطعة أو كل مضيء متولد من نار.

(٣) ضمّرت: ضمَّر الخيل: ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن، ثم قلل ماءها وعلفها مدة، وركضها في الميدان حتى تهزل. ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً.

(٤) القوم: يريد بهم أعضاء بعثة الهلال الأحمر التركية.

(٥) الخضم: البحر. النصب: التعب، وقد احتجزت السلطات الإيطالية آنذاك بعثة الهلال الأحمر التركية في عرض البحر الأبيض المتوسط، وأخذتهم من باخرة فرنسية، وتدخلت حكومة فرنسا وأطلقت سراحهم.

(٦) الوصب: المرض.

هـذا السَّـبيلُ جَـديرٌ أَنْ نَجـودَ لَـهُ ... بالمالِ كُـلٌّ علـى مِقْـدارِ مـا كَسَـبا

لا خَيْرَ في أُمَّةٍ شَحَّتْ ومـا بَسَـطَتْ ... أَكُفَّهـا بِعَطايـا تَكْشِـفُ النُّوَبـا[1]

والنَّفْسُ إنْ جَمَحَتْ نَكْبَحْ شَراسَـتَها ... بِمُحْكَمِ الْقَوْلِ حَتَّى تُدْرِكَ الأَدَبـا[2]

فَلْيَبْسُطِ الْكَفَّ مَـنْ كانَـتْ عَـواطِفُـهُ ... مِثْـلَ النَّسـيمِ إذا ناجـاهُ زَهْـرُ رُبـى

ولْيُحْجِمِ الطَّرْفَ مَنْ يَحْدُو به سَـرَفٌ ... وَلْيَصْحُ مِنْ سُكْرِه مَـنْ يعْشَـق الـذَّهَبا[3]

تِلْكَ المَمَالِـكُ تَرْنـو حَوْلَنـا لِتَـرى ... نَـوالَ تُـونُسَ ثَمْـداً كـانَ أَمْ عَبَبـا[4]

وتِلْكَ أَقْـلامُ أَرْبـابِ الفَصـاحَةِ قَـدْ ... هَبَّتْ لِتُلْقِـيَ فـي تَمْجيـدِكُمْ خُطَبـا

وفَــوْقَ هــذا جَـزاءٌ لا نفــادَ لَـهُ ... واللهُ أَكْـرَمُ مَـنْ جـازى ومَـنْ وهَبـا

❑ ❑ ❑

---

(١) شحت: بخلت. النُّوَب: جمع النُّوبة، وهي النازلة والمصيبة.

(٢) جمح الفرس براكبه: استعصى حتى غلب راكبه. نكبح: كبح الدابة باللجام: جذبها إليه، وضرب فاها به لتقف ولا تجري، وقيل: جذب عنانها حتى تصير منتصبة الرأس.

(٣) الطرف: العين. السرف: تجاوز الحد والاعتدال.

(٤) النوال: العطاء والنصيب. الثمد: الماء القليل الذي لامادة به. العبب: المياه المتدفقة.



قافية التاء

تقريط

«قيلت في تقريط «السعيديات» ديوان الشاعر التونسي السعيد أبي بكر»[١].

(أَبـا بَكْـرٍ) نَظَمْـتَ ومـا مَـدَحْتا ... فَهأَنــذا أُقَــرِّظُ مــا نَظَمْتــا[٢]

وَمـا التَّقْـريظُ إلاَّ الشُّـكْرُ يُهْـدى ... عَلـى مـا صُغْتَ مِـنْ أَدَبٍ وصُنْتا

ولسْـــتُ أَقــولُ ذا دُرٌّ نَضــيدٌ ... لأنَّـكَ مـا الْتَقَطْـتَ ولا نَضَـدْتا[٣]

وَلسْـــتُ أَقــولُ ذا زَهْــرٌ أَنيــقٌ ... لأنَّـكَ مـا غَرَسْـتَ ولا قَطَفْتـا[٤]

ولســتُ أَقــولُ راحٌ فــي زُجــاجٍ ... لأنَّـكَ مـا عَصَـرْتَ ولا سَـبَكْتا[٥]

وقَــدْ لَهَجــوا بِقَــوْلِهِمُ: (بَــديعٌ) ... (بَليـغٌ) (فـائِقٌ) حَتَّـى سَـئِمْتا[٦]

---

(١) سعيد أبو بكر (١٣١٧ ـ ١٣٦٧هـ) أديب وشاعر تونسي ولد في مكنين بالساحل التونسي، وتوفي بالعاصمة تونس. أصدر مجلة «تونس المصورة»، له ديوان «السعيديات» مطبوع، ومؤلفات أخرى.

(٢) قرظ فلاناً: مدحه وهو حي.

(٣) نضيد: نضد المتاع: جعل بعضه فوق بعض.

(٤) أنيق: حسن مُعْجب.

(٥) الراح: الخمر. سبك الذهب: أذابه، وخلصه من خبثه.

(٦) لهج بالشيء: أغري به، فثابر عليه.

«أَبـا بَكْـرٍ» أَرى شِـعْراً عَبوسـاً … فَـأَذْكرُ سَـيْفَ بِشْـرٍ والسَّـبَنْتَى[1]

وَأَقْـرَأُ تـارةً شِـعْراً رَصـيناً … أَتَنْحِتُـهُ مِـنَ الجَـوْزاءِ نَحْتـا

تُجاهِـدُ فـي سَـبيلٍ يَبْتَغيهـا … غَريـبٌ غاشِـمٌ عِوَجـاً وَأَمْتـا[2]

تُكافِحُـهُ وَقَـدْ طَفَحَـتْ يَـداه … بِعُسْـفٍ يَمْـلأُ الأَفْـواهَ صَـمْتا[3]

وَلَـيسَ الشِّـعْرُ بالصَّمْصـامِ يَلْـوِي … ذِراعَيْ مَـنْ يَصُـبُّ الهَـوْنَ بَحْتـا[4]

بَـلِ الشِّـعْرُ الحَكـيمُ ثِقـافُ سُـمْرٍ … تُسَـمِّيها القُلُـوبُ إِذا نَطَقْتـا[5]

شُـعورٌ فَـائْتِلافٌ فَاتِّحـادٌ … فَعَـزْمٌ يَسْـحَتُ الإِرْهـاقَ سَـحْتا[6]

«أَبـا بَكْـرٍ» أُعيـذُكَ مِـنْ خَيـالٍ … يَـروغُ عَـنِ الهُـدى وَيَحـوكُ بَيْتـا

وفـي الشُّـعَراءِ مَـنْ ضـاقَتْ خُطـاهُ … وَفاتَتْـهُ الحَقـائِقُ وهـي شَـتَّى

فَـراحَ يَخـالُ لَهْـوَ القَـوْلِ جِـدّاً … وَيَنْفُـثُ فـي مَكـانِ الرُّشْـدِ بُهْتـا[7]

---

(١) بشر: بشر بن عوانة العبدي الذي أتى على ذكره بديع الزمان الهمذاني في المقامة البشرية، والذي عرض له أسد وهو يبتغي مهراً لابنة عمه، فثبت له وقتله. السبنتى: النمر.

(٢) الغريب: المستعمر إطلاقاً، ويريد هنا: المستعمرين الفرنسيين. الغاشم: الظالم والغاصب. الأمت: الوهن والضعف.

(٣) طفحت: امتلأت. العسف: الظلم.

(٤) الصمصام: السيف لا ينثني. الهون: الهوان والذل. البحت: الصِّرْف والخالص من كل شيء.

(٥) الثقاف: آلة تسوّى بها الرماح، السُّمْر: واحدها الأسمر، وهو الرمح.

(٦) سحت الشيء: استأصله.

(٧) ينفث: يرمي من فيه. البهت: الكذب.

وشِـعْرُ الْعُـربِ ذو نَظْـمٍ، فَرِفْقـاً بهـا إنْ شِـئْتَ رِفْقـاً واسْـتَطَعْتا
لَعَـلَّ الـذَّوْقَ لا يَسْـلو نِظامـاً تَزَحْزَحَ عَنْهُ بَعْضُ الْقَوْلِ بَغْتا[1]
وكانَ قَـريضُ «تـونُسَ» فـي صَفاءٍ وإبْـداعٍ يُضـاهي الشُّـهْبَ نَعْتـا[2]
فَلاقى مِـنْ صُـروفِ الـدَّهْرِ عُسْـفاً فَنَضَّـبَ مـاؤُهُ واغْبَـرَّ نَبْتـا[3]
أيَزْهـى بُلْبُـلٌ فـي كَـفِّ طِفْـلٍ يُمِـضُّ الْبُلْبُـلَ الْغِرِّيـدَ مَقْتـا[4]
ومـا هُـوَ كـالطَّليقِ يَمـيسُ تِيهـاً ويَشْـدو فَـوْقَ أُمْلـودٍ تَمَتّـى[5]
«أَبـا بَكْـرٍ» أَخَـذْتَ تُعيـدُ مَجْـداً هَـوى فَـابْغِ الأَنـاةَ إلَيْـهِ سَـمْتا[6]
وخَـلِّ الْبَخْـتَ يَسْـعى لِلكُسـالى وَسَـمِّ الحَـزْمَ والإقْـدامَ بَخْتـا

كيف ألقى النّعيم إن أنا متّ[7]

رُمْـتُ أَنْ أَفْقَـهَ الحيـاةَ وأَدْري كَيْـفَ أَلْقَـى النَّعـيمَ إنْ أَنـا مُـتُّ
قِيلَ: في الْغَـرْبِ كـلُّ سِـرٍّ تَجَلّـى بِبيـانٍ وَكُـلُّ صُـلْبٍ يُفَـتُّ

---

(١) بغتاً: فجأة.

(٢) القريض: الشعر. يضاهي: يشابه. النعت: الصفة.

(٣) العسف: الظلم. نضب الماء: غار في الأرض.

(٤) يمضّ: يؤلم ويوجع. الغرّيد: المطرب بصوته.

(٥) يميس: يتبختر. التيه: الصلف والكبر. أملود: الناعم من الناس والغصون. تمتّى: تمطى.

(٦) هوى: سقط من علو إلى أسفل. الأناة: الحلم والوقار. السمت: الطريق.

(٧) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد الرابع عشر.

هـاتِ يـا مُسْـعِدُ الحقيبَـةَ إنِّـي | قَدْ عَزَمْتُ الرَّحيلَ وَالْعَـزْمُ صَـلْتُ[١]
خُـضْ بِنـا رائِـدَ السَّـفينَةِ بَحْـراً | سـادَ فـي مَتْنِـهِ هُـدُوٌّ وصَـمْتُ[٢]
لا أَهـابُ الخُطـوبَ يَوْمـاً وَلَكِـنْ | خِفْـتُ أَنْ يَسْبِـقَ الهِدايَـةَ مَـوْتُ
فَحَمِـدنا السُّـرى غَـداةَ هَبَطْنـا | بَلَـداً عـاشَ فـي رُبـاهُ «دِكَـرْتُ»[٣]
وَقَضَـيْتُ السِّـنينَ مُسْتَقْصِـياً فـي | كُلِّ دَرْسٍ ما قالَ «رِسْطو» و«كَنْـتُ»[٤]
ودَعَـوني الـدّكْتور بَـلْ مَنَحُـوني | لَقَـبَ الْفَيْلَسـوفِ لَمَّـا نَبَغْـتُ
عُـدْتُ لِلشَّـرقِ والحَقائِـبُ مَـلأَى | بِطُـروسٍ أَوْدَعْتُهـا مـا دَرَسْـتُ[٥]
فَأَنـا الْفَيْلَسـوفُ، لكنَّـي لـم | أَحْـظَ فـي الْغَـرْبِ بـاليَقينِ فَتِهْـتُ
رُبَّ رأْيٍ نَصـيبُهُ إِنْ أَنـا أُبْـ | ـديهِ بَـيْنَ الهُـداةِ نَبْـذٌ ومَقْـتُ[٦]

---

(١) مسعد: كنى به عن اسم علم، وهو المعاون والمساعد. الصلت: الرجل الماضي في الحوائج.

(٢) خاض الماء: مشى فيه. الرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه، ويقصد هنا صاحب السفينة.

(٣) السرى: سير عامة الليل. رينيه ديكارت: (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م) فيلسوف ورياضي فرنسي، له عدة اكتشافات هندسية وفيزيائية.

(٤) رسطو: أرسطو، أو أرسطاطاليس (٣٨٤ ـ ٣١٢ق.م) فيلسوف يوناني، له عدة مؤلفات في المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق. كنت: عمانوئيل كانت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م) فيلسوف ألماني، له مؤلفات فلسفية عديدة.

(٥) الطروس: جمع طِرس، وهي الصحيفة.

(٦) نبذَ الشيء من يده: طرحه، ورمى به. مقتَ: أبغض أشد البغض عن أمر قبيح.

يـا طَبيـبَ الْقُلـوبِ مـا طُـبُّ قَـرْحٍ ... هُو رَيْبٌ يَغْشـى الْقُلـوبَ وَيَعْتـو[١]

يُغْـبَطُ المَـرْءُ إِنْ يَكُـنْ بَـيْنَ جَنْبَيْـ ... ـهِ رَواحٌ وفـي مُحَيَّـاهُ سَـمْتُ[٢]

قالَ: في كُـلِّ آيَـةٍ مِـنْ كِتـابِ اللّـ ... ـهِ لِلْحِكْمَـةِ الْبَليغَـةِ بَيْـتُ

هأَنَـذا أَتْلُـو الْكِتـابَ فـألقى ... فيـهِ روحَ الْيَقـينِ أَنّـى تَلَـوْتُ

لَـوْ تَـدَبَّرْتُ آيَـهُ الْغُـرَّ مِـنْ قَبْـ ... ـلِ لِقـا فَيْلَسـوفِهِمْ مـا ضَـلَلْتُ

تفريق الشعب

قالوا: يُصيبُ الشَّعْبَ صَدْعُ تَفَـرُّقٍ ... فَيَـذوقُ مِـنْ بَعْـدِ الشِّـقاقِ مَماتـا

قُلْنا: يموتُ الشَّعْبُ مَـوْتَ جَهالَـةٍ ... فَيَصـيرُ مِـنْ بَعْـدِ المَمـاتِ فُتاتـا

تحايا الود

«بعث الأديب التونسي الأستاذ محمد المأمون النيفر إلى الشاعر بقصيدة تنم عن عاطفة أدبية رقيقة، فكتب في مراسلته هذه الأبيات»[٣].

---

(١) القرح: ألم الجرح. عتا: استكبر.

(٢) غبط فلاناً: تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه. الرواح: وجدانك السرور الحادث من اليقين. السمت: هيئة أهل الخير.

(٣) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر. وهذه أبيات من قصيدة الأديب محمد المأمون النيفر:

أزف تحايـا الـود والبركـات ... وأهـدي سـلاماً عـاطر النفحـات

وأرسـل طاقـات الثنـاء جميلـة ... منضـدة الأوراد والزهـرات

إلـى عـالم أخبـاره ذاع صـيتها ... وآثـاره أضـحت حـديث رواة

بصـير بـأدواء النفـوس طبيبهـا ... إذا مـا رمـاه حـادث بشـكاة

وهـذه أجـزاء (الهدايـة) بيننـا ... تـدل علـى الإبـداع فـي النظـرات=

أَهَـذِي تَحايـا الـوِدِّ والْبَرَكـاتِ ... أَمِ الرَّوْضُ يُهْدي أَطْيَبَ النَّفَحاتِ؟

وهـذا رَقـيمٌ لَـوْ بَـدَوْتُ لَخِلْتُـهُ ... وَقَدْ جـادَ بالإِينـاسِ لَحْـظَ مَهـاةِ[١]

أَجَلْ هُو شِعْرٌ يَحْمِلُ الأُنْسَ مِنْ رُبى ... بـلادٍ بِهـا قَضَّيْتُ صَـدْرَ حَيـاتي[٢]

ذَكَرْتُ رُبى المرْسى الأَنيقَةِ والصَّبا ... تُـذيعُ شَـذا أَزْهارِهـا الْبَهِجـاتِ[٣]

وَسَـامِرَ آدابٍ حِسـانٍ كأَنَّـهُ ... مَراتِـعُ مـا بالقـاعِ مِـنْ ظَبِيـاتِ[٤]

ورَوْضَةَ عِلْـمٍ كُنْتُ أَجْني ثِمارَهـا ... وأَرْشِفُ مِنْهـا أَعْـذَبَ اللَّهَجـات[٥]

فَيا مُذْكِري عهْداً طَوَتْـهُ يَـدُ النَّـوَى ... وأَذْكَتْ لـه فـي مُهْجَتـي حَسَـراتِ

أُحَيِّـكَ مِـنْ مِصْـرٍ تَحِيَّـةَ والِـدٍ ... تَبَـرُّ بِـهِ الآصـالَ والْغُـدواتِ[٦]

= مثابـة تحقيـق، ومهـبط حكمـة ... وعنـوان تـدقيق ونبـع عظـات

وروضـة حسـن قـد تفتـق زهرهـا ... وفـاح فأحيـا لـي ربيـع حيـاتي

جـزاك إلـه العـرش أفضـل مـا جزى ... بـه ناصـحاً عـن نـافع الخـدمات

ولا بـرح اللطـف الخفـي يحفكـم ... وأنـتم لـدين الله خيـر حمـاة

(١) الرقيم: الكتاب. بدوت: خرجت إلى البادية. اللحظ: باطن العين. مهاة: البقرة الوحشية.

(٢) يقصد الشاعر: تونس حيث ولد وعاش صدر حياته بها.

(٣) ربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض. المرسى: بلدة جميلة في ضواحي العاصمة تونس. الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. تذيع: تظهر.

(٤) السامر: مجلس السمّار. المراتع: واحدها المرتع، وهو مكان اللهو. القاع: أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام. ظبيات: واحدها الظبية: وهي أنثى الغزال.

(٥) الروضة: عشب وماء، ويريد بها الشاعر جامع الزيتونة الذي تلقى فيه العلم.

(٦) تبرّ: تصدّق. الآصال: واحدها الأصيل، الوقت بعد العصر إلى المغرب. =

بَعَثْـتَ بِشِـعْرٍ طـارِفٍ لَمَعَـتْ بِـهِ مِنَ الأدَبِ الْمَوْروثَ خَيْرُ سِـماتِ[١]

أَراكَ ظَلَمْتَ الْغِيدَ إذْ صُغْتَ لُؤْلُـؤاً ونَضَّـدْتَهُ شِـعْراً علـى صَـفَحاتِ[٢]

وأَهـدْيتَ طاقـاتِ الثَّنـاءِ وَلَيْتَنـي مَلأْتُ يَـدي مِـنْ تِلْكُـم الحَسَـناتِ

فَيا أَسَفاً لَمْ أَقْـضِ حَـقَّ الْعُـلا ومـا بَلَغْتُ مِـنَ الْعِرْفـانِ شَـأْوَ لِـداتِي[٣]

وآنسْتُ في روح الخِطابِ سَنا الهُـدى وَبَعْضُ بني الأَمْجـادِ غَيْـرُ هُـداةِ[٤]

وما أَبْصَرَتْ عَيْنايَ أَجْمَلَ مِنْ فَتـىً يَخـافُ مَقـامَ اللهِ فـي الخَلَـواتِ

ولا خَيْـرَ إلاَّ فـي نُفـوسٍ ترَشَّـفَتْ لِبانَ التُّقى مِـنْ حِكْمـةٍ وعِظـاتِ[٥]

فَأَحْمَـدُ مِنْـكَ الـوِدَّ والْقَلَـمَ الـذي جَنـى لـيَ طاقـاتٍ مِـنَ الـدَّعَواتِ

ولا زِلْتَ مِثْلَ الْغُصْنِ يَنْمو بِمَنْبِـتٍ كَـريمٍ فَيُـؤْتي أَطْيَـبَ الثَّمَـراتِ

الإيمان روح السّعادة

«قيلت في مستشفى الدمرداش بالقاهرة في شهر رمضان سنة ١٣٦٥ هـ».

وَرَدْتَ مَناهِـلَ الْعِرْفـانِ طِفْـلاً وواصَـلْتَ الْعَشِـيَّةَ بالغَـداةِ[٦]

= الغدوات: واحدها الغدوة: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.

(١) الطارف: المال الحديث المستحدث.

(٢) الغيد: جمع غيداء وهي المرأة الناعمة الأعطاف.

(٣) شأو: الأمد والغاية. اللدات: جمع لِدَة، وهو الذي ولد معك، وتربى معك.

(٤) هداة: جمع هادٍ.

(٥) ترشفت الماء: بالغت في مصه. اللِّبان: الرضاع.

(٦) مناهل: جمع منهل، وهو المورد، والشرب.

فَأَفْنَيْــتَ السِّــنينَ تُجيــلُ فِكْــراً   وتَكْشِفُ عَنْ وُجـوهِ المُعْضِـلاتِ[١]

عَــلامَ أَراكَ تَحْــذو حَــذوَ غُمْــرٍ   فَتَزْهَــدُ فــي التَّجَلُّــدِ والأنَــاةِ[٢]

تَكــادُ تَغــوصُ فــي جَـزَعٍ إذا مــا   عَـراكَ ضَـنىً وتَلْهَـجُ بالشَّـكاةِ[٣]

ولا فَخْــرٌ لِغَيْــرِ فَتــىً يُضــاهي   بِصــارِمِ عَزْمِــهِ صَــدْرَ الْقَنَــاةِ[٤]

أَمَــا اسْـتَوْقَدْتَ مِـنْ عِلْـمٍ يَقينـاً   يَهــونُ بِــهِ لِقَــاءُ النَّائِبــاتِ[٥]

يَقــينٌ إِنْ طَوَيْــتَ عَلَيْــهِ صَــدْراً   قَبَضْـتَ على السَّعادةِ فـي الحَيـاةِ

يُــرَوِّحُ عَنْــكَ إِذْ يَشْــتَدُّ خَطْــبٌ   وَما أَقْسى الخُطوبَ على الطُّغاةِ[٦]

هُــوَ النُّــورُ الَّــذي يُذْكيــهِ وَحْــيٌ   وَيَرْبو مِنْ خُشوعِكَ فـي الصَّلاةِ[٧]

الضجر من كثرة الأسفار

«قيلت في دمشق سنة ١٣٣٨هـ».

أَنــا كــأْسُ الْكَـريمِ والأَرْضُ نــادٍ   والمَطايــا تَطــوفُ بــي كالسُّــقاةِ

---

(١) المعضلات: واحدها المعضلة: المسألة المشكلة المستغلقة.

(٢) الغُمرْ: من لم يجرب الأمور.

(٣) تغوص: غاص في الماء: غطس، ونزل تحته. الجزع: ضد الصبر. الضنى: المرض والهزال وسوء الحال.

(٤) الصارم: السيف القاطع. القناة: الرمح.

(٥) النائبات: واحدها نائبة، وهي المصيبة.

(٦) الخطب: الأمر، صغُر أو عظُم. الطغاة: واحدها طاغ: وهو كل مجاوز حده في العصيان.

(٧) يربو: يزداد وينمو.

كم كُؤوسٍ هَوَتْ إلى الأَرْضِ صَرْعى بَيْنَ كَفٍّ تُديرُها واللَّهاةِ[١]

فَاسْمَحي يا حَياةُ بي لِبَخيلٍ جَفْنُ ساقِيهِ طافِحٌ بِسُباتِ[٢]

خواطر مريض

«قيلت على فراش المرض بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ»[٣].

أَرَقٌ وَهَلْ يَبْغي الْقَريحُ سِوى السُّباتِ والْقَلْبُ خَفَّاقٌ كَقادِمَةِ الْقَطاةِ[٤]

لا تُرْهِقيني يا حَياةُ ضَنىً أَما يَكْفي خُطوبٌ كالأَسِنَّةِ في اللَّهاةِ[٥]

ما أَنْتِ مُلْقِيَةٌ بِسَلْمٍ أَقْتَني في ظِلِّه الضَّافي مَفاخِرَ رائعاتِ

وإذا طَغى سَقَمٌ لِيُسْلِمَني إلى بَطْنِ الثَّرى أَيْقَظْتِ أَجْفانَ الأُساةِ[٦]

إنْ كُنْتُ مِرْقاةَ الْفَلاحِ لأُمَّةٍ ضَرَبَتْ بِسَطْوَتِها على أَيْدي الْبُغاةِ[٧]

فالمَوْتُ مِرْقاةُ الْهَناءَةِ يَوْمَ لا يُجْدِ الأُسارى مِنْ فِداءٍ أَوْ حُماةِ

---

(١) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٢) طافح: مليء. السبات: النوم، وأصله الراحة.

(٣) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر.

(٤) القريح: الجريح. السبات: النوم، وأصله الراحة. القطاة: طائر في حجم الحمام. القادمة: ريشات في مقدَّم الجناح، والجمع قوادم.

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح. اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٦) طغى: جاوز القدر والحد. السقم: المرض. الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب.

(٧) المرقاة: الدرجة.

سوسة العمر

وغُـــلامٍ قَـــرَّبَ «السَّـــاعةَ» مِـــنْ   أُذْنِـــهِ يَسْـــمَعُ مِنهـــا النَّقَـــراتِ
قالَ: مـا فـي جَوْفِهـا؟ قُلْتُ لـه: سوسَـــةٌ تَقْـــرُضُ أَيَّـــامَ حَيـــاتي[1]

معنى في أزجال البدو

«قيلت في تونس عندما أنشد زجل تونسي وهو:

«جـــات ظـــاهرة نـــادوا عليهـــا ولّـــي

وأبـــرق خَـــدْها قـــام الإمـــام يصـــلي»

* * *

خَطَـــرَتْ فَـــلاحَ جَبينُهـــا   والنَّـــاسُ غَرْقَـــى فـــي سُـــباتِ
غَـــرَّ الإمـــامَ فَخالَـــهُ   فَجْـــراً وأَحْـــرَمَ بالصَّـــلاةِ

أحمد تيمور باشا

تَقَاسَـمَ قَلْبـي صـاحِبانِ وَدِدْتُ لَـوْ   تَمَلَّتْهُمـا عَيْنـايَ طُـولَ حَيـاتي[2]
وَعَلَّلْتُ نَفْسي بـالمُنى فَـإذا النَّـوى   تَعُـلُّ الحَشـا طَعْنـاً بِغَيْـرِ قَنـاةِ[3]
فَأَحْمَـدُ فـي مِصْـرٍ قَضـى وَمُحَمَّـدٌ   بِتـونُسَ لا تَحْظـى بِـهِ لَحَظـاتي[4]

---

(١) السوسة: دودة تقع في الصوف والثياب والطعام والشجر، والجمع سوس.

(٢) تملت: استمتعت.

(٣) تعلّ: علّه: أي: سقاه السقية الثانية. القناة: الرمح.

(٤) أحمد: أحمد تيمور باشا (١٢٨٨ ـ ١٣٤٨هـ) أديب ومؤرخ ولد وتوفي بالقاهرة، وله مؤلفات عديدة. قضى: مات. محمد: محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس =

أَعيشُ وَملْءُ الصَّدْرِ وَحْشَةُ مُتْرَفٍ ... رَمَتْهُ يَدُ الأَقْدارِ في فَلَواتِ

رقّة الطّبع تزيد المودّة صفاء

جَفا الصَّديقُ فناجَيْتُ الْفُؤادَ بِأَنْ ... يَبيتَ في جَفْوَةٍ تِلْقاءَ جَفْوَتِهِ

أَبى وقالَ: أَصُونُ الْعَهْدَ مُتَّئِداً ... فَرُبَّ وِدٍّ صَفا مِنْ بَعْدِ غُبْرَتِهِ[1]

عادَ الصَّديقُ فَأَصْفى وِدَّهُ فَإِذا ... حَديثُ نَجْوايَ مَنْسوخٌ بِرُمَّتِهِ[2]

إِنْ تَلْقَ طَبْعاً رَقيقاً فَاغْرِسَنَّ بِهِ ... مَوَدَّةً يُسْقَها مِنْ ماءِ رِقَّتِهِ

❐ ❐ ❐

= وأحد أعلامها الكبار، كان صديقاً حميماً للشاعر منذ مطلع حياته، وكثيراً ما جاء ذكره في شعره.

(١) أبى: امتنع. الغبرة: الغبار.

(٢) منسوخ: أي زائل، يقال: نسخ الشيء: أزاله. الرمة: قطعة من الحبل بالية، ومنه قولهم: دفع إليه الشيء برمته، وأصله: أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته.



قافية الثاء

الانتصاف لعلم الشريعة

«قيلت بمناسبة تقليل بعض الجهال من شأن علوم الشريعة في مجلس بالقاهرة سنة ١٣٤١هـ».

أَغاظَ الحَسودَ الخِبَّ أَنْ بِتُّ مُقْبِلاً ... بِفِكْري على عِلْمٍ بَديعِ المباحِثِ[١]

وأَوْجَسَ خَوْفاً أَنْ أَزيدَ بِهِ عُلا ... وذاكَ لَدى الحُسَّادِ إِحْدى الْكَوارِثِ

فَغَضَّ مِنَ الْعِلْمِ الَّذي خُضْتُ بَحْرَهُ ... ولَقَّبَ مَنْ يَرْتادُهُ باسْمِ عابثِ

يُحاوِلُ كَيْداً أَنْ يُثَبِّطَ هِمَّةً ... تَسامَتْ فَكانَ الْكَيْدُ بَعْضَ الْبَواعِثِ

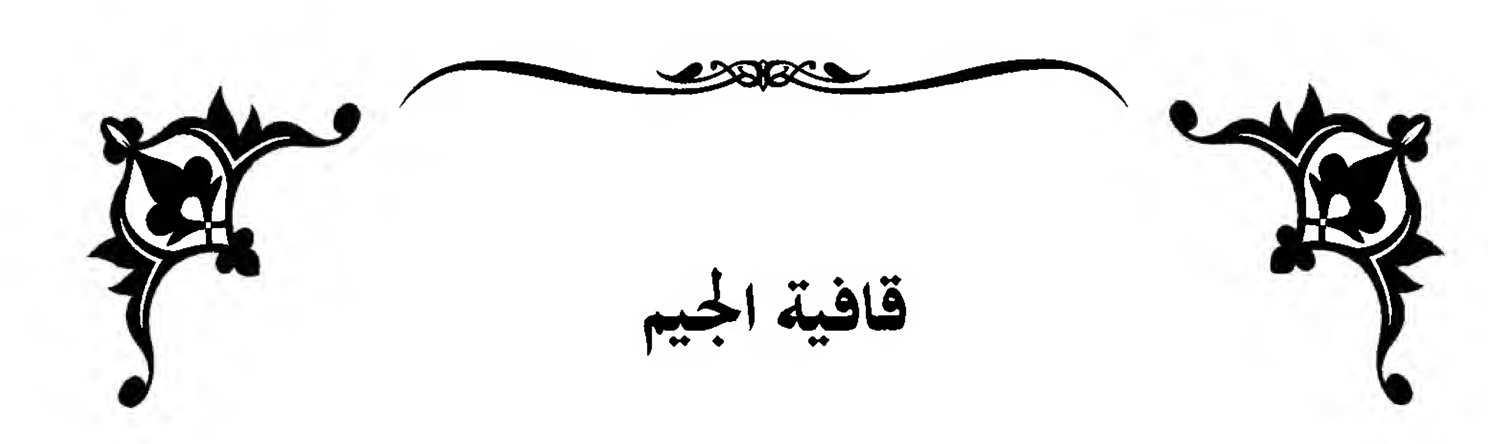
فَعادَ وَما في كَفِّهِ غَيْرُ خَيْبَةٍ ... كما أَخْفَقَتْ في الحَجِّ آمالُ رافِثِ[٢]

□ □ □

---

(١) الخب: الخدّاع.

(٢) الرافث: يقال: رفث؛ أي: أفحش. وهذا البيت إشارة لقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٧].



قافية الجيم

الرأي النضيج

يَهَـبُ المُـزْنُ فـي الْغَـداةِ جُمانـاً ... مِـنْ نَـدًى للزُّهـورِ ذاتِ الأَريـجِ[1]

وتُرينا شَـمْسُ الضُّـحى لُؤْلُـؤاً مِـنْ ... عَـرَقِ الْغيـدِ فَـوْقَ خَـدٍّ بَهـيجِ[2]

أَهُمـا عَلَّمـا الحِجـا كَيْـفَ يُلْقـي ... فـي الْقَـراطيسِ دُرَّ رَأْيٍ نَضـيجِ[3]

زهرة الدّنيا أخلائي

«قالها الشاعر في مصر عقب وداع بعض أصدقائه من تونس».

يَـوْمُ بَـيْنٍ لَـمْ أَذُقْ مِـنْ قَبْلِـهِ ... لَوْعَـةً كالنَّـارِ حَـرّاً وهِياجـا[4]

وَدَّعـوا، والصُّـبْحُ يَحْـدو بالـدُّجى ... حـامِلاً مِـنْ بَـيْنِ جَنْبَيْـهِ سِـراجا[5]

وَامْتَطَـوْا سـابِحَةً فـي الجَـوِّ لا ... لَقِيَتْ مِـنْ أُخْتِهـا الـرِّيحِ لَجاجـا[6]

---

(١) المزن: السحاب، أو ذو الماء. الجمان: واحدها جمانة، وهي حبة تُعمل من الفضة كالدرة. النّدى: المطر. الأريج: الطيب.

(٢) الغيد: واحدها غيداء، وهي المرأة الناعمة اللينة الأعطاف.

(٣) الحجا: العقل. القراطيس: جمع قرطاس، وهي الصحيفة التي يكتب فيها.

(٤) البين: الفرقة.

(٥) يحدو: حدا الإبل: ساقها، وغنّى لها. الدجى: الظلمة.

(٦) سابحة: يقصد بها: الطائرة. اللجاج: التمادي في العناد والنزاع.

جيــــرةٌ أَصْــــفَيْتُهُمْ وِدِّي وَلا ... يَجِـدُ الْمَـذْقُ مِـنَ الـوِدِّ رَوَاجـا[1]

قـــابَلوا وِدِّي بِـــودٍّ وَبَنَـــوْا ... مِـنْ حِفـاظِ الـوِدِّ لِلْعَهْـدِ سِيَاجا

لا أُبـــالي إِنْ أَنــا جــاوَرْتُهمْ ... أَفُراتــاً كــانَ وِرْدي أَمْ أُجاجــا[2]

زَهْــرَةُ الــدُّنْيا أَخِلاَّئــي وَلَــو ... شَــفَّني الْبَـيْنُ وَأَعْيَـاني عِلاجــا

لم أكن بمداجٍ

«قيلت في مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٦٨هـ».

هُوَ ذا الضَّنى أَيْ جارَتي يَنْقَضُّ مِنْ ... بَـيْنِ الجَـوانِحِ فـي أَشَـدِّ هِيَـاجِ[3]

يُدْلي الطَّبيبُ مَعَ الطَّبيبِ إلى الحَشـا ... سَـمَّاعَةً تَصِـفُ انْحِـرافَ مِزاجـي

فاجـاهُمُ نَفَـسٌ بِمـا أَشْـكوهُ مِـنْ ... وَجَـعٍ وأَنْفـاسُ الْعَليـلِ تُنــاجي

يَتَهامَســونَ بِلَهْجَــةٍ لَــمْ أَدْرِهــا ... فَإِخـالُهُمْ هَمَسـوا بِعُسْـرِ عِلاجـي

فَلْتَذْكُـريني - إِنْ قَضَيْـتُ - بِـأَنَّني ... أَرْعى الْعَشيرَ وَلَمْ أَكُـنْ بِمُـداجي[4]

الشِتاء والرّبيع

يُعيدُ الشِّتاءُ الْحَـيَّ مَيْتـاً، أَلا تَـرى ... بِهِ الرَّوْضَ في كَفَنٍ مِنَ الـثَّلْجِ مُـدْرَجا[5]

وَتُرْجِـــعُ أَيَّــامُ الرَّبيــعِ حَيَاتَــهُ ... وتَكْســوهُ بُـرْداً بـالزُّهورِ مُـدَبَّجا[6]

---

(١) المذق: اللبن الممزوج بالماء، ويقصد: الود غير الصافي. الرواج: نَفَاق السلعة.

(٢) الفرات: الماء العذب، الأُجاج: الماء المِلح المر.

(٣) الضنى: المرض والهزال. الجارة: ويقصد بها زوجته.

(٤) العشير: القبيلة، الصديق، القريب. المداجي: المداري.

(٥) مدرج: مطوي وملفوف.

(٦) البُرد: الثوب المخطط. مدبّج: مزيّن.



قافية الحاء

تهنئة بالقضاء

«قيلت في دمشق لتهنئة صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عند ولايته القضاء بتونس سنة ١٣٣٢هـ».

بَسَطَ الهَناءُ عَلى الْقُلوبِ جَناحاً ... فَأَعادَ مُسْوَدَّ الحَياةِ صَباحا

إِيهِ مُحَيَّا الدَّهْرِ إِنَّكَ مُؤْنِسٌ ... ما افْتَرَّ ثَغْرُكَ باسِماً وَضَّاحا[1]

وَتَعُدُّ ما أَوْحَشْتَنا في غابِرٍ ... خالاً بِوَجْنَتِكَ الْمُضيئَةِ لاحا[2]

لَوْلا سَوادُ اللَّيْلِ ما ابْتَهَجَ الْفَتى ... إِنْ آنَسَ المِصْباحَ وَالإِصْباحا[3]

يا طاهِرَ الهِمَمِ احْتَمَتْ بِكَ خُطَّةٌ ... تَبْغي هُدًى وَمُروءَةً وَسَماحا[4]

سَحَبَتْ رِداءَ الْفَخْرِ واثِقَةً بِما ... لَكَ مِنْ فُؤادٍ يَعْشَقُ الإِصْلاحا

---

(١) إيه: اسم فعل أمر، ومعناه طلب الزيادة من حديث أو عمل، المُحيّا: الوجه. افتر: تبسم وضحك ضحكاً حسناً، وأبدى أسنانه.

(٢) الغابر: الماضي.

(٣) آنس: أبصر. الإصباح: الفجر.

(٤) الخطة: الأمر والطريقة. ويطلقها أهل الأندلس على أي منصب من مناصب الحكومة، فيقال: خطة الفتوى، وخطة التعليم.

سَتَشُدُّ بِالحَزْمِ الْحَكيمِ إزارَها ... والحَزْمُ أَنْفَسُ ما يَكونُ وِشاحا[1]

وتَذودُ بالعَدْلِ الْقَذى عَنْ حَوْضِها ... والْعَدْلُ أَقْوى ما يَكونُ سِلاحا[2]

في النَّاسِ مَنْ أَلْقى قِلادَتَها إلى ... خَلَفٍ فَحَرَّمَ ما ابْتَغى وَأَباحا

فَأَدِرْ قَضاياها بِفِكْرِكَ إِنَّهُ ... فِكْرٌ يَرُدُّ مِنَ الْعَويصِ جِماحا[3]

أَنْسى ولا أَنْسى إخاءَكَ إِذْ رَمى ... صَرْفُ اللَّيالي بِالنَّوى أَشْباحا[4]

أَسْلو ولا أَسْلو عُلاكَ وَلَو أَتَتْ ... لُبْنانُ تُهْدي نَرْجِساً فَيَّاحا[5]

أَوَلَمْ نَكُنْ كالفَرْقَدَيْنِ تَقارُنا ... والصَّفْوُ يَمْلأُ بَيْنَنا أَقْداحا[6]

يبغي الورد عذباً

«قيلت على شاطئ البحر بالإسكندرية سنة ١٣٦١هـ».

حَمامٌ غَرَّهُ بَحْرٌ خِضَمٌّ ... تُلاعِبُ مَوْجَهُ الحِيتانُ سَبْحا[7]

---

(١) الإزار: الملحفة. الوشاح: شيء يشبه قلادة تلبسه النساء.

(٢) تذود: تطرد. القذى: ما يقع في العين أو الشراب من تبنة أو غيرها. الحوض: مجتمع الماء.

(٣) العويص: الأمر الصعب. الجماح: ركوب الرأس لا يثنيه شيء.

(٤) الصرْف: الحدثان والنوائب. النوى: البعد.

(٥) أسلو: سلا الشيء: نسيه، وذهل عن ذكره. الفيّاح: للمبالغة؛ أي: فيّاض بالعطاء الواسع الكثير.

(٦) الفرقدان: نجمان قريبان من القطب يهتدى بهما.

(٧) غرّه: خدعه. خضمّ: كثير العطاء.

يَحُومُ عَلَيْهِ يَحْسَبُهُ زُلالاً ... وَلَمَّا ذاقَهُ أَلْفاهُ مِلْحا[1]

فَطارَ السِّرْبُ يَبْغي الوِرْدَ عَذْباً ... وَلَوْ رَشَحَتْ بِهِ الْبَيْداءُ رَشْحا[2]

فَصُنْ قَدَمَيْكَ عَنْ وِرْدٍ وَبيلٍ ... وَقُلْ للنَّفْسِ إِنْ عافَتْهُ: مَرْحَى[3]

وَمَنْ يَظْفَرْ بِوِرْدٍ مُسْتَطابٍ ... فَوِرْدي آسِنٌ غَسَقاً وَصُبْحا[4]

وَكَيْفَ يَطيبُ لي عَيْشٌ وَأَرْضي ... يَهُزُّ بِها الْعِدا سَيْفاً وَرُمْحا

عتاب على مزاح

«قالها في مصر سنة ١٣٦٢هـ عندما قال بعض الجالسين كلمة نابيةعن أدب الدين على وجه المزاح».

بُنَيَّ أَلَمْ تَرْشُفْ أَفاوِيقَ حِكْمَةٍ ... كما رَشَفَتْ قَطْرَ النَّدى زَهْرَةُ الدَّوْحِ[5]

وَمِثْلُكَ لا تَلْوِيهِ داعِيَةُ الهَوى ... عَنِ السِّيرَةِ الْغَرّاءِ والْخُلُقِ السَّمْحِ

---

(١) الزلال: العذب.

(٢) السرب: القطيع من القطا والظباء والوحش والخيل والحمر والنساء. البيداء: المفازة والفلاة.

(٣) صان: حفظ. الورد: الماء الذي يورد. وبيل: شديد. مرحى: كلمة تعجب تقال للرامي إذا أصاب.

(٤) مستطاب: استطاب الشيء: وجده طيباً. آسن: متغير. الغسق: دخول أول الليل حين يختلط الظلام.

(٥) ترشف: تمص. الأفاويق: الفيقة: اسم اللبن الذي يجتمع بالضرع بين الحلبتين. الحكمة: كل كلام موافق الحق، ووضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده. الدوح: واحدها الدوحة، وهي الشجرة العظيمة.

أُعيــذُكَ بِالفُرْقــانِ أَنْ تَحْكــيَ امْـرَأً يَغُضُّ مِنَ الدِّينِ الحَنيفـيِّ بـالمَزْحِ[1]
وتُصْغي إلى نَجْوى الَّذي يَرْكـبُ الخَنـا وَيَأْخُذُ أَهْلَ الشَّرْعِ بالطَّعْنِ والقَدْحِ[2]
بَلَوْنا الهُدى بَعْدَ الهَوى فإذا الهَوى دُجُنَّةُ لَيْلٍ والهُـدى فَلَـقُ الصُّبْحِ[3]

رفقاً بها

«قالها في تونس بعد درس تعرض فيها أستاذه الشيخ سالم بو حاجب[4] إلى حكم التضحية بالظباء».

مَـدَّ فـي وَجْـرَةَ الحِبالَـةَ يَبْغـي قَنَصــاً والظِّبــاءُ تَرْتَــعُ مَرْحــى[5]
صــادَها ظَبْيَــةً وَهَــمَّ بِــأَنْ يَصْــ ـرَعَها كالخَروفِ في عيـدِ أَضْحى
قُلْــتُ: رِفْقــاً بِهــا وَلا تُرْهِقَنْهــا وَهيَ تَرْنـو إِلَيْـكَ صَـرْعاً وَذَبْحـا[6]

(١) أعيذك: أعاذه: دعا له بالحفظ. الفرقان: القرآن، وهو مصدر بالأصل. يغض الشيء: ينقص ويوضع من قدره.

(٢) النجوى: السرّ. الخنا: الفحش. الشرع: ما شرع الله تعالى لعباده.

(٣) الدجنّة: الظلمة، جمع دُجُنات. فلق الصبح: شقه بكشف الظلام عنه.

(٤) سالم بو حاجب: (١٢٤٣ ـ ١٣٤٢هـ) من كبار علماء تونس وأساتذتها. تولى التدريس بجامع الزيتونة، ثم الفتيا سنة ١٣٢٣هـ.

(٥) الوجرة: موضع بينه وبين مكة والبصرة أربعون ميلاً، ليس فيها منزل، وهي مرتع الوحوش. الحبالة: المصيدة، جمع حبائل، ومنه الحديث الشريف: «النساء حبائل الشيطان». القنص: الصيد. الظباء: الغزلان. مرحى: جمع مَرِح: وهو شديد الفرح والنشاط.

(٦) ترنو: تديم النظر بسكون الطرف.

مـا أَظُـنُّ السِّـكِّينَ تَرْضَـى وَفيهـا ... حِدَّةٌ أَنْ تَخُطَّ فـي الْجيـدِ جُرْحـا[1]

خَـلٍّ عَنْهـا، فَعَيْنُهـا أَذْكَرَتْنـا ... عَيْنَ أَسْماءَ وَهْيَ بِالبِشْرِ طَفْحـى[2]

إغاثة قطاة

قَطاةٌ غَدَتْ تَطْـوي الْفَـلاةَ خَميصَـةً ... إِلى رَوْضَةٍ طابَتْ وطَابَ صَباحُها[3]

رَعَتْ كَلأً رَطْباً، حَسَتْ مـاءَ مُزْنَـةٍ ... رَبا بَيْنَ أَحْناءِ الضُّلوعِ ارْتياحُهـا[4]

وَعادَتْ تَشُقُّ الْجَوَّ وَهي تُطِـلُّ مِـنْ ... عُلاهـا عَلـى بَيْـداءَ لانَـتْ رِيَاحُهـا

رَمـى النَّابِـلُ الخَتَّـالُ مِنْهـا قَوادِمـاً ... ولَمْ يَدْرِ رامي النَّبْلِ أَيْنَ مَطاحُهـا[5]

أَلَـمَّ بِهـا هَـمُّ اغْتِـرابٍ وَآذَنَـتْ ... ذُكـاءُ بِتَرْحـالٍ فَطـالَ نُواحُهـا[6]

وَمَرَّ بِهـا سِـرْبٌ مِـنَ الأُنْـسِ طـائرٌ ... فَصاحَتْ وَقَدْ أَجْدى عَلَيْها صِيَاحُها

أُناشِـدُكُمْ مَـنْ ذا يُعيـرُ جَناحَـهُ ... مَطَوَّحَـةً فـي الْقَفْـرِ قُـدَّ جَناحُهـا[7]

أَطيـرُ إِلـى زُغْـبِ الْحَواصِـلِ إِنَّهـا ... خِماصٌ وَأَخْشى أَنْ يَحينَ اجْتِيَاحُهـا[8]

---

(١) الجيد: العنق.

(٢) البشْر: طلاقة الوجه. طفحى: ملأى.

(٣) قطاة: طائر في حجم الحمام. خميصة: جائعة، وتجمع على خمائص.

(٤) الكلأ: العشب. المزنة: المطرة. ربا: زاد ونما. الارتياح: السرور والنشاط.

(٥) النابل: صانع النبال. الختال: المخادع. القوادم: جمع القادمة، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح. المطاح: مكان السقوط.

(٦) الذُّكاء: الشمس.

(٧) مطوحة: التي طُوِّح بها في الأرض، أي: ذهُب بها. قَدَّه: قطعه مستأصلاً.

(٨) زُغب: جمع أزغب، وهو صغير الريش والشعر. الحواصل: جمع حوصلة، =

ولا تَذْكُروا الصَّبَّ الَّذي اسْتَمْنَحَ الْقَطا　　جَناحاً فَأَنْذالُ الطُّيورِ شِحاحُها[١]

فَمدَّ إلَيْها السِّرْبُ راحَةَ مُسْعِدٍ　　وَطارَ بِها حَتَّى حَماها مَراحُها[٢]

الرّجاء أساس كلّ نجاح

سَحَبَ الْفَتى الْبَدوِيُّ ذَيْلَ مِراحِ　　يُزْهى بِسَرْحٍ في فَلاً ومَراحِ[٣]

أَلِفَ الْبُطولَةَ والسَّماحَ فَما لَهُ　　شَغَفٌ بِغَيْرِ بُطولَةٍ وَسَماحِ

لِلْبَدْوِ فيما كُنْتُ أَدْري الْفَضْلُ في　　نَشْءِ النُّفوسِ عَلى مِثالِ صَلاحِ

لا راحَ غَيْرُ عَصيرِ مُزْنٍ رائِقٍ　　لا نايَ غَيْرُ الْبُلْبُلِ الصَّدَّاحِ[٤]

لا تَخْطُرُ الْفَتَياتُ فيهِ بِزينَةٍ　　وَتَبَرُّجٍ بَيْنَ الْبُيوتِ وِقاحِ

مُنِيَ الْفَتى بِقَرينِ سُوءٍ يَرْتَدي　　ثَوْبَ النَّصيحِ بِغَدْوَةٍ وَرَواحِ[٥]

ما زالَ يَسْتَهْويهِ حَتَّى انْحَطَّ في　　أَرْضِ الحَضارَةِ بِالهوى المِلْحاحِ[٦]

قادَ النَّجائِبَ والحَقائِبُ مِلْؤُها　　ذَهَبٌ، دَنانيرٌ، وَحِلْيُ مِلاحِ[٧]

= وهي عند الطائر كالمعدة للإنسان. خماص: جِياع. الاجتياح: الإهلاك.

(١) إشارة إلى قول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه　　لعلي إلى من قد هويت أطير

(٢) مسعد: مساعد ومعاون. المَراح: الموضع يروح القوم منه وإليه.

(٣) المِراح: اسم من مرح: إذا بطر.

(٤) الراح: الخمر. المزن: السحاب. الناي: آلة من آلات الطرب، والجمع نايات.

(٥) القرين: المصاحب.

(٦) الملحاح: الكثير الإلحاح، ألح السائل في السؤال: ألحف وأقبل عليه مواظباً.

(٧) النجائب: واحدها النجيبة، وهي الكريمة الحسيبة من الإنسان والحيوان.

أَلْقَى بِمِصْرِ رَحْلَهُ إِذْ أَدْبَرَتْ ... شَمْسُ الأَصيلِ بِوَجْهِها اللمَّاحِ[١]

بَهَرَتْ لَواحِظَهُ المَصابيحُ الَّتي ... تُغْني إِضاءَتُها عَنِ الإِصْباحِ

وَبَدائِعٌ خَرَجَتْ بِطولِ حِسابِها ... عَنْ طاقَةِ الإِيماءِ والإِفْصاحِ[٢]

وَاحْتَلَّ صَرْحاً شامِخاً وَحَديقَةً ... حَلِيَتْ بِزَهْرِ بَنَفْسَجٍ وأَقاحي[٣]

لَمْ يَدْرِ أَهْلُ النُّبْلِ أَيْنَ مَزارُهُ ... وَدَراهُ أَهْلُ بَطالَةٍ وطَلاحِ[٤]

فَتَهافَتوا يَتَصَيَّدونَ فُؤادَهُ ... بِتَمَلُّقٍ وخِلابَةٍ ومِزاحِ[٥]

واسْتَدْرَجوهُ إِلى مَلاهٍ لَمْ يَعُدْ ... مِنْ بَعْدِ نَشْوَتِها لِسيرَةِ صاحي

صَرَفوهُ عَنْ وَجْهِ الرَّشادِ، فَتاهَ في ... وادٍ مِنَ اللَّهْوِ الأَثيمِ بَراحِ[٦]

رَكِبَ الهوى طَلْقاً، وأَصْبَحَ سَيْرُهُ ... هَدَفاً لِرَمْيَةِ مُزْدَرٍ أَوْ لاحي

فَسَلوا مَلاعِبَ مَيْسِرٍ أَذْرى بِها ... بِدَراً وَعادَ بِخَيْبَةٍ وجُناحِ[٧]

ظَلَّ الْفَتى في سَكْرَةٍ وثَراؤُهُ ... يَنْهارُ بَيْنَ مَزاهِرٍ وقِداحِ

---

(١) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب. اللمّاح: اللامع.

(٢) الإيماء: الإشارة.

(٣) الصرح: القصر، كل بناء عال. الشامخ: طويل في السماء.

(٤) المزار: مكان الزيارة. طلاح: فساد.

(٥) التملق: التودد. الخلابة: الخديعة باللسان.

(٦) البراح: المتسع من الأرض لا زرع بها ولا شجر.

(٧) أذرى بها: ألقى بها كما يلقى الحب للزرع. البِدَر: جمع البدرة: عشرة آلاف درهم. الجُناح: الإثم.

حَتَّـــى تَبَــدَّدَ تِبْــرُهُ وَلُجَيْنُـــهُ ... كَكَثِيـبِ رَمْـلٍ فـي مَهَـبِّ رِيَـاحِ[١]

وانْفَـضَّ مِـنْ حَـوْلِ الْفَقيـرِ رِفاقُـهُ ... وَجَـزَوْهُ عَـنْ إِقْبالِـهِ بِطِمـاحِ[٢]

لا دِرْهَـمٌ يُغْنيــهِ مِـنْ جـوعٍ وَلا ... إِلْـفٌ يُخَفِّـفُ لَوْعَـةَ الأَتْـراحِ[٣]

كـالطَّيْرِ يُنْسَـلُ ريشُـهُ أَفَيُرْتَجـى ... لِلطَّيْـرِ أَنْ يَحْيـا بِغَيْـرِ جَنـاحِ[٤]

ضاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ، والأَجْسادُ في ... نَظَـرِ الْكَئيـبِ مَقـابِرُ الأَرْواحِ

يَتَخَيَّـلُ الظَّلْمـاءَ ثَـوْبَ مَـآتِمٍ ... وأَغـانِيَ المِـذْياعِ صَـوْتَ نِيـاحِ[٥]

كـادَ التَّشـاؤُمُ بِالحَيـاةِ يُذيقُـهُ ... طَعْـمَ الـرَّدى بِغِـرارِهِ السَّـفَّاحِ[٦]

لَـوْلا شُـعورٌ مِـنْ بَقايـا فِطْـرَةٍ ... لَهَـوى كمـا يَهْـوي صَـريعُ رِمـاحِ

هِـيَ هَمْسَـةٌ مِـنْ فِطْـرَةِ اللهِ الَّـذي ... جَعَـلَ الرَّجـاءَ أَسـاسَ كُـلِّ نَجـاحِ

جناحان

حِجًا في غِمارِ المُعْضِلاتِ سَبوحُ ... وعَزْمٌ إلى أَسْنى المَعالي طَموحُ[٧]

---

(١) التبر: الذهب. اللجين: الفضة. الكثيب: التل من الرمل.

(٢) الطماح: الكبر والفخر.

(٣) الإلف: العشير المؤانس. اللوعة: الحرقة. الأتراح: الأحزان.

(٤) ينسل: يسقط.

(٥) المآتم: جمع مأتم: نساء يجتمعن في الخير والشر، وغلب على الثاني. النياح: البكاء بصياح وعويل وجزع.

(٦) الردى: الهلاك. الغرار: حد السيف.

(٧) الحجا: العقل. المعضلات: واحدها معضلة، وهي المسألة المشكلة المستغلقة.

جَناحـانِ لا تُرْقَـى بِغَيْرِهِمـا الْعُـلا وَمِـنْ دونِ مَرْماهـا مَهامِـهُ فِـيحُ[١]

ومَـا أَسْـوَأَ الْعُقْبـى إذا سـاسَ أُمَّـةً عَلى الرَّغْمِ مَخْلوعُ الْعِذارِ جَموحُ[٢]

إذا وَلَّـتِ الأَحْكـامُ خـابِطَ عَشْـوَةٍ حَكى كَيْفَ يَهْذي في الْقَضاءِ سَـطيحُ[٣]

وَيَحْسَبُ ما لا شَيْءَ حَيّاً وَلَمْ يَكُـنْ لِما خالَهُ في النَّاسِ جِسْـمٌ ولا روحُ

وَفي الشَّرِّ ما يَنْـدَسُّ تحْـتَ ظِهـارَةٍ مِنَ الخَيْرِ لا لَـوْنٌ يَـنِمُّ ولا ريـحُ[٤]

يَحوكُ الخَطيبُ الخَبُّ قَـوْلاً صِـباغُهُ أنيـقٌ ومـا تَحْـتَ الصِّـباغِ قَبـيحُ[٥]

ويَصْفو رُوَاءُ المـاءِ وَالطَّعْـمُ عَلْقَـمٌ ويَبْسِـمُ ثِغْـرٌ والْفُـؤادُ قَـريحُ[٦]

وَمـا كُـلُّ ذي رَأْيٍ يُـداري حَقيقَـةً تَـوارَتْ فَتَبْـدو وَالْقِنـاعُ طَـريحُ[٧]

وَمَنْ ذا يُعاني الصَّعْبَ لَوْلا رَجـاءُ أَنْ يَطيـبَ غَبـوقٌ بَعْـدَهُ وَصَـبوحُ[٨]

---

(١) مهامه: جمع المهمه، والمهمهة: المفازة البعيدة. فيح: واسعة.

(٢) العقبى: الآخرة. العذار: ما سال من اللجام على خد الفرس، ويقال: «هو خليع العذار»؛ أي: يقول ويفعل، وما يبالي بشيء؛ كالدابة بلا رسن. جموح: يقال رجل جموح: يركب هواه، فلا يمكن رده.

(٣) خابط عشوة: العشوة هي الظلمة، ويقال للجاهل: هو خابط عشوة. سطيح: ربيع الذئبي كاهن اليمن المشهور.

(٤) يندس: يندفن. الظِّهارة من الثوب: نقيض البطانة.

(٥) الخب: الخدّاع. أنيق: حسن معجب.

(٦) الرواء: حسن المنظر. العلقم: الحنظل، وكل شيء مر. قريح: جريح.

(٧) يداري: يلاطف.

(٨) الغبوق: ما يشرب بالعشي. الصبوح: ما يشرب بالغدوة.

ضَـريحُ أَبـيِّ الضَّـيْمِ صَـرْحٌ مُمَـرَّدٌ وصَرْحُ الهَيُوبِ المُسْتَضامِ ضَـريحُ[(١)]

أَخُو الضَّيْمِ في الدُّنيا هُوَ الْمَيْـتُ فَانْعَـهُ وإِنْ تَـرَهُ يَغْـدو بِهـا ويَـروحُ

لِكُلِّ امْرِئٍ شَأْنٌ، سَلوا فَيْلَسوفَهُمْ أَنيطَـتْ بِهاتيـكَ الشُّؤونِ شُـروحُ؟

فَمِنْ ساحِبٍ ذَيْلَ المِراحِ وَلَوْ سَـطا بِـهِ مُسْتَبِـدٌّ يَعْتَـدي ويَبُـوحُ[(٢)]

سَـميعٌ إذا طَـنَّ الـذُّبابُ بِدُمْيَـةٍ أَصَـمُّ إذا أَلْقـى العِظـاتِ نَصـوحُ[(٣)]

إلـى مُطْـرِقٍ يَرْنـو بِعَـيْنٍ مُقَطِّـبٍ يَضـيقُ عَلَيْـهِ الأُفْـقُ وَهْـوَ فَسـيحُ

شَجِيٌّ كَأَنَّ الْقَلْبَ صُـوِّرَ مِـنْ أَسًـى وغَذَّاهُ مِنْ جَفْنِ المَشوقِ سَفوحُ[(٤)]

يُصَـمُّ إذا غَنّـاهُ إسْـحاقُ مُطْرِبـاً وَيُصْغي إلى الخنْساءِ وَهِي تَنـوحُ[(٥)]

---

(١) الضريح: القبر. الضيم: الظلم. الصرح: القصر. الممرد: المشيد. الهيوب: الجبان. المستضام: الذي انتقص حقه.

(٢) المراح: اسم من مرح: إذا أشر وبطر.

(٣) الدمية: الصنم، والصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم.

(٤) الشجي: الحزين. المشوق: المشتاق.

(٥) إسحاق: (١٥٥ ـ ٢٣٥هـ) إسحاق بن إبراهيم الموصلي، من أشهر ندماء الخلفاء، وتفرد بصناعة الغناء، وهو عالم بالموسيقى واللغة والتاريخ والشعر، ولد وتوفي ببغداد، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين.

الخنساء: (. . . ـ ٢٤هـ) تماضر بنت عمرو بن الحارث، الشاعرة المشهورة، أدركت الجاهلية والإسلام فأسلمت، وقدمت مع قومها من بني سليم على رسول الله ﷺ، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا بالجاهلية، لها ديوان مطبوع.

وَأَضيَعُ رَأْيٍ ما يَلوحُ لِمُحْجِمٍ ... وَرَأْيُ أَخي العَزْمِ الصَّميمِ نَجيحُ[1]

أَيَجْني ثِمارَ النَّخْلِ بالكَفِّ مُقْعَدٌ ... وَيَنْهَضُ في يَوْمِ الرِّهانِ طَليحُ؟[2]

نهضة مصر

«قيلت وهو يشهد استعراض الجيش المصري يوم ٢٨ المحرم سنة ١٣٦٩هـ».

دَمْعَةٌ كالثَّلْجِ بَرْداً مَجَّها ... في الْمَآقي فَرْطُ بِشْرٍ وارْتِياحِ[3]

إِذْ شَهِدْنا عَرْضَ جَيْشٍ مِنْ بَني ... مِصْرَ في أَسْنى عَتادٍ وسِلاحِ

وَتَلَتْها دَمْعَةٌ صَوَّرَ لي ... حَرُّها أنْفاسَ مَكْسورِ الجَناحِ

إِذْ ذَكَرْتُ المَغْرِبَ الْغارِقَ في ... لُجَجٍ سُودٍ مِنَ الْعَسْفِ الصُّراحِ[4]

نَهَضَتْ مِصْرُ إلى المَجْدِ وَما ... نَهَضَتْ إلاَّ بِعَزْمٍ وَكِفاحِ

أَتَرى الْمَغْرِبَ يَوْماً ناهِضاً ... لِلْعُلا بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِماحِ

ما أضيع البرهان عند المعاند!

تُريدُ رَفيقاً لا يَرى غَيْرَ ما تَرى ... وَيَأْبى الَّذي تَأْباهُ وَهْوَ نَصوحُ

---

(١) المحجم: الذي يكف عن الشيء وينكص هيبة منه. النجيح: الصواب في الرأي.

(٢) المقعد: المصاب الذي لا يستطيع القيام. الطليح: المتعب الهزيل.

(٣) مجّ: رمى. المآقي: جمع المؤقي والمأقي، وهو مجرى الدمع من العين.

(٤) المغرب: المغرب العربي: تونس والجزائر والمغرب. لجج: جمع اللجة، وهي الجماعة الكثيرة، ولجة الظلام. العسف: الظلم. الصراح: الخالص من كل شيء، المجاهرة.

وَغَيْرُكَ مُشْتاقٌ إلى صاحِبٍ لَهُ ... حِجًا كَسِراجِ الْكَهْرُباءِ لَمُوحُ[1]

صَديقُكَ ثاني السَّاعِدَيْنِ وَرَأْيُهُ ... لِرَأْيِكَ في كُلِّ الأُمورِ كَفيحُ[2]

وَما الخُلْفُ في الآراءِ بَيْنَكُما سِوَى ... دَليلٌ على أَنَّ الوِدادَ صَريحُ

وَما هُوَ كالخُلْفِ الَّذي يَسْتَثيرُهُ ... عِنادٌ وَرَأْيٌ بِالصَّوابِ لَقوحُ[3]

أَلا خَلِّياتي مِنْ حِوارِ مُعانِدٍ ... يَقولُ لِسانُ الأَعْجَمِيِّ فَصيحُ

وَما وَعْدُ عُرْقُوبٍ بِيَثْرِبَ مُخْلِفاً ... ولا ماءَ في أَرْضِ الْعِراقِ يَسيحُ[4]

وطَلْعَةُ ذي الوَجْهَيْنِ وَضَّاحَةُ السَّنا ... وَطائِرُ مَنْ يَلْقى الْبَسُوسَ سَنيحُ[5]

ويُطْري الَّتي تَلْهو وتُرْجِئُ غَزْلَها ... إلى أَنْ تَرى نَجْمَ الشِّتاءِ يَلوحُ[6]

أَعِنْدَكَ بُرْهانٌ يَروضُ مُجادِلاً ... يَميحُ مَعَ الأَهْواءِ حَيْثُ تَميحُ![7]

---

(١) الحجا: العقل والفطنة. لموح: من لمح البرق والنجم؛ أي: لمع.

(٢) الكفيح: الكفؤ والنظير.

(٣) اللقوح: الناقة الحلوب، والمعنى هنا: الرأي المنتج.

(٤) عرقوب: رجل يثربي كان يضرب به المثل في الكذب والخلف، وفيه إشارة إلى البيت:

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

(٥) البسوس: امرأة هاجت بسببها الحرب المنسوبة إليها بين بكر وتغلب أربعين سنة، حتى ضرب بها المثل في الشؤم، يقال: «أشأم من البسوس».

(٦) تلميح إلى البيت:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ... سهيل أذاعت غزلها في القرائب

(٧) يميح: يمشي يتبختر.

3272

بلغ السّيل الزبى

إذا نُصِــبَتْ بَــيْنَ الــدِّيارِ مَنــابِرٌ	تَقوم عَلَيْها الْغُرْبُ وهِـيَ تَصـيحُ(١)
تُنــادي لِأَسْــواقٍ تَمــوجُ خَلاعَــةً	وشُــرْطِيُّها فــي الرَّائِـدينَ مَـروحُ(٢)
فَقَــدْ بَلَــغَ السَّــيْلُ الزُّبَــى وأَظَلَّنــا	زَمانٌ بِما يُرْضي الْكِـرامَ شَـحيحُ(٣)
وَأَصْبَحَ طَعْمُ الْمَوْتِ حُلْـواً وريحُـهُ	كَأَنْفـاسِ زَهْـرٍ بالرِّيـاضِ يَفـوحُ(٤)

❐ ❐ ❐

---

(١) الغُرْب: جمع غراب، وهو طائر كبير، يسمى الأسود منه: بالحاتم، يتشاءمون به، ويسمى الأبقع: بغراب البين. ويضرب به المثل في السواد والبعد والبكور والحذر.

(٢) الشُّرْطي: بسكون الراء، وفتحُها خطأ، والجمع شُرَط، وسمّوا بذلك؛ لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها، والشَّرَطُ هي العلامة. مروح: من المرح، وهو شدة الفرح والنشاط.

(٣) الزّبى: جمع زبية، وهي الرابية لا يعلوها ماء، ومنه المثل: «بلغ السيل الزبى»؛ أي: اشتد الأمر حتى انتهى إلى غاية بعيدة. شحيح: البخيل والحريص، جمع شِحاح وأشحة وأشحاء.

(٤) يفوح: يتضوع وينتشر.



قافية الخاء

الشيوخ والفتيات

«قالها في مجلس بمصر عندما جرى الحديث في تزوج الشيوخ بالفتيات».

لا تَرْجُ مِنْ غادَةٍ فَتاةٍ	تَبْني عَلَيْها وَأَنْتَ شَيْخُ[1]
ما كُنْتَ تَلْقاهُ مِنْ، فَتاةٍ	وَلِلشَّبابِ الْغَريضِ شَرْخُ[2]
فَإنْ تَمَلَّيْتَها حَصاناً	وَصادَها مِنْ غِناكَ فَخٌّ[3]
فَدارِها والْفُؤادُ يَحْنو	عَطْفاً، ويُمْنى يَدَيْكَ تَسْخو

---

(١) الغادة: المرأة الناعمة اللينة. تبني عليها: تتزوج وتدخل بها. الشيخ: من استبانت فيه السنّ، وظهر عليه الشيب، وقيل: من أربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وإطلاق الشيخ على الأستاذ والعالم وكبير القوم ورئيس الصناعة إنما هو باعتبار الكبر في العلم والفضيلة والمقام، ونحو ذلك.

(٢) الغريض: الماء الذي يورد باكراً، والطري من اللحم، وكل أبيض طري، الشرخ: أول الشباب، ويقال: هو في شرخ الشباب؛ أي: في ريعانه.

(٣) تمليتها: عشت معها مستمتعاً بها. الحَصان: المرأة العفيفة، جمع حُصن وحَصانات. الفخ: آلة يصاد بها.



قافية الدال

فضل اللغة العربية

«ألقيت في حفلة افتتاح الدورة السادسة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة»[١].

شَـبيهانِ: الهِـلالُ إذا تَهـادى ... وَفِكْـرٌ بـاتَ يَرْتـادُ السَّـدادا[٢]

بَنـاتُ الْفِكْـرِ آبِـدَةٌ وَلَـوْلا ... عِنـانُ الْقَـوْلِ لَـمْ تُسْلِسْ قِيـادا[٣]

رَعـى اللهُ الأَديـبَ يَـرومُ مَعْنـىً ... فَيُسْـعِدُهُ الْبَيـانُ بِمـا أَرادا[٤]

أُبَجِّلُـهُ وَلَـوْ لَـمْ يَـأْوِ ظِـلاًّ ... بَنـى الْعَـيْشُ الأَنيْـقُ بِـهِ وَشـادا

فَهـاتِ السَّـيْفَ يَخْطُـرُ فـي مَضـاءٍ ... وَخَـلِّ الْغِمْـدَ عِنْـدَكَ والنِّجـادا[٥]

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الثاني عشر.

(٢) الهلال: غرة القمر حين يهلّه الناس. تهادى: مشى مشياً غير قوي متمايلاً. السداد: الرشاد، الاستقامة.

(٣) آبدة: الأمر العظيم تنفر منه وتستوحش، جمع أوابد، وأُبَّد. العِنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. سلس: كان منقاداً ليناً. القياد: مصدر، وهو ما يقاد به كالمقود، ويستعمل بمعنى الطاعة والإذعان.

(٤) رعى الله: حفظ الله.

(٥) مضاء: مصدر، يقال: مضى السيف مضاء؛ أي: قطع. الغمد: جفن السيف. النجاد: حمائل السيف.

وَيَنْـزَعُ بـي إلـى الآدابِ وَجْـدٌ   إذا قُلْتُ اشْتَفى بالوَصْلِ زادا[١]

فأنسى «مَعْبَداً» و«عُرَيْبَ» دَهْراً   ولا أَنْسى «الْبَديعَ» ولا «الْعِمادا»[٢]

وأَسْلو الرَّوْضَ والوَرْقاءُ تَشْدو   بِـهِ وَالْغَيْثُ حـاكَ لَـهُ بِجادا[٣]

ولا أَسْلو الطُّروسَ تَدورُ فيها   رَحَى الْبَحْثِ ابْتِكاراً وَانْتِقادا

وَلَمْ أُنْضِ الْقَريحَةَ في نَسيبٍ   وَلا عَذْلاً شَكَوْتُ وَلا بُعادا[٤]

فَما أَهْوى سِوى لُغَةٍ سَقاها   قُرَيْشٌ مِنْ بَراعَتِهِمْ شِهادا[٥]

---

(١) الوجد: المحبة. اشتفى: نال الشفاء.

(٢) معبد: (... ـ ١٢٦هـ) معبد بن وهب، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، نشأ في المدينة، ورحل إلى الشام، واتصل بأمرائها.

عريب: «١٨١ ـ ٢٧٧هـ» عريب المأمونية، شاعرة ومغنية وأديبة، ولدت ببغداد، ونشأت في قصور الخلفاء العباسيين، وقربها الخليفة المأمون حتى نسبت إليه، وتوفيت بسامراء.

البديع: (٣٥٨ ـ ٣٩٨هـ) بديع الزمان أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أحد أئمة الأدب والشعر، ولد في همذان، وتوفي في هراة مسموماً، اشتهر بمقاماته، وله ديوان شعر، ورسائل مطبوعة.

العماد: (١١٢٥ ـ ١٢٠٠م) عماد الدين الكاتب، مؤرخ وكاتب كبير، ولد في أصفهان، وعاش وتوفي بدمشق. له مؤلفات مطبوعة.

(٣) الورقاء: الحمامة. الغيث: المطر. البجاد: كساء مخطط من أكيسة الأعراب يشتملون به، جمع بُجد.

(٤) أنضى: أهزل وأخلق وأبلى. القريحة: ملكة الشاعر يقتدر بها على نظم الشعر. النسيب: التشبيب بالمرأة. العذَل: الملامة.

(٥) الشهاد: جمع الشهْد، وهو العسل ما دام لم يعصر شمعه.

أَداروا مِـــنْ، سَلاسَـــتِها رَحيقـــاً   وهَـــزُّوا مِـــنْ جَزالَتِهـــا صِـــعادا[1]
وطَوَّقَهـــا كِتـــابُ اللهِ مَجْـــداً   وزَادَ سَـــنا بَلاغَتِهـــا اتِّقـــادا
تَصـــيدُ بِســـحْرِ مَنْطِقِهـــا قُلوبـــاً   تُحـــاذِرُ كالجَـــآذِرِ أَنْ تُصـــادا[2]
قَنَـتْ حِكَمـاً رَوائِـعَ لَـوْ أَعـارَتْ   سَـناها النَّـارَ لَـمْ تَلِـدِ الرَّمـادا[3]
سَـرَتْ كـالمُزْنِ يُحْيـي كُـلَّ أَرْضٍ   ويُبْهِجُهـــا وِهـــاداً أَوْ نِجـــادا[4]
وَمـــا لِلَّهْجَـــةِ الْفُصْـــحى فَخـــارٌ   إِذا لَـــمْ تَمْـــلأِ الـــدُّنْيا رَشـــادا
وراعَ حِلـى الْفَصـاحَةِ غَيْـرَ عُـرْبٍ   فَحَثُّـــوا مِـــنْ قَـــرائِحِهِمْ جِيـــادا[5]
تَخـــوضُ بَيانَهـــا الْفَيَّـــاضَ طَلْقـــاً   وكانَـــتْ قَبْلَـــهُ تَـــرِدُ الثِّمـــادا[6]
وكَم ضاهى «ابْنُ فارِس» وَهو يُوري   زِنـــادَ الشِّـــعْرِ وائِـــلَ أو إِيَـــادا[7]

---

(١) السلاسة: الرقة والانسجام. الرحيق: الخمر. الجزالة: الفصاحة والمتانة. الصِّعاد: واحدها الصعدة، وهي القناة المستوية.

(٢) الجآذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان لجمال عينيه.

(٣) قنت: جمعت وكسبت.

(٤) المزن: المطر أو السحاب. الوهاد: جمع الوهد: الأرض المنخفضة. النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٥) الجياد: جمع جواد، وهو الفرس.

(٦) الفيّاض: للمبالغة في الكثرة. الثماد: الماء القليل لا مادة له.

(٧) ابن فارس: (٣٢٩ ـ ٣٩٥هـ) أحمد بن فارس القزويني، إمام في اللغة والأدب، أصله من قزوين، وتوفي بالري، قرأ عليه البديع الهمذاني، والصاحب ابن عباد، وغيرهما، له تصانيف عديدة، ومطبوعة. يوري الزند: يخرج ناره. الزناد: جمع زنْد، وهو العود الذي يقتدح به النار. وائل: قبيلة عربية، بطن من ربيعة بن نزار =

أَتاهــا الْعِلْــمُ يَرْسُــفُ فـي كَسـادٍ ... وخَطْـبُ الْعِلْـمِ أَنْ يَلْقـى كَسـادا[١]

فَــأَلْفى مِــنْ مَعاجِمِهــا عُبابــاً ... غَزيـرَ النَّبْـعِ لا يَخْشـى نَفـادا[٢]

فَأَوْدَعَهــا نَفائِسَــهُ وأَضْــحى ... شِـعارُ الْعِلْـمِ إِعْرابـاً وضَـادا[٣]

عَـذيري مِـنْ زَمـانٍ ظَـلَّ يَجْنـي ... عَلـى الْفُصْـحى لِيُزْهِقَهـا فَسـادا

حَثـا فـي رَوْضِـها الزَّاهـي قَتامـاً ... وَأَنْبَــتَ بَــيْنَ أَزْهُرِهــا قَتــادا[٤]

وَلَــوْلا أَنَّ هــذا الــذِّكرَ يُتْلـى ... لَــرَدَّ بَيــاضَ غُرَّتِهــا سَــوادا[٥]

أَجالَــتْ طَرْفَهــا فــي كُــلِّ وادٍ ... فَلَمْ تـرَ فـي سِـوى مَصْـرٍ مَـرادا[٦]

فَتِلْــكَ مَعاهِــدُ الْعِرْفـانِ تُـدْني ... إِلَــيْهِمْ خَيْــرَ مــا يَبْغــونَ زادا

= من العدنانية، وأشهر فروعها: بكر، وتغلب. إياد: قبيلة عربية من معد بن عدنان.

(١) يرسف: يمشي مشي المقيد. الكساد: يقال كسد الشيء: أي لم ينفق لقلّة الرّغاب. الخطب: الشأن والأمر، صغُر أو عظُم.

(٢) ألفى: وجد. العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته. النفاد: الانقطاع.

(٣) الإعراب والضاد: خص الشاعر الإعراب والضاد؛ لأن الإعراب هوميزة اللسان العربي في المركبات، والضاد ميزة اللسان العربي في المفردات.

(٤) حثا: رمى. القتام: الغبار الأسود. القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر، وفي المثل: «من دونه خرطُ القتاد».

(٥) الذكر: القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]. الغرة: بياض في جبهة الفرس، ووجه الرجل.

(٦) الطرف: العين. المَراد: مكان رياد الإبل؛ أي: اختلافها في المرعى مقبلة مدبرة، وهو المكان الذي يُذهب فيه ويجاء.

وهـــذا مَجْمَــعٌ يَحْمـــي تِـــلاداً ... وَيبْنــي طارِفــاً يَحْكــي الــتِّلادا[1]

كَــأَنَّ عُكــاظَ عــادَ بِهــا اشْــتِياقٌ ... إلى الْفُصْحى فَكـانَ لَهـا مَعـادا[2]

جَــرى مــاءُ الحَيــاةِ بوَجْنَتَيْهــا ... فَهَنَّأْنـــا الْيَراعَـــةَ والمِـــدادا

وقُلْنـــا لِلْمَنـــابِرِ: ذَكِّرينـــا ... عَلِيّــاً حــينَ يَخْطُــبُ أَوْ زِيــادا[3]

فَيَــا لُغَــةَ النَّبِــيِّ سَــقاكِ عهْــدٌ ... مِــنَ الإِصْــلاحِ يَنْــتَظِمُ الْبِــلادا[4]

فَمـــا مِـــنْ حاجَـــةٍ لِلْعِلْـــمِ إلاَّ ... يُقِــيمُ لَهــا بِحِكْمَتِــهِ سِــدادا[5]

يَصـــونُ هِدايَـــةَ اللهِ اعْتِـــزازاً ... بِهـــا وأَضـــاعَها قَـــوْمٌ عِنـــادا

تَــراءى الزَّيْــغُ يَــنْفُضُ مِذْرَوَيْــهِ ... ويَمْسَــحُ عَــنْ لَوَاحِظِــهِ رُقــادا[6]

---

(١) التلاد: المال القديم. الطارف: المال الحديث المستحدث.

(٢) عكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية، يقع بين نخلة والطائف، ويبعد عن مكة المكرمة ثلاثة أيام، كانت القبائل تجتمع فيه مدة عشرين يوماً في شهر ذي القعدة من كل سنة، ويتناشد الشعراء فيه ما نظموا من الشعر. المعاد: المرجع والمصير.

(٣) عليٌ: (٢٣ق هـ ـ ٤٠هـ) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم النبي ﷺ وصهره، وأحد الأبطال والخطباء والعلماء بالقضاء، ولد بمكة وقتل بالكوفة. زياد: (١ ـ ٥٣هـ) زياد بن أبيه، أمير من الدهاة والقادة الفاتحين، ولد في الطائف، وولاه معاوية البصرة والكوفة وسائر العراق حتى توفي.

(٤) ينتظم: يقال: انتظم اللؤلؤ: تآلف في السلك واتسق، وانتظم الأمر: استقام.

(٥) السداد: ما تسد به الحاجة.

(٦) الزيغ: الشك، والجور عن الحق. المذروان: طرفا الإليتين، واحدهما مِذرى، ويقال: جاء ينفض مذرويه؛ أي: باغياً ومهدداً.

وَمَـنْ يَصُـنِ الهُـدى مُلِئَـتْ يَـداهُ　　نَجاحـاً كلَّمـا اسْـتورى زِنـادا

بكاء على مجد ضائع

«قالها في دمشق سنة ١٣٣٢هـ، حين وجد للدولة العثمانية شيئاً من الضعف، ولقنصل فرنسا أمام قناصل الدول الأوربية شيئاً من النفوذ».

بَـيْنَ الجَـوانِحِ هِمَّـةٌ　　تَسْـمو إلـى أَمَـدٍ بَعيـدِ[1]

نَهَضَـتْ كمـا تَبْغـي الْعُـلا　　وَالعَـزْمُ كالسَّـيْفِ الْفَريـدِ[2]

أَدْمـى فُـؤادِيَ أَنْ أَرى الْـ　　أَقْـلامَ تَرْسُـفُ فـي قُيُـودِ[3]

وأَرى سِياسَـةَ أُمَّتـي　　فـي قَبْضَـةِ الخَصْـمِ الْعَنيـدِ

فَهَجَـرْتُ قَوْمـاً كُنْـتُ فـي　　أَنْظـارِهِمْ بَيْـتَ الْقَصـيدِ[4]

وحَسِـبْتُ هـذا الشَّـرْقَ لَـمْ　　يَبْـرَحْ علـى عَهْـدِ الرَّشـيدِ[5]

يَسَـعُ الجُهـودَ إذا تَضـا　　يَقَـتِ البِـلادُ علـى الجُهـودِ

ويَقـولُ يَـوْمَ أَبُثُّـهُ　　بَعْـضَ الأَسـى: هَـلْ مِـنْ مَزيـدِ؟

---

(١) الجوانح: واحدها جانحة: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر؛ كالضلوع مما يلي الظهر.

(٢) الفريد: الواحد والمنفرد، والسيف الفريد: أي: لا نظير له.

(٣) ترسف: تمشي مشي المقيد.

(٤) بيت القصيد: يقال: بيت القصيدة؛ أي: أنفس أبياتها، وهو مثل في النادر والغريب، وتفضيل بعض الشيء على كله.

(٥) الرشيد: هارون الرشيد، مرت ترجمته.

فَـــــإذا المَجـــــالُ كَأَنَّــــــهُ　　مِـــنْ ضَـــيقِهِ خُلُـــقُ الوَليـــدِ[١]

زجاجات المصوّر

«قيلت في برلين سنة ١٣٣٥هـ».

عَذَرْتُكَ إِذْ صَوَّرْتَ في نَفْسِكَ الهُـدى　　ضَـلالاً وصَـوَّرْتَ الضَّـلالَ رَشـادا

فَإِنَّ زُجاجاتِ المُصَـوِّرِ تَقْلِـبُ الْـ　　ـسَّوادَ بَياضـاً والْبَيـاضَ سَـوادا

رثاء وزير

«من قصيدة قيلت في رثاء الوزير التونسي الشيخ محمد العزيز بو عتّور سنة ١٣٢٥هـ».

كُلُّ امْرِئٍ برَسولِ الْمَـوْتِ مَوْعـودُ　　وكُلُّ أُنسٍ بِـذاتِ الْبَيْنِ مَحْـدودُ[٢]

فَـأَحْزَمُ القَـومِ مَـنْ يَعْنـو لَخالِقِـهِ　　وَعَزْمُهُ بِعُرى الطّاعـاتِ مَشْـدودُ[٣]

فَلَمْ يُثَبِّطْـهُ عَـنْ فِعْـلِ التُّقـى تَـرَفٌ　　وَمُورِقٌ مِنْ خَصيبِ الْعَيْشِ أُمْلـودُ[٤]

لَيسَ المُدامَةُ في رَأْيِ الحَكيمِ سِـوى　　مَـرارَةٍ قاءَهـا فـي الـدَّنِّ عنْقـودُ[٥]

سَـيَنْجلي الْيَـوْمَ مـا لَـمْ يَـدْرِهِ فِئَـةٌ　　بِالأَمْسِ والزُّهْدُ في الأَحْياءَ مَعْهـودُ

---

(١) الوليد: المولود حين يولد، ويضرب بخلقه المثل في الضيق.

(٢) الأُنس: ضد الوحشة. ذات البين: العداوة والبغضاء.

(٣) يعنو: يخضع. عرى: جمع العروة: ما يوثق به ويعول عليه.

(٤) ثبّط: عوّق وبطّأ. مورق: الشجر ظهر ورقه. الأملود: الناعم من الغصون.

(٥) المدامة: الخمر. قاء: ألقى من فمه. الدن: الوعاء، جمع دنان.

والشَّـمْسُ لا يَقْـدِرُ الرَّائـي مَزِيَّتَهـا   إلاَّ إذا غَشِـيَـتْ أَنْوارَهـا السُّـودُ(١)

الوفاء بعهد الصّداقة

«سـأله بعض الأدباء: كيف كانت صلتكم بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس؟ فاجابه بهذه الأبيات».

أَحْبَبْتُـــهُ مِـــلْءَ الْفُـــؤادِ وَإنَّمـــا   أَحْبَبْـتُ مَـنْ مَـلأَ الـوِدادُ فُـؤادَهُ

فَظَفِرْتُ مِنْـهُ بِصـاحِبٍ إنْ يَـدْرِ مـا   أَشْكوهُ جافى ما شَـكَوْتُ رُقـادَهُ(٢)

وَدَرَيْـتُ مِنْـهُ كمـا دَرى منِّـي فَتـىً   عَـرَفَ الوَفـاءُ نِجـادَهُ وَوِهـادَهُ(٣)

الصّداقة والعزلة

أُريدُ أَخاً كالماءِ يَجْـري علـى الصَّـفا   نَقِيّاً فَيَصْفو لي على الْقُرْبِ والْبُعْـدِ(٤)

وأَرْسَلْتُ لَحْظَ الْفِكْرِ في الْقَوْمِ ناقِـداً   وَأَوْصَـيْتُهُ أَلاَّ يُبـالِغَ فـي النَّقْـدِ

فَلا ضَيْرَ في وِدٍّ تَغاضَـيْتَ فيـهِ عَـنْ   لَوَاذعَ يَأْتيها الصَّـديقُ بِـلا عَمْـدِ(٥)

فَعـادَ وَكَـمْ لاقـى لِسـاناً مَماذِقـاً   وَمِنْ خَلْفِهِ قَلْبٌ خَلِـيٌّ مِـنَ الـوِدِّ(٦)

---

(١) السود: الليالي.

(٢) جافى: ضد واصل وآنس.

(٣) النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. الوهاد: جمع الوهد: الأرض المنخفضة.

(٤) الصفا: الصخرة الصلبة الملساء.

(٥) اللواذع: لواذع الكلام: ما قرص وآلم.

(٦) مماذق: غير مخلص، يقال: مذقَ الودَّ: أي: شابه بكدر، ولم يخلصه.

وَلَوْلا ارْتِيَاحي لِلنِّضالِ عَنِ الْهُـدى لَفَتَّشْتُ عَنْ وادٍ أعـيشُ بـهِ وَحْـدي

خلوا عداتي

«قيلت في مصر».

خَلُّـوا عِـداتي يَمْلَـؤونَ بِخَـيْلِهِمْ وَبِـرَجْلِهِمْ أَكَـمَ الثَّـرى وَوِهـادَهُ[1]

لا هَمَّ فـي الـدُّنْيا إذا ظَفِـرَتْ يَـدي بِـأَخٍ عَشِـقْتُ ذَكـاءَهُ ورَشـادَهُ

أَصْـفو لَـهُ أَمَـدَ الحَيـاةِ وَإِنْ رَمـى سَـمْعي بِقَـوْلٍ خـادِشٍ مـا اعْتـادَهُ

لَسْتُ المُقـاطِعَ إنْ جَفـا خِـلٌّ وَلَـمْ يَـكُ قَطْـعُ رابِطَـةِ الـوِدادِ مُـرادَهُ

الجرس

«قالها في برلين سنة ١٣٣٥ عقب زيارة المرحوم محمد فريد، وإسماعيل لبيب».

جَـرَسٌ يَصِـيحُ كَحاجِـبٍ طَلْـقِ اللِّسـانِ مُعَرْبِـدِ[2]

حينـاً يَنـوحُ كَموجَـعٍ مِـنْ لَطْمَـةِ المُتَعَمِّـدِ

والآنَ رَنَّ كَمِزْهَـرٍ جَسَّـتْهُ أَنْمُـلُ مَعْبَـدِ[3]

زارَ الصَّـديقُ فَهَـزَّهُ مِـنْ بَعْـدِ ضَـغْطَةِ جَلْمَـدِ[4]

---

(١) العداة: واحده العادي وهو العدو. الأكم: جمع أكمة: التل.

(٢) المعربد، والعربيد: مؤذي نديمه في سكره، والشرير.

(٣) أنمل: جمع أنملة، وهي رأس الإصبع. معبد: نابغة الغناء العربي، وقد مرت ترجمته.

(٤) الجلمد: الرجل الشديد الصلب.

والـــودُّ يَسْـــكُنُ فـــي الحَشـــا لَكِـــنْ يُحَـــسُّ مِـــنَ الْيَـــدِ

الهُدى والضّلال

كأنَّ شُعاعَ الشَّمْسِ يَنْسابُ في الثَّرى وَيَطْوي بِساطاً مَدَّهُ اللَّيْلُ أَسْوَدا

سَنا حُجَّةٍ يَسْطو على قَلْبِ جاحِدٍ فَيأْخُذُهُ بَعْدَ الضَّلالِ إلى الهُدى

الرّياء غش

صاغَ النُّحاسَ مُذَهَّباً لِيَغُرَّ مَنْ يَبْغي حُلِيّاً مِنْ صَميمِ الْعَسْجَدِ

كأَخي هَوًى طاغٍ يُحاوِلُ سَتْرَهُ عَنّا بِسَمْتِ النَّاسِكِ المُتَعَبِّدِ[١]

عواطف الصّداقة

«بعد هجرة الشاعر من تونس إلى دمشق سنة ١٣٣١هـ، بعث صديقه العلامة المرحوم محمد الطاهر بن عاشور، وهو قاضي القضاة بتونس، رسالة مصدرة بالأبيات المنشورة في حاشية هذه الصفحة، وقد أجابه بالقصيدة التالية».

أَيَنْعَمُ لي بالٌ وأنتَ بَعيدُ وأَسْلو بِطَيْفٍ والمَنامُ شَريدُ

إذا أَجَّجَتْ ذِكْراكَ شَوْقي أُخْضِلَتْ لَعَمْري بِدَمْعِ المُقْلَتَيْنِ خُدُودُ[٢]

بَعُدْتُ وآمادُ الحَياةِ كثيرَةٌ وَلِلأَمَدِ الأسْمى عَلَيَّ عُهودُ[٣]

---

(١) السمت: هيئة أهل الخير. الناسك: العابد المتزهد.

(٢) أجّج: ألهب. اخضلت: ابتلت.

(٣) آماد: جمع أمد: الغاية.

نص قصيدة العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

بعدت ونفسي في لقاك تصيد فلم يغن عنها في الحنان قصيد

وخلفت ما بين الجوانح غصة لها بين أحشاء الضلوع وقود=

بَعُـدْتُ بِجُثْمـاني وَروحـي رَهينَـةٌ ... لَـدَيْكَ وَلِلْـودِّ الصَّـميمِ قُيُـودُ[١]
عَرَفْتُكَ إذْ زُرْتُ الـوَزيرَ وَقَـدْ حنـا ... عَلَـيَّ بِإقْبـالٍ وأَنْـتَ شَـهيدُ[٢]
فَكانَ غُروبُ الشَّمْسِ فَجْرَ صَـداقَةٍ ... لَهـا بَـيْنَ أَحْنـاءِ الضُّـلوعِ خُلـودُ
لَقيتُ الوِدادَ الحُرَّ فـي قلـبِ ماجِـدٍ ... وَأَصْدَقُ مَـنْ يُصْـفي الـوِدادَ مَجيـدُ
أَلَمْ تَرَمِ في الإِصْلاحِ عَنْ قَوْسِ ناقِـدٍ ... دَرَى كَيْفَ يُرْعـى طـارِفٌ وَتَليـدُ[٣]
وَقُمْتَ عَلى الآدابِ تَحْمي قَـديمَها ... مَخافَـةَ أَنْ يَطْغـى عَلَيْـهِ جَديـدُ

= وأضحت أماني القرب منك ضئيلة ... ومـرّ الليـالي ضـعفها سـيزيد
أتـذكر إذ ودعتنـا صـبح ليلـة ... يمـوج بهـا أنـس لنـا وبـرود
وهـل كـان ذا رمـزاً لتوديـع أنسنا ... وهـل بعـد هـذا البـين سـوف يعـود
ألم تر هـذا الـدهر كيـف تلاعبت ... أصـابعه بالـدر وهـو نضـيد
إذا ذكـروا للـود شخصـاً محافظـاً ... تجلـى لنـا مـرآك وهـو بعيـد
إذا قيل من للعلـم والفكـر والتقـى ... ذكرتـك إيقانـاً بأنْـك فريـد
فقـل لليـالي جـددي مـن نظامنـا ... فحسـبك مـا قـد كـان فهـو شـديد

وكتب تحتها ما يتلو: «هذه كلمات جاشت بها النفس الآن عند إرادة الكتابة إليكم، فأبثها على علاتها، وهي وإن لم يكن لها رونق البلاغة والفصاحة، فإن الود والإخاء والوجدان النفسي يترقرق في أعماقها».

(١) الجثمان: الجسم.

(٢) الوزير: محمد العزيز بوعتور (١٢٤٠ ـ ١٣٢٥هـ) من كبار رجال السياسة والعلم في تونس. الشهيد: الحاضر والمطّلع، والبيت إشارة إلى أول لقاء بين الشاعر والعلامة ابن عاشور.

(٣) الطارف: المال الحديث المستحدث. التليد: المال القديم.

أَتَــذْكُرُ إذْ كُنّــا نُبــاكِرُ مَعْهَــداً ... حُمَيَّــاهُ عِلْــمٌ والسُّــقاةُ أُســودُ[١]

أَتَــذْكُرُ إذْ كُنّــا قَــرينَيْنِ عِنْــدَما ... يَحِــينُ صُــدورٌ أَوْ يَحِــينُ وُرودُ[٢]

فَــأَيْنَ لَيَالينــا وأَسْــمارُها الَّتــي ... تُبَــلُّ بِهــا عِنْــدَ الظِّمــاءِ كُبــودُ

لَيَــالٍ قَضَــيْناها بِتُــونُسَ لَيْتَهــا ... تَعــودُ وَجَــيْشُ الْغاصِبينَ طَريــدُ[٣]

خاتم خالقي

وقائِلَــةٍ: مــا هــذِهِ الشَّــامَةُ الَّتــي ... أَرى أَهِيَ الْقَرْحُ الَّذي مَــرَّ عَهْــدُهُ[٤]

فَقُلْــتُ لهــا: الشَّــيْطانُ يَــزْعُمُ أَنَّــهُ ... يُــوَجِّهُني أَنَّــى تَوَجَّــهَ قَصْــدُهُ

وَمَهْما رَمى الشَّــيْطانُ سَــهْمَ غِوَايَــةٍ ... يَكيــدُ عِبــادَ اللهِ أَخْفَــقَ كَيْــدُهُ

وَهذا الَّذي أَبْصَرْتِ خــاتَمُ خــالِقي ... لِيَشْهَدَ لي مــا عِشْــتُ أَنِّــيَ عَبْــدُهُ[٥]

---

(١) نباكر: نأتي بكرة. المعهد: جامع الزيتونة بتونس. الحميا: شدة الغضب وأوله، يعني هنا: النشاط. ويريد بالسقاة الأسود: أساتذة المعهد، وما كان لهم من مهابة وإجلال في قلوب المتعلمين.

(٢) القرين: لدة الرجل؛ أي: الذي ولد وتربى معه. الصدور: الرجوع عن الماء. الورود: بلوغ الماء.

(٣) جيش الغاصبين: الجيش الفرنسي الذي كان يحتل تونس قبل الاستقلال.

(٤) قائلة: الضمير يعود إلى زوجة الشاعر السيدة المرحومة زينب رحيم. الشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه، وأثر سواد، وهي أثر عملية جراحية أجريت للشاعر في أعلى القفا سنة ١٣٦٥ﻫ بالقاهرة.

(٥) خاتم: الطابع تطبع به السمة، وكذلك حَلْي للإصبع، حُفر عليه اسمه اللابس أم لا. وفي هذا البيت إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[الحجر: ٤٢].

أموت مجلِّياً

أَبْـدى الطَّبيـبُ المُسْتَشـارُ نَصـيحَةً فوَقَفْـتُ مِنْهـا وَقْفَـةَ المُتَـرَدِّدِ

قال: احْمِ فِكْرَكَ أَنْ يَروضَ أَوابِـداً وَاقْنَعْ بِما يَبْـدو علـى ظَهْـرِ الْيَـدِ[١]

فـالفِكْرُ إنْ تُبْعِـدْ مَـداهُ وأَنْـتَ فـي هذا الضَّنى لاقَيْتَ حَتْفَكَ فـي الْغَـدِ

نَفْسي أَبَـتْ لـي أَنْ تَبيـتَ قَريحَتـي ويَرَاعَتـي فـي نَوْمَـةِ الْمُتَبَلِّـدِ[٢]

وَلأَنْ أَمــوتُ مُجَلِّيـاً خَيْـرٌ لَهـا مَنْ أَنْ أَعيشَ عَلى الفِراشِ كَمُقْعَـدِ[٣]

بين المستشفى والمسجد

«قيلت في رمضان سنة ١٣٧١هـ».

يـا نُفوسـاً رُبِّيَـتْ فـي رَشَـدِ لا تَغُرَّنْـكِ حَيـاةُ النَّكَـدِ[٤]

سَـطَعَ الإيمـانُ فـي الْقَلْـبِ كَمـا سَـطَعَتْ بَهْجَـةُ هـذا الْعَسْـجَدِ[٥]

وإذا مـا فاتَـكِ الرُّشْـدُ فَـلا تَفْخَـري يَوْمـاً بِنُبْـلِ الْمَشْـهَدِ[٦]

عَثَـرَتْ بـي هِمَـمُ الـدُّنْيا كمـا عَثَـرَتْ بـي فَـرَسٌ فـي جَلْمَـدِ[٧]

---

(١) الأوابد: جمع الآبدة، وهي القافية الشاردة، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش. ويريد بما يبدو على ظهر اليد: الأفكار السطحية.

(٢) القريحة: ملكة يقتدر بها على استنباط العلم والشعر بجودة الطبع. اليراعة: القلم.

(٣) المجلِّي: السابق في الحلبة.

(٤) الرشد: الهداية. النكد: الشؤم والعسر وقلة الخير.

(٥) العسجد: الذهب، وقيل: الجوهر كله؛ كالدر والياقوت.

(٦) المشهد: محضر القوم ومجتمعه، جمع مشاهد.

(٧) الجَلمد: الصخر.

3287

لَسْـــتُ أَدْري أَفُـــؤادي عـــامِرٌ … أَمْ خَلِـيٌّ مِـنْ خِصـالِ السُّـؤْدُدِ

وَأَذاقَتْنــــي اللَّيـــالي كَـــدَراً … بَعْـدَ مـا احْلَوْلَـتْ بِعَـيْشٍ رَغِـدِ

صَــرَعَتْني غَمْــرَةٌ مــا حَــلَّ بــي … مِثْلُهــا عُشْــراً وَطــولَ أَمَــدِ

خَفَقَـتْ فـي الـرَّأْسِ روحٌ فَجْـأَةً … وهَـوَى فـي الأَرْضِ حُـرُّ الْجَسَـدِ

وَلِســاني نَسِـيَ الْقَــوْلَ وَفــي … أَرْجُلــي قَيْــدٌ كَقَيْـدِ الْمُقْعَــدِ

فَحَسِـبْتُ الأَجَـلَ المَخْتـومَ لَـمْ … يَتَــأَخَّرْ وَأَتَــى فــي الْمَوْعِــد

بــادَرَ الْمُسْــعِفُ يُزْجــي مَرْكَبــاً … مَـدَّ جِسْـمي فيـهِ مَـدَّ المُلْحَـدِ(١)

رامَ بــي الْقَصْــرَ وأَلْقــى فِتْيَـةً … وَرَدوا فـي الطِّـبِّ أَصْـفى مَـوْرِدِ(٢)

نَقَــروا الصَّــدْرَ وجَسُّــوا مَنْبَضــاً … وَانْقِـراضُ الْعُمْـرِ يُـدْرى باليَـدِ(٣)

وَاسْــتَبانوا أَنَّ رَبَّ الْعَــرْشِ قَــدْ … كَتَــبَ الْمَحْيَــا بِنــابِ الأَسَـدِ(٤)

عُــدْتُ لِلــدَّارِ الَّتــي فارَقْتُهــا … فـي مَساءِ الأَمْسِ مِـنْ صُبْحِ غَـدِ

وَتَـــوَلاَّني أُســـاةٌ هـــا أَنَـــا … ذا أُلاقــي يَــوْمَهُمْ فــي أَسْـعَدِ(٥)

وَصَــفوا الــدَّاءَ وَقــالوا: طِبُّــهُ … مَطْعَــمٌ مُــرٌّ وَوَخْــزُ الْعَضُــدِ

---

(١) المسعف: الممرّض. يزجى: يدفع. المركب: طاولة ذات عجلات يوضع عليها المريض. المُلْحَد: القبر.

(٢) رام: أراد. القصر: مستشفى القصر العيني في القاهرة.

(٣) المنبض: منبض القلب حيث تراه ينبض. الانقراض: الهلاك.

(٤) المحيا: الحياة، قال تعالى: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[الجاثية: ٢١].

(٥) الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب.

كَـمْ طَبيـبٍ أَمَّـهُ المَرْضـى فَعـا   دوا بِلَيْـلٍ مِثْـلِ لَيْـلِ الأَرْمَـدِ(١)
لَيْتَـهُ يَفْقَـهُ سِـرّاً مُودَعـاً   في جَنى النَّحْلِ وَريقِ الأَسْوَدِ(٢)
وَإذا المَـرْءُ اشْـتَفى مِـنْ عِلَّـةٍ   فَبِـفَضْلِ الأَزَلِـيِّ الصَّـمَدِ
قَـوَّمَ الجِسْـمَ بِمُسْتَشْـفىً كما   قُوِّمَـتْ أَفْكـارُهُ بالمَسْـجِدِ

ما رقمت يدي

غَلا فـي امْتِـداحي مُلْهَـجٌ بِمَحَبَّتـي   وأَسْرَفَ في ذَمّي المُصِرُّ على حِقْدِ(٣)
يَـدُسُّ أَخـو الحِقْـدِ المَزايـا وَرُبَّمـا   طَلاها بأَصْباغِ الذُّنوبِ عَلـى عَمْـدِ
وَلِلْحِبِّ عَيْنٌ أَبْتَني الْبَيْتَ مِنْ حَصـىً   فَتُبْصِرُهُ دُرّاً على الْقُـرْبِ والبُعْـدِ(٤)
رُوَيْدَكَ زِنْ بِالْقِسْطِ ما رَقَمَتْ يَـدي   عَلى وَرَقٍ تَخْبُرْ حَقيقَةَ ما عِنْـدي(٥)

سائل في زورق

عَهِدْتُ الذي يَسْعى عَلَى مَتْنِ زَوْرَقٍ   إلى الرِّزْقِ يُدْلي نَحْوَه شَرَكَ الصَّيْدِ(٦)

---

(١) أَمَّ: قصد. الأرمد: ما كان على لون الرماد.

(٢) جنى النحل: العسل. الأسود: العظيم من الحيات وفيه سواد، جمع أساود.

(٣) غلا: تصلّب وشدّد حتى جاوز الحد. ملهج: يقال أُلْهِج بالشيء: أي: أولع به، ولزمه.

(٤) الحِبّ: المحب.

(٥) رقمت: كتبت. تخبر: تعلم.

(٦) قال البيتين عندما وقع بصره على زورق يطوف به على جوانب السفينة التي أقلته من تونس إلى الإسكندرية سائل مقعد. انظر: كتاب «الرحلات» للإمام.

وَذَا قانِصٌ في اليَمِّ يَرْمي إلى العُلا حُبالَــةَ أَقْــوالٍ فَتَظْفَــرُ بِالقَصْــدِ

حسن العهد

«بعث إليه صديقه الأديب الشيخ علي النيفر من تونس بالقصيدة المنشورة في الحاشية، وقد أجابه عليها بهذه الأبيات».

رَعى اللهُ حُسْـنَ الْعَهْـدِ هَـزَّ قَريحَـةً فَأَلْقَتْ عَلَينا مِـنْ حَلاهـا فَرائِـدا[1]

وَما الْكَلِمُ الْفُصْحى سِـوى دُرَرٍ إذا تَلاقَتْ على الْقِرْطاسِ صـارَتْ قَلائِـدا[2]

---

(١) رعى: حفظ. الحلي: ما يزين به من مصنوع المعدنيات أو الحجارة الكريمة. الفرائد: جمع الفريدة: الجوهرة النفيسة.

(٢) الكلم: جمع الكلمة. القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها. القلائد: جمع القلادة: ما جعل في العنق من الحلي. وقلائد الشعر: البواقي على الدهر؛ أي: التي لا تزال محفوظة لا تنسى لنفاستها.

* نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الثاني والعشرين.

نص قصيدة الأستاذ علي النيفر:

أزج القــوافي شــرّداً وأوابــدا لحمــى يعــج مكارمــاً ومحامــدا

وانــخْ كرائمهــا لديــه فســاحُه ترعـى القصـيد ولا تـرد القاصـدا

غيــلُ الأعــارب ملتقـى أبطـالهم وربيــع مُســنتهم وحسـبك رافـدا

حيث الرضا الخضر الحسين تخال ما يبديــه مــن غــرر البيــان قلائــدا

حيث ابتنى في مصر للخضراء من عرفانــه علمــاً يغــيظ الحاســدا

أعلـى منـاراً «للهدايـة» فـي مغـا نيهـا فعـاد بـه المغفـل راشـدا

وبـه «لـوا الإسـلام» يخفـق عاليـاً فأظــل ممــروراً وأدفــاً صـاردا

قـد أذكرانـا منـه صـرح «سـعادة» عظمى بتـونس كـان أعلـى شـائدا =

وَرُبَّ قَصيدٍ هاجَ ذِكْرى تُثيرُ مِنْ ... تَباريحِ شَوْقٍ ما يُذيبُ الجَلامِدا[١]

قَصيدٌ بدا مِنْ أُفْقِ أَرضٍ نَشَأْتُ في ... مِهادِ رُباها لا عَدِمْتُ القَصائِدا[٢]

أَبا الحَسَنِ اسْتَسْمَنْتَ ذا وَرَمٍ أَما ... تَرى عَزْمَهُ بَيْنَ الجَوانِحِ خامِدا[٣]

= و«الأزهر» المعمور حبَّر سفره ... حقباً وأطلع في سماه فراقدا

ولكم به قد بثَّ علماً نافعاً ... نقع الغليل لمن أتاه واردا

يحكي الذي أحيا به «زيتونة» الـ ... ـعرفان في علم أضاء معاهدا

و«المجمع اللغوي» في مصر غدا ... فيه لما يعلي العروبة ماهدا

ويحسبه أن راح يرأس «جبهة» ... لدفاع من ناوى المغارب صامدا

ما زال يرأسها بعزمة أيّدٍ ... في صحبة الأبرار يدأب ذائدا

سبحان من أولاك علماً واسعاً ... وتقىً وخلقاً مثل خيمك ماجدا

يا فخر تونس يا ميمم من نأى ... عنها بمصر مهاجراً أو واردا

يا أنس مغترب وموئل لاجئ ... وكفى بما شهد البرية شاهدا

أهدي لكم مني تحية شائق ... لكريم خلقكم الهنيّ مواردا

ما زلت أذكرها بمصر مجالساً ... لكمُ علينا قد نثرن فرائدا

أبقاك من رقاك أرفع رتبة ... وحباك في كل الأمور مراشدا

وبقيت من كل الخطوب مسلَّماً ... لجميع ما ترجو وتأمل واجدا

تونس ٢٧ ذو القعدة ١٣٦٨هـ

(١) الجلامد: جمع الجلمد، والجلمود: الصخر.

(٢) الأرض: يريد بها: تونس حيث ولد الشاعر. المهاد: الفراش والأرض.

(٣) أبا الحسن: الشيخ علي النيفر. من كبار أدباء تونس وعلمائها، ولد سنة ١٣١٨هـ. وشب في وسط آل النيفر العلمي.

وَلا خَيْـرَ فـيمَن عـادَ صـارِمُ عَزْمِـهِ ... كَهاماً ويَرْضى أَنْ يُسَمَّى المُجاهِدا[1]

وأَطْرَيْـتَ ظمْـآنَ اسْـتَبانَ لِداتُـهُ ... مَـوارِدَ عِرْفـانٍ وَضَـلَّ المَـوارِدا[2]

نَظَـرْتَ بِعَـيْنِ الـوِدِّ سـيرَتَهُ فَمـا ... دَرَيْتَ الَّذي تَدْريهِ لَـوْ جِئْتَ ناقِـدا

حَمِدْنا سُـراكُمْ يَـوْمَ وافَيْـتَ قادِماً ... عَلى الطَّائِرِ المَيْمونِ لِلْحَجِّ قاصِـدا[3]

طَلَعْـتَ عَلَيْنـا وَاشْـتياقي لِتـونُسٍ ... يُقَلِّـبُ جَمْـراً بَـيْنَ جَنْبَـيَّ واقِـدا

فَأَهْدَيْتَ طاقاتٍ مِنَ الأُنْسِ طالَمـا ... بَكَرْتُ لَها بَـيْنَ الخَمائـلِ ناشِـدا[4]

لَقيتُ بِلُقْياكَ الأَريبَ الَّـذي حَكـى ... بِسـيرَتِهِ الحَسْـناءِ جَـدّاً وَوالِـدا[5]

ذَكَرْتُهُمـا عِنْـدَ اللِّقـاءِ، وَإِنَّمـا ... ذَكَـرْتُ عُلومـاً جَمَّـةً ومَحامِـدا

وَلَمْ أَنْسَ أَنْ كـانَ المُـوَقَّرُ جَـدُّكُمْ ... غَداةَ امْتِحاني مُسْتَشاراً وَشـاهِدا[6]

فَنَـوَّهَ بـي عَطْفـاً وَتَنْويـهُ مِثْلِـهِ ... يُـرَوِّجُ ذِكْـراً مِثْـلَ ذِكْـرِيَ كاسِـدا

---

(١) كَهام: كليل، يقال كَهم السيف: كلَّ.

(٢) أطريت: بالغت في المدح. لِدات: جمع لِدَة: وهو الذي ولد معك وتربى.

(٣) السُّرى: سير عامة الليل. الطائر الميمون: يقال «سر على الطائر الميمون»: دعاء للمسافر، ويقال: «هو ميمون الطائر»؛ أي: مبارك الطلعة.

(٤) الطاقات: جمع الطاقة، وهي القدرة على الشيء. بكر: أتى بُكرة. الخمائل: جمع خميلة: الموضع الكثير الشجر.

(٥) الأريب: العاقل، والماهر، والبصير.

(٦) هو المرحوم العلامة الشيخ محمد الطيب النيفر القاضي المالكي في تونس لذلك العهد.

بِعَيْشِكَ حَدِّثْني عَنِ الْمَعْهَدِ الَّذي قَضَيْتُ بِهِ عَهْدَ الشَّبيبَةِ رائدا[١]

حَظيتُ بأَشْياخٍ مَلأْتُ الْفُؤادَ مِنْ تَجِلَّتِهِمْ لمَّا خَبِرْتُ الأَماجِدا

بَيانُ أَديبٍ يَقْلِبُ اللَّيْلَ صَحْوَةً وفِكْرَةُ نِحْريرٍ تَصيدُ الأَوابِدا[٢]

فَلَمْ يُرِنـي أَدْرى وأَنْبَلَ مِنْهُمُ رَحيلٌ طَوى بي أَبْحُراً وَفَدافِدا[٣]

وَيَأْبى قَريضي وَهْوَ ضَيْفُ حِماكَ أَنْ يَمُرَّ بِمَرْسَى المَهْدَوِيِّ مُحايِدا[٤]

فَلي في نَقاها جيرَةٌ كُنْتُ أَقْتَني طَرائِفَ مِنْ إيناسِهِمْ وَتَلائِدا[٥]

فَدَعْهُ يُحَيِّيهِمْ حِفاظاً لِعَهْدِهِمْ ويَأْوي إلى مَغْناكَ في الطِّرْسِ عائِدا[٦]

القاهرة في محرم ١٣٦٩هـ

أنباء تونس

«قالها عندما زاره أديب قادماً من تونس».

أَمُحَدِّثي رُبِّيتَ في الوَطَنِ الَّذي رُبِّيتُ تَحْتَ سَمائِهِ وَبَلَغْتُ رُشْدا

---

(١) المعهد: جامع الزيتونة بتونس. الرائد: الرسول الذي يرسله القوم ينظر لهم مكاناً ينزلون فيه.

(٢) النحرير: الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن، البصير بكل شيء؛ لأنه ينحر العلم نحراً. الأوابد: جمع الآبدة، وهي القافية الشاردة.

(٣) الفدافد: جمع فدفد، وهي الفلاة.

(٤) مرسى المهدوي: بلدة في ضاحية تونس.

(٥) النقا: القطعة من الرمل. الجيرة: يعني بهم: صديقه العلامة المرحوم محمد الطاهر بن عاشور.

(٦) المغنى: المنزل. الطرس: الصحيفة.

وَجَنَيْـتَ زَهْـرَ ثَقافَـةٍ مِـنْ رَوْضَـةٍ　　كُنْتُ اجْتَنَيْتُ بَنَفْسَجاً مِنْهـا وَوَرْدا[1]

هـاتِ الحَـديثَ فَـإنَّني أَصْبو إلـى　　أَنْباءِ تُونُسَ مِنْ صَميمِ القَلْبِ جِـدًّا

المعارف والصّنائع[2]

أَيُعاتَـبُ الـزَّمَنُ الَّـذي لا يُسْـعِدُ　　وَبَنُـوهُ فـي مَهْـدِ البَطالَـةِ هُجَّـدُ[3]

مَهْلاً فَما هُـوَ بـالمَلومِ وَمَـنْ رَمـى　　سَـهْمَ المَلامَـةِ نَحْـوَهُ فَمُفَنَّـدُ[4]

لَوْ أَفْرَغوا في وُسْـعِهِ مـا جَـلَّ مِـنْ　　عَمَـلٍ لأَغْـدَقَ فيـهِ عَـيْشٌ أَرْغَـدُ[5]

أَرَأَيْتَ كَيْـفَ شَـدَتْ بَلابِـلُ سَـعْدِهِ　　وَزَهَـتْ بِبَهْجَتِهـا غُصـونٌ مُيَّـدُ[6]

إذْ أَنْفَقَ الأَسْلافُ فـي سُبُلِ العُـلا　　أَقْصى الجُهودِ وَلَمْ يَفُـتْهُمْ مَقْصَـدُ[7]

كُنَّـا بَنـي الإِسْـلامِ أَصْـدَقَ لَهْجَـةً　　وَأَصَـحَّ عَهْـداً بالوَفـاءِ يُؤَكَّـدُ

---

(١) الروضة: جامع الزيتونة بتونس.

(٢) نشرت في العدد الحادي عشر من مجلة «السعادة العظمى» التي كان يصدرها الشاعر في تونس، وقد صدر العدد الأول منها في ١٦ محرم سنة ١٣٢٢هـ، حتى أغلقها المستعمر الفرنسي بعد صدور العدد الحادي والعشرين منها. وهي أول مجلة في بابها صدرت في تونس.

(٣) هجّد: جمع هاجد، وهو النائم.

(٤) الملامة: العذل. مفنّد: يقال فنّده: أي: خطّأ رأيه وضعّفه.

(٥) الوسع: الطاقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]. أغدق: اتسع. أرغد: خصب.

(٦) ميّد: مائلة.

(٧) الأسلاف: جمع سلف، وهو كل من تقدمك من آبائك وقرابتك.

عَقَدَ التَّواخي في الدِّيانَةِ بَيْنَنا ... نَسَباً، قَرابَتُهُ أَشَدُّ وَأَفْيَدُ

ما سامَ ذو رَأْيٍ سَديدٍ مَطْلباً ... إلاَّ غَدا بيَدِ الْمَعونَةِ يُعْضَدُ[1]

وَلَنا نُفوسٌ لَمْ تُنَطْ آمالُها ... إلاَّ بِما هُو في المَعالي أَمْجَدُ

تُنْضي عَزائِمَ كالسُّيوفِ صَرامَةً ... لَكِنْ لِوَفْرِ طِعانِها لا تُغْمَدُ[2]

كُنَّا بُدورَ هِدايَةٍ ما مِنْ سَنىً ... إلاَّ وَمِنْ أَنْوارِها يَسْتَوقِدُ

وإذا تَكامَلَ وَاسْتوى بَدْرٌ بَدا ... في أُفْقِ طَلْعَتِهِ السَّنِيَّةِ فَرْقَدُ[3]

كُنَّا بُحورَ مَعارِفٍ ما مِنْ حِلًى ... إلاَّ وَمِنْ أَغْوارِها يُتَصَيَّدُ

ما صَرْصَرَتْ أَقْلامُنا في مُهْرَقٍ ... إلاَّ رَأَيْتَ الدُّرَّ فيهِ يُنَضَّدُ[4]

مِنْ كُلِّ مَعْنًى يَبْهَرُ الأَلْبابَ أَوْ ... نَسْجٍ يَقومُ لَهُ الْبَليغُ وَيَقْعُدُ

ويَقومُ فينا لِلْخِطابَةِ مِصْقَعٌ ... فَتَرى بَناتَ الْفِكْرِ كَيْفَ تُوَلَّدُ[5]

كُنَّا جَلاءً لِلصُّدورِ مِنَ الْقَذى ... وَلِواؤُنا بِيَدِ السَّعادَةِ يُعْقَدُ[6]

ما صافَحَتْ راحاتُنا دَوْحاً ذَوى ... إلاَّ وَأَيْنَعَ مِنْهُ غُصْنٌ أَغْيَدُ[7]

---

(١) يعضد: ينصر ويعان.

(٢) تنضي: تسل.

(٣) السنية: الرفيعة. فرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به.

(٤) صرصرت: صاحت. المهرق: الصحيفة.

(٥) المصقع: البليغ ومن لا يرتج عليه في كلامه.

(٦) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

(٧) الدوح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة. أغيد: الناعم المتثنّي.

وَمَنِ احْتَمى بِطِرافِنا السَّامي الـذُّرا　　آوى إلى الحَرَمِ الَّـذي لا يُضْـهَدُ[1]

لا يَمْتَـري أَهْـلُ التَّمَـدُّنِ أَنَّهُـمْ　　لَـوْ لَـمْ يَسيرُوا إثْرَنا لَـمْ يَصْعَدُوا

فَسَـلوا مَتـى شِـئْتُمْ سَـراتَهُمُ فَمـا　　مِـنْ أُمَّـةٍ إلاَّ لَنـا فيهـا يَـدُ[2]

لا فَخْـرَ فـي الـدُّنيا بِغَيْـرِ مَجـادَةٍ　　تَعْنو لَها الأُمَـمُ العِظـامُ وتَسْجُدُ[3]

لَكِنَّنـا لَـمْ نَـرْعَ فيهـا حُرْمَـةً　　بِـذِمامِها مِنَّـا الرِّقـابُ تُقَلَّـدُ[4]

أَخَذَتْ مَطِيَّـاتُ الهَـوى تَحْـدو بِنـا　　فـي كُـلِّ لاغِيَـةٍ كَسَـاعَةَ نُوْلَـدُ[5]

حَتَّى انْزَوى مِنْ ظِلِّها المَمْـدودِ مـا　　فِيـهِ مُقـامٌ يُسْـتَطابُ ومَقْعَـدُ

أَبْناءَ هـذا العَصْـرِ هَـلْ مِـنْ نَهْضَةٍ　　تَشْـفي غَلـيلاً حَـرُّهُ يَتَصَـعَّدُ[6]

هـذي الصَّـنائِعُ ذُلِّلَـتْ أَدَواتُهـا　　وَسَـبيلُها لِلْعـالَمينَ مُمَهَّـدُ

وَكَـذاكَ بَـذْرُ العِلْـمِ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ　　وَدَنـا جَناهُ فَمـا لَنـا لا نَحْصُـدُ[7]

بِهِما جَرى القَوْمُ الَّذينَ اسْتُضْـعِفوا　　مِنْ قَبْلُ شَوْطاً فـي التَّقَـدُّمِ يَبْعُـدُ[8]

---

(١) الطراف: بيت من أدم. الحرم: ما يحميه الرجل ويقاتل عنه، وما لا يحل انتهاكه. يضهد: يقهر.

(٢) السراة: جمع السري، وهو السيد الشريف السخي.

(٣) مجادة: مصدر مجد؛ أي: كان ذا مجد، وهو العز والشرف. تعنو: تخضع وتذل.

(٤) الذمام: الحق.

(٥) المطية: الدابة تمطو في سيرها. اللاغية: اللغو.

(٦) الغليل: العطش، وقيل: شدته.

(٧) الشَّطْأُ: فراخ النخل والزرع، وقيل: ورقة. الجنى: ما يجنى من الشجر.

(٨) الشوط: الغاية، أو الجري مرة إلى الغاية.

أَفَلا نَسيرُ مَسيرَ ذي رُشْدٍ إلى ... آثارِ ما قَدْ أَسَّسوهُ وشَيَّدوا
فَلَطالما حَوَتِ الغَنائِمَ جَوْلَةٌ ... مِنْ رائِدِ النَّظَرِ الَّذي لا يَخْمُدُ[١]
إنَّ المَعارِفَ والصَّنائِعَ عُدَّةٌ ... بابُ التَّرَقِّي مِنْ سِواها مُوصَدُ

فلسطين

«كان أحد الأدباء بتونس بعث ببيتين إلى الشاعر مقترحاً تشطيرهما، فأجاب اقتراحه، وهذان البيتان مع التشطير».

«وَخَبِّرْهُمْ وأَنْتَ بِهِمْ خَبيرٌ» ... بِما فَعَلَتْهُ جالِيَةُ الْيَهودِ[٢]
وَذَكِّرْ آلَ يَعْرُبَ أَيْنَ كانوا ... «بِأَنَّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ الْعَبيدِ»[٣]
«وأَنَّ نُفوسَ هذا الخَلْقِ تَأْبى» ... حَياةً تَحْتَ سَيْطَرَةِ المَسودِ[٤]
وإنْ خَضَعَتْ لَها فَقَدِ اسْتَحَلَّتْ ... «لِغَيْرِ إلهِها ذُلَّ السُّجودِ»

الحياة الاجتماعية

لَيْسَ الحَياةُ نَماءَ الجِسْمِ في أَمَدِ ... ولا الحِمامُ تَواري الجِسْمِ بالنَّفَدِ[٥]
إنَّ الحَياةَ هيَ الأَيَّامِ زاهِرَةٌ ... وَلَيسَ بالمَوْتِ غَيْرُ الْعَيْشِ في نَكَدِ
ولا يَطيبُ الْفَتى عَيْشاً إذا نَسَجَتْ ... في أَرْضِهِ مُزْنَةٌ والنَّاسُ في جَرَدِ[٦]

---

(١) الرائد: اسم فاعل: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه.
(٢) الجالية: الجماعة جلت عن أوطانها ومنازلها.
(٣) الشنشنة: الخلق، أو الطبيعة، أو العادة.
(٤) المسود: ضد السيد.
(٥) الأمد: الغاية، المنتهى: الحِمام: قضاء الموت وقدره. النفد: الفناء والذهاب.
(٦) المزنة: القطعة من السحاب. الجرد: الفضاء لا نبات فيه.

وإنمــا الشَّــعْبُ أَفْــرادٌ مُؤَلَّفَــةٌ ... في هَيْئَةِ الفَرْدِ ذو قَلْـبٍ وذو جَسَـدِ

أَمّــا الْفُــؤادُ فأَرْبــابُ السِّياسَــةِ إنْ ... هَمُّوا بِخَيْرٍ فباقي الجِسْمِ في رَشَـدِ

وإنْ ذَكَــتْ أُمَّــةٌ لانَــتْ قِلادَتُهــا ... بِكَفِّ قائِدِها في السَّـهْلِ والسَّـنَدِ[1]

والْعِزُّ في الدَّوْلَةِ العُظْمى إذا بُنِيَـتْ ... عَلـى أَسـاسٍ مِـنَ الأَحْكـامِ مُطَّـرِدِ

ولا عَواطِــفَ إلاَّ أنْ تُسَــوِّيَ فــي ... إِجْرائِهــا نــازِحَ الأَوْطـانِ بالوَلَـدِ

تَحْمي حُقوقَ بَنـي الإنسـانِ قاطِبَـةً ... لا يَعْتَـدي أَحَـدٌ مِـنْهُمْ علـى أَحَـدِ

والْعَدْلُ أَنْ يَلِجوا فَصْلَ الخُصومَةِ مِـنْ ... بابِ المُساواةِ لا إيثـارِ ذي حَفَـدِ[2]

وكيــفَ يَــرْجَحُ أَقْــوامٌ وَوَزْنُهُــمُ ... فيمـا يُحَـدُّ بـه الإنسـانُ لَـمْ يَـزِدِ

إِنَّ الرَّعِيَّــةَ أَعْضــاءٌ مُســاعِدَةٌ ... لِلْمُلْكِ بالرَّأْيِ والأَمْـوالِ والحَشَـدِ[3]

تِلْــكَ الْعَظــائِمُ لا تَشْــتَدُّ أَزْمَتُهــا ... وَطْئـاً إذا ضَـرَبوا فيهـا يَـداً بِيَـدِ[4]

كَـذا المَشـاكِلُ لا تَجْلـو غَوامِضَـها ... إلاَّ بِمَجْلِسِ شُـورى راسِـخِ الْعُمُـدِ

فَمِـنْ تَصـادُمِ أَفْكـارِ الرِّجـالِ يُـرَى ... بَرْقُ الحَقيقَةِ وَضَّاحاً لِذي رَصَـدِ[5]

---

(١) القِلادة: ما جعل في العنق من حلـي. السـند: ما قابلك من الجبـل وعـلا عن السطح.

(٢) الحفد: جمع حافد، وهو ولد الولد.

(٣) الحشد: الجماعة، وتجمع على حشود.

(٤) العظائم: جمع عظيمة، وهي الكبيرة والنازلة الشديدة. الأزمة: الشدة والقحط، والسنة الشديدة. وطئاً: مصدر وطئ: داس بقدمه.

(٥) الرصد: القوم يرصدون؛ كالحرس والخدم.

وَنَفْثَـةُ الْقَلَـمِ الرَّاقـي لَهـا أَثَـرٌ | أَشَدُّ مِنْ أَثَـرِ النَّفَّـاثِ فـي الْعُقَـدِ[1]
والْقَابِضـونَ علـى أَمْـرِ السِّياسَـةِ لا | يَسُرُّهُمُ أَنْ تُرى الأَقْلامُ فـي صَـفَدِ[2]
يَسْمو بِهِمْ شَرَفُ الوِجْدانِ أَنْ يَضَعوا | نِظـامَهُمْ بِمكـانِ الْعِيـرِ والوَتِـدِ[3]
يَسـوءُهُمْ أَنْ يَرَونـا نـائِمينَ عَلـى | صِماخِ آذانِنا فـي صـورَةِ الجَمَـدِ[4]
لا نَسْتَميتُ على أرضِ الخُمـولِ ولا | نَرْمي بِسَهْمٍ مِنَ الأَقْـوالِ ذي أَوَدِ[5]
ولا يَطيشُ بِنا داعي الشَّـجاعَةِ عَـنْ | رَسْمِ اعْتِـدالٍ فَـإِنَّ الحـقَّ ذو جَلَـدِ

❒ ❒ ❒

(١) النفثة: ما يخرج من القلم. النفَّاث: السحّار، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[الفلق: ٤]؛ أي: من شر السواحر من النساء يعقدن عقداً من الخيوط، وينفثن عليها، أو: من شر النفوس.

(٢) الصفد: الوثاق.

(٣) العير: القافلة. الوتد: ما رزّ في الأرض أو الحائط.

(٤) الصماخ: خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس. الجمد: الثلج، الماء الجامد.

(٥) الأود: الاعوجاج.



قافية الذال

صيانة النفس عن الملق

«قالها في مصر سنة ١٣٦٤هـ».

قــالوا: رَكِبْــتَ بالانْقِبــاضِ مِطيّــةً ... أَقْصَتْكَ عَنْ عَيْشِ الثَّـرِيِّ لمـاذا؟[١]

قُلْتُ: انقْباضي أَنْ أَصونَ النَّفْسَ عَـنْ ... مَلَــقٍ يُعــاقِرُهُ الطَّغــامُ لِــواذا[٢]

إِنْ يَنْتَجِــعْ فِئَــةٌ بــهِ وَبْــلاً فَخُــذْ ... إِخْـذَ الْكِـرام وَلَـوْ نَجَعْـتَ رَذاذا[٣]

ومِنَ السَّلامَةِ أَنْ أَصونَ الْوَجْهَ عَـنْ ... مَلَـقِ الَّـذي اتَّخَـذَ النِّفـاقَ مَـلاذا[٤]

❐ ❐ ❐

---

(١) المطية: الدابة تمطو في سيرها. الثري: الكثير المال.

(٢) الملق: اللطف الشديد. عاقر: لازم. الطغام: أوغاد الناس. لواذاً: لاذ به لواذاً: استتر به واحتصن والتجأ.

(٣) ينتجع: يطلب. الوبل: المطر الشديد. الرذاذ: المطر الضعيف.

(٤) الملاذ: الحصن والملجأ.



قافية الراء

حياة اللغةالعربية

«قيلت في تونس سنة ١٣٢٦هـ».

بَصَـري يَسْـبَحُ فـي وادي النَّظَـرْ ... يَتَقَصَّـى أَثَـراً بَعْـدَ أَثَـرْ[1]

وَسَـبيلُ الرُّشْـدِ مَمْهـودٌ لِمَـنْ ... يَتَحامَى الْغُمْضَ ما اسْطاعَ السَّـهَرْ[2]

إنَّمـا الْكَـونُ سِـجِلٌّ رُسِـمَتْ ... فيـهِ للأَفْكـارِ آيٌ وَعِبَـرْ[3]

وإذا أَرْخـى الـدُّجى أَسْـتارَهُ ... ظَفِـرَ السَّـمْعُ بِمـا فـاتَ البَصَـرْ

لَسْـتُ أَنْسـى جُـنْحَ لَيْـلٍ خَفَقَـتْ ... فيـهِ بِالأَحْشـاءِ أَنْفـاسُ الضَّـجَرْ

قُمْـتُ أَسْـعى لِتَقاضـي سَـلْوَةٍ ... وَمَطايـا السَّـعْيِ مِرْقـاةُ الـوَطَرْ[4]

لَـجَّ بـي التَّسْـهيدُ حتّـى أَوْشَـكَتْ ... غُـرَّةُ الإصْـباحِ أَنْ تَغْشـى السَّـحَرْ

حَبَّـذا ريـحُ الصَّـبا ريحـاً جَـرَتْ ... بِحَسـيسٍ مِـنْ أَحاديـثِ السَّـمَرْ[5]

---

(١) تقصى: بالغ في البحث.

(٢) الغُمض، والغِماض: النوم. اسطاع: استطاع.

(٣) آي: جمع آية، وهي العلامة.

(٤) المرقاة: الدرجة. الوطر: الحاجة.

(٥) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الحسيس: الصوت الخفي، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[الأنبياء: ١٠٢].

فَحَـدَتْ بـي نَحْـوَ نـادٍ نَشَـبوا ... فـي لِحـاءٍ ولَجـاجٍ مُنْتَشِـرْ[1]

وإذا الخَصْـمانِ لَـمْ يَهْتَـدِيَا ... سُـنَّةَ الْبَحْـثِ عَـنِ الحـقِّ غَبَـرْ[2]

هــذِهِ طائِفَــةٌ تَشْــدو بِمــا ... في لِسانِ الْعُـرْبِ مِـنْ فَضْـلٍ ظَهَـرْ

وَجَفَتْــهُ فِئَــةٌ فاهْتَضَــمُوا ... حَقَّـهُ والجَهْـلُ مَـدْعاةُ الهَـذَرْ[3]

وتَراضَــوْا بَعْــدَ ذا أَنْ نَصَــبوا ... حَكَمـاً بَيْـنَهُمُ فيمـا شَـجَرْ[4]

أَبْــدَعَ الْقَــوْلَ وَقَــدْ أَسْــعَدَهُ ... لَهْجَـةٌ فُصْـحى وَجـأْشٌ مُسْـتَقِرْ[5]

لُغَــةٌ أُودِعَ فــي أَصْــدافِها ... مِـنْ قَـوانينِ الْهُـدى أَبْهـى دُرَرْ

أَفَلَــمْ يَنْسُــجْ عَلــى مِنْوالِهــا ... كَلِـمُ التَّنْزيـلِ فـي أَسْمى سُـوَرْ[6]

لُغَــةٌ تَقْطِــفُ مِــنْ أَغْصــانِها ... زَهْــرَ آدابٍ وأَخْــلاقٍ غُــرَرْ

هِـيَ بَحْـرٌ غُـصْ علـى حِلْيَتِهـا ... فَلآلـي الْبَحْـرِ لَيْسَـتْ تَنْحَصِـرْ

ضَــرَبَتْ فــي كُــلِّ فَــنٍّ سـاحِرٍ ... مِنْ فُنونِ الْقَوْلِ بالسَّهْمِ الأَغَـرْ[7]

أَفَمـا أَحْسَسْـتَ فـي أَجْراسِـها ... رِقَّـةً تُـذْهِلُ عَـنْ نَغْـمِ الـوَتَرْ

---

(١) نشب: علق. اللِّحاء: النزاع. اللجاج: التمادي في العناد.

(٢) سنّة البحث: طريقته. غبر: ذهب.

(٣) الهذر: سقط الكلام الذي لا يُعبأ به.

(٤) الحكم: الحاكم ومنفذ الحكم. شجر بينهم الأمر: تنازعوا فيه.

(٥) الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع.

(٦) المنوال: النسق والأسلوب. كلم التنزيل: كلام القرآن.

(٧) الأغر: الحسن.

وَرَقيـقُ اللَّفْـظِ يَسْـري فـي الحَشـا   ما سَـرَتْ نَظْـرَةُ ظَبْـيٍ ذي حَـوَرْ[١]

لَفْظُهـا الجَـزْلُ لـهُ وَقْـعٌ كَمـا   يَقَـعُ السَّـيْفُ إذا السَّـيْفُ خَطَـرْ[٢]

وابْنُهـا المِنْطيـقُ إِنْ زُجَّ بِـهِ   فـي مَجـالِ الْقَـوْلِ جَلّـى وَبَهَـرْ[٣]

يُبْـرِزُ المَعْنـى مَتـى شـاءَ علـى   صُـوَرٍ شَـأْنَ الْغَنِـيِّ الْمُقْتَـدِرْ

ثُـمَّ لا يُعْجِـزُهُ السَّـيْرُ علـى   طَرْزِهـا فـي كُـلِّ مَعْنـىً مُبْتَكَـرْ[٤]

فاسْـأَلِ التَّـاريخَ يُنْبِـئْكَ بِمـا   أَنْجَبَـتْ أَرْضُ قُـرَيْشٍ وَمُضَـرْ[٥]

مِـنْ خَطيـبٍ مِصْـقَعٍ أَوْ شـاعِرٍ   مُفْلِـقٍ يَسْـحَبُ أَذْيـالَ الفَخْـرْ[٦]

ضَـلَّ قَـوْمٌ سَـلَكوا فـي حِفْظِهـا   سَـبَباً أَوْهَـنَ مِـنْ حَبْـلِ القَمَـرْ[٧]

---

(١) الظبي: الغزال للذكر والأنثى. حور العين: اشتداد بياض بياضها وسواد سوادها.

(٢) الجزل: خلاف الركيك من الألفاظ.

(٣) المنطيق: البليغ. زجّ به: رمى به. جلّى: كشف.

(٤) الطرز: الهيئة.

(٥) قريش: قبيلة عربية نزلت مكة المكرمة في العصر الجاهلي، فتحضرت، ومنها كبار تجار القوافل بين جنوبي الجزيرة العربية إلى شمالها. ومن أهم فروعها: أمية ونوفل ومخزوم وهاشم وعدي. مضر: مضر بن نزار الجد الأعلى لفريق من القبائل العدنانية.

(٦) المصقع: البليغ، ومن لا يرتج عليه في كلامه. الشاعر المفلق: الذي يأتي بالعجائب في شعره.

(٧) السبب: الطريق. أوهن: أضعف.

أُلْقِمَتْ فـي نُطْـقِ قَـوْمي أَحْرُفـاً ... مِنْ لُغًى أُخْرى فَأَضناها الخَـدَرْ[١]
بَعْـضُ مَـنْ لَـمْ يَفْقَهـوا أَسْـرارَها ... قَـذَفوها بِمَـواتٍ مُسْـتَمِرْ[٢]
نَفَـروا مِنْهـا لِـواذاً، وإذا ... جَفَّ طَبْعُ المَرْءِ لَـمْ تُغْـنِ النُّـذُرْ[٣]
مـا زَكـا تُفّـاحُ لُبْنـانَ عَلـى ... حَسَكِ السَّعْدانِ فـي ذَوْقِ مَـذِرْ[٤]
واسْتوى في نَظَـرِ الأَعْشـى ضُحـىً ... زَهْـرُ رَوْضٍ وَهَشِـيمُ المَحْتَظِـرْ[٥]

كذلك كان في الدنيا عليٌّ

«أقامت جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة حفلة تأبين للمرحوم الأستاذ علي محفوظ الوكيل الأول للجمعية، وذلك يوم الخميس ١٥ محرم ١٣٦٢هـ، وقد افتتح الشاعر الحفلة بكلمة صدرت بها هذه الأبيات».

هُمـا السَّـهْمانِ يَشْتَبِـهانِ مَرْمَـى ... وَمـا كُـلُّ السِّـهامِ يَصيـدُ عُمْـرا
وَمـا سَـهْمُ المَنـونِ كَسَـهْمِ قَـوْسٍ ... إذا جَرَيـا إلـى الأَهْـدافِ قَسْـرا[٦]

---

(١) ألقم الطعام: أكله سريعاً. لغى: جمع لغة. الخدر: الكسل والفتور.

(٢) الموات: ما لا روح فيه.

(٣) لواذاً: لاذ به لواذاً: استتر به واحتصن والتجأ. النذر: أنذر بالأمر نذراً: أعلمه وحذره من عواقبه قبل حلوله.

(٤) زكا: نما وزاد. حسك السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل، له شوك تشبه به حلمة الثدي، فيقال له: السعدانة. المذر: الفاسد والخبيث.

(٥) الأعشى: الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. الهشيم: النبات اليابس المتكسر. المحتظر: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾[القمر: ٣١]؛ أي: أنهم قد بادوا وهلكوا، فصاروا كيبيس الشجر إذا تحطم.

(٦) المنون: الموت. قسر: أكره وقهر.

فَسَــهْمُ الْقَــوْسِ كالْعَشْــواءِ يَعْــدو فَيُخْطِــئُ مَــرَّةً ويُصيبُ أُخْــرى[١]

وَلا تَرْمــي المَنــونُ بِغَيْــرِ سَــهْمٍ يَهُــبُّ بِنَصْــلِهِ وَيُصــيبُ نَحْــرا[٢]

وأَحْــزَمُ مَــنْ رَأَتْ عَيْنــي أَريــبٌ يُقَــدِّمُ قَبْــلَ أَنْ يَغْشــاهُ ذُخْــرا[٣]

ولا مِثْــلَ امْــرِئٍ يَــدْعو بِجِــدٍّ إلــى طُــرُقِ السَّــعادَةِ مُسْــتَمِرّا

تَلينُ بِــهِ قُلــوبٌ لَــوْ مَــدَدْتَ الْــ ــبنَانَ يَجُسُّــها لَلَمَسْــتَ صَــخْرا[٤]

يُــذَكِّرُنا بِمَنْطِقِــهِ وتُهْــدي لَنــا أَقْلامُــهُ عِظَــةً وَذِكْــرى

كَــذلِكَ كــانَ فــي الــدُّنْيا عَلــيٌّ وَعاقِبَــةُ التُّقــى رُحْمــى وبُشْــرى[٥]

تشطير بيتين

«تشطير بيتين لأحد أدباء العراق، وها هما ذان مع التشطير».

(سَــيِّدَ الرُّسْــلِ وَمَــنْ بِعْثَتُــهُ) سَــطَعَتْ فانْقَلَــبَ اللَّيْــلُ نَهــارا

سُــلِبَتْ أُمَّتُــكَ الْعِــزَّ وَكَــمْ (كَسَــتِ الْكَــوْنَ بَهــاءً وَفَخــارا)

(قُــمْ إلــى النُّــورِ الَّــذي جِئْــتَ بِــهِ) والوَرى في غَسَقِ الجَهْلِ حَيارى[٦]

تَلْــقَ نــارَ الْغَــيِّ تَسْــطو حَوْلَــهُ (أَفَتَرْضــى أَنْ يَصــيرَ النُّــورُ نــارا)

---

(١) العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها.

(٢) النصل: حديدة السهم. النحر: أعلى الصدر.

(٣) الأريب: الماهر البصير. الذخر: ما أعددته لوقت الحاجة إليه.

(٤) البنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة. يجس الشيء: يمسه ليتعرفه.

(٥) العاقبة: آخر كل شيء، والجزاء بالخير.

(٦) الورى: الخَلْق. الغسق: دخول أول الليل حين يختلط الظلام.

حادي السّفينة

حادِي سَفِينَتِنا اطْرَحْ مِنْ حُمولَتِها ... زادَ الوقودِ فَما في طَرْحِهِ خَطَرُ[1]

وَخُذْ إذا خَمَدَتْ أَنْفاسُ مِرْجَلِها ... مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ مِقْباساً فَتَسْتَعِرُ

ابتغ العزة للشرق

«قيلت في عهد رياسة الشاعر لمشيخة الأزهر بالقاهرة».

لا تُسامَى كُلَّما خُضْتَ غِمارا ... وإذا رُضْتَ جَواداً لا يُجارى[2]

هاتِ مِنْ عَزْمِكَ ما تَرْقى بِهِ ... أُمَّةٌ هِيضَتْ جَناحاً وفَقارا[3]

إنْ يَصِحَّ الْعَزْمُ مِنْ قَوْمٍ فَلا ... يَلْتَقي شانِئُهُمْ إلاَّ تَبارا[4]

فَابْتَغِ العِزَّةَ لِلشَّرْقِ ولا ... تَرْجُ بِالبُغْيَةِ جاهاً أَوْ نُضارا[5]

وَلِقاءُ المَوْتِ في ذَوْدِكَ عَنْ ... ساحِهِ يُكْسِبُ ذِكْراكَ فَخارا

وبُغاةٌ فَتَحوا في صَفِّنا ... ثُغْرَةً أَنْ نُبْدِلَ الْعَطْفَ نِفارا[6]

---

(١) أبيات قالها عند ميناء تونس سنة ١٣٣٠هـ، وقد أخذ الحنو إلى الوطن يتزايد.

(٢) تُسامي: تُباري. الغِمار: جمع الغمر، وهو الماء الكثير، ومعظم البحر. راض الجواد: ذلَّله، وجعله مسخراً مطيعاً، وعلمه السير.

(٣) هيضت: كُسرت. الفَقَار: جمع الفقارة: الخرزة من خرزات الظهر.

(٤) الشانئ: المبغض. التبار: الهلاك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح: ٢٨]؛ أي: هلاكاً.

(٥) البغية: الحاجة. النضار: الذهب والفضة، والجوهر الخالص من التبر.

(٦) بغاة: جمع باغٍ وهو الظالم. النِّفار: الجُزع والتباعد.

حَسْبُنا مـا فَـتَّ فـي أَعْضـادِنا مِنْ سُمومِ الْبَيْنِ بَثُّوهـا ضِـرارا[١]

سَـلَبونا الـرَّأْيَ حَتـى أَصْـبَحَتْ أَوْجُهُ الحُكْمِ مِنَ الشُّـورى قِفـارا[٢]

نَنْطِـقُ الحَـقَّ صُـراحاً مَـرَّةً فَنَـرى هُجْـراً مِـنَ الْقَـوْلِ مِـرارا

لا يَطيـبُ الْعَـيْشُ حَتـى تَنْثَنـي خَيْلُهُمْ عَنْ مَطْلَعِ الشَّـمْسِ عِثـارا[٣]

فاسْـأَلِ المَغْـرِبَ كَيْـفَ امْتَلَكـوا بَعْـدَ الاسْـتِعمارِ زَرْعـاً وعَقـارا

أَبْرَمـوا الْعَهْـدَ وَلَـمْ يُوفـوا عَلـى أَنَّهُـمْ لاقَـوْا كِرامـاً وخِيـارا[٤]

وَرَعَيْنـا مِـنْهُمُ الْجـارَ ولَـوْ أَنْصَـفونا حَمِـدوا مِنَّـا الجِـوارا

سَـبَقونا بِفُنـونٍ وَعَلَـتْ يَدُهُمْ في الحُكْمِ قَسْـراً لا اخْتِيـارا[٥]

وخِـداعٌ حِـينَ وَلَّـوا حَكَمـاً مُسْتَبِـدّاً ودَعَـوْهُ مُسْتَشـارا

أَنْشَـؤوا فينـا رِياضـاً لَيْتَنـا نَجْتَنـي مِـنْ نـاعِمِ الْغُصْـنِ ثِمـارا

وَأَبـاحوا الشَّـيْصَ مِـنْ عَـذْقِ ذَوى لِفَتـىً فـاقَ ذَكـاءً وَوَقـارا[٦]

---

(١) بثَّ: نشر وأذاع.

(٢) الشورى: اسم بمعنى التشاور.

(٣) عثاراً: يقال: عَثَر الفرس: زلَّ وكبا.

(٤) الخِيار: جمع الخير.

(٥) القسر: القهر والإكراه.

(٦) الشيص: تمر لا يشتد نواه، وقيل: حمل النخلة الذي لا نوى له، وهو رديء مذموم.
العذق: النخلة بحملها.

وضَـعوا للـدَّرْسِ مِنْهاجـاً وَلَـمْ ... يَكُ في المِنْهاجِ ما يَشْفي الأُوارا[١]

شَـذَّ مِنّـا فِئَـةٌ سـاروا علـى ... أَثَـرِ المِنْهـاجِ فارْتَـدُّوا حَيَـارى[٢]

مَـدَّ هـذا الشَّـرْقُ باعـاً واسْـتَوى ... وأَتَـى الْغَـرْبَ فأَضْـناهُ وَجـارا[٣]

كـادَ يَنْسـى الْمَجْـدَ لَـوْلا فِتْيَـةٌ ... أَصْبَحوا مِنْ نَشْوَةِ الْعِلْـمِ سُكارى

بَحَثـوا فـي مَكْمَـنِ الْعِلْـمِ وَلَـمْ ... يَـدَعوا مِنْـه جِبـالاً أَوْ بِحـارا

وَعَلَـتْ أَعْناقُنـا بَعْـدُ فَيـا ... طَالَما ظَلَّتْ مِنَ الْعَسْفِ قِصارا[٤]

وَشُـعورٌ كَشُـعاعِ الشَّـمْسِ إنْ ... جـالَ فـي أَرْضٍ يَميناً ويَسـارا

مَـلأَ اللهُ بِـهِ أَفْئِـدَةً ... فَـدَرَتْ كَيْـفَ يَخونـونَ الـذِّمارا[٥]

مـا عَلَيْنـا لَـوْ تَمـادَوا فـي الْـوَغى ... أَوْ أَرَوْنا مِنْ رَحى الحَرْبِ قَـرارا[٦]

وَلَـدى قَـوْمي قَنـاً مُرْهَفَـةٌ ... وإذا رامُـوا صُـعوداً فَمَطـارا[٧]

---

(١) المنهاج: الطريق الواضح. الأوار: حر النار والشمس.

(٢) شـذّ عن الجماعـة: ندر عنهم وانفرد. حيارى: جمع حيران: الذي لم يدر وجه الصواب.

(٣) أضنى: أثقل. جارَ: ظلَم.

(٤) العسف: الظلم.

(٥) الأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب. الذمار: كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه.

(٦) الوغى: الصوت والجلبة، والحرب لما فيها من الصوت والجلبة. رحى الحرب: حومتها.

(٧) القنا: جمع القناة: الرمح. مرهفة: المرققة الحد.

ونُفُــوسٌ سَــئِمَتْ مِــنْ تَــرَفٍ وَتَعَشَّــقْنَ الْقَتَــامَ المُسْــتَثارا[١]

لا رَعَــى اللهُ عُهــوداً قَــدْ كَسَــتْ بِلَظَــى الضَّــيْمِ صِــغاراً وكِبَــارا[٢]

حــاوَلوا أَنْ يَهْبِــطَ الأَزْهَــرُ مِــنْ شــاهِقٍ إذْ كــانَ للــدُّنْيا مَنــارا

تَنْبُــعُ الحِكْمَــةُ مِــنْ صَــدْرِ فَتــىً لَبِــسَ الرُّشْــدَ شِــعاراً وَدِثــارا[٣]

مِــنْ يَــدٍ تُحْسِــنُ صُــنْعاً وحِجــاً يَسْــتَدِرُّ الْفِكْــرَ لَــيْلاً ونَهــارا

مناجاة الفكر

أَسْــهرُ اللَّيْــلَ وَإِنْ طــالَ وَمَــنْ يَعْشَــقِ المَجْــدَ يَلَــذَّ السَّــهَرا

لَسْــتُ مِمَّــنْ يَفْقِــدُ الأُنْــسَ إذا أَصْــبَحَ الــرَّوْضُ كَئِيبــاً أَغْبَــرا[٤]

لَسْــتُ آســى إِنْ مَضــى لَيْــلٌ وَمــا صــاحِبٌ زارَ ولا طَيْــفٌ سَــرى[٥]

هُــوَ ذا الْفِكْــرُ يُنــاجيني مَتــى رُمْــتُ أُنْســاً ضَــحْوَةً أَوْ سَــحَرا[٦]

يَتَســامى بــي إلــى أُفْــقٍ أَرى فــي مَعالِيــهِ السُّــها والْقَمَــرا[٧]

---

(١) القَتام: الغبار الأسود.

(٢) الضيم: الظلم جمع ضُيوم.

(٣) الشعار: ما تحت الدثار من اللباس، وهو ما يلي شعر الجسد. الدثار: الثوب الذي فوق الشعار.

(٤) أغبر: ما لونه الغبرة.

(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام. سرى: سار عامة الليل.

(٦) الضحوة: ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس. السحر: قبيل الصبح.

(٧) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

لـــي يَـــراعٌ كُلَّمـــا اسْـــتَهْدَيْتُهُ جَالَ فـي الطِّـرسِ وَأَهْـدى دُرَرا[١]

فَلْـيَكُنْ فـي النَّـاسِ بُخْـلٌ إنَّنـي لَسْتُ مِمَّنْ يَشْتَكي بُخْـلَ الـوَرى[٢]

على لسان قلم ناضل عن حق

«قيلت هذه الأبيات على لسان القلم الذي كان آخر أقلام استعملها الشاعر في الرد على كتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين، وقد أهديت بقية القلم إلى خزانة المرحوم أحمد تيمور بالقاهرة».

سَفَكَتْ دَمي في الطِّرْسِ أَنْمُلُ كاتِبٍ وَطَـوَتْنِيَ المِبْـراةُ إلاَّ مـا تَـرى[٣]

ناضَلْتُ عَنْ حَقٍّ يُحـاوِلُ ذُو هَـوًى تَصْـويرَهُ للنَّـاسِ شَـيْئاً مُنْكَـرا[٤]

لا تَضْـرِبوا وَجْـهَ الثَّـرى بِبَقِيَّـةٍ مِنِّي كمـا تُرْمـى النَّـواةُ وَتُـزْدَرَى[٥]

فَخِزانَـةُ الأُسْـتاذِ تَيْمـورَ ازْدَهَـتْ بِحِلًى مِـنَ الْعِرْفـانِ تُبْهِـرُ مَنْظَـرا[٦]

فأَنا الشَّـهيدُ وَتِلْـكَ جَنَّـاتُ الهُـدى لا أَبْتَغـي بِسِـوى ذُراهـا مَظْهَـرا[٧]

---

(١) اليراع: القصب، الواحدة يراعة، ويقصد بها: القلم. الطرس: الصحيفة، جمع أطراس وطروس.

(٢) الورى: الخلق.

(٣) سفكت: صبّت. الطرس: الصحيفة. المبراة: السكين يبرى به القلم.

(٤) الهوى: العشق يكون في الخير والشر، ويقال: فلان من أهل الأهواء: أي: ممن زاغ عن الطريقة المثلى. المنكر: ما ليس فيه رضا الله.

(٥) الثرى: الأرض. النواة: عجمة التمر ونحوه؛ أي: حبه، أو بزره، جمع نوى ونويات. تزدرى: تُحتقر ويستخف بها.

(٦) تيمور: أحمد تيمور الكاتب والمؤرخ المعروف، وقد مرت ترجمته.

(٧) الشهيد: القتيل في سبيل الله. الذرى: جمع ذروة، والذروة من الشيء: أعلاه.

أنت بدر الضّحى

«قالها بمناسبة مجلس ذكر فيه الفن المعروف في البديع باسم: «المراجعة»، والمراجعة: أن يحكي المتكلم مراجعة في القول، ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة، وأرشق سبك، وأسهل لفظ في بيت أو أبيات».

وَعَـدَ الخِـلُّ أَنْ يَـزورَ بِلَيْـلٍ   قُلْـتُ: دَعْ لِلنَّهـارِ هـذا المَـزارا[١]

قـالَ: إِنِّـي أَخـو الْبُـدورِ وَمَـنْ ذا   يَتَمَلَّـى أُنْـسَ الْبُـدورِ نَهـارا

قَلْـتُ: لِلْقَلْـبِ مُقْلَـةٌ لا تَـرى إِنْ   زُرْتَ إِلاَّ بَهاجَـةً وازْدَهـارا[٢]

أَنْتَ بَدْرُ الضُّحى فَـإِنْ غِبْـتَ عُـدْنا   في ظَلامٍ والشَّـمْسُ لَـمْ تَتَـوارى[٣]

قـالَ: هـذا شِـعْرٌ فَهـاتِ قياسـاً   يَتَحَنّـى «أَرِسْـطُ» منْـهُ انبِـهارا[٤]

قُلْـتُ: بَـدْرٌ طِلاعُـهُ الأُنْـسُ أَنّـى   لاحَ في رَوْنَقِ الضُّحى لا يُبـارى[٥]

شهر صوم وجهاد

«أبيات ختم بها حديث رمضان المنشور في جريدة الأهرام بالقاهرة سنة ١٣٦٥هـ».

شَـهْرُ صَـوْمٍ وَجِهـادٍ والْفَتـى   إِنْ رَمى عَنْ قَـوْسِ رُشْـدٍ لا يُبـارى

---

(١) الخل: الصديق. المزار: الزيارة، أو موضعها.

(٢) بهاجة: بَهُج بهاجة: حَسُن.

(٣) الضحى: حين تشرق الشمس. تتوارى: تستتر.

(٤) تحنى: تعطف. أرسطو: مرت ترجمته. الانبهار: انقطاع النفس من الإعياء.

(٥) الطلاع من الشيء: ملؤه. يبارى: يقال: بارى فلاناً: عارضه.

أَنِّبِ النَّفْسَ إذا هَمَّتْ بِأَنْ ... تَقْضِيَ اليَوْمَ كما يَقْضي السُّكارى
إنَّما الحازِمُ مَنْ صامَ وَلَوْ ... لَمَحَ الْعِزَّةَ في النَّجْمِ لَطارا
هِمَمٌ يَخْتَطُّها الْفِكْرُ دُجًى ... وَيَدُ الإصْلاحِ تَبْنيها نَهارا

قاذفات القنابل

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ في ظَلامٍ آذَنَتْ ... بِخُطوبِهِ صَفَّارَةُ الإنْذارِ[1]
والطَّائِراتُ تَحومُ فَوْقَ رُؤوسِنا ... تَرْمي الحُتوفَ بِيَمْنَةٍ ويَسارِ[2]
وَلَوِ اطَّلَعْتِ على الشَّظايا خِلْتِها ... شَرَرَ الجَحيمِ يَطيرُ كُلَّ مَطارِ
فَعَلِمْتُ أَنَّ نَواكِ أَرْوَعُ لِلْحَشا ... مِنْ هَوْلِ مُحْرِقَةِ الجُسومِ بِنارِ

التواضع والكبر

أَرى مُثْمِرَ الأَغْصانِ يَدْنو مِنَ الثَّرى ... وعَاطِلُها يَبْغي بِهامَتِهِ الشِّعْرى[3]
فَأَذْكُرُ إذْ يَهْوي الهُمامُ تَواضُعاً ... وَيَرْفَعُ مَسْلوبُ العُلا أَنْفَهُ كِبرا

المحجر الصّحيّ بالمريجات

«قيلت في المريجات بلبنان سنة ١٣٣٠هـ».

بَيْنَ المِرَيْجاتِ ما تَحْلو مَناظِرُهُ ... في الْعَيْنِ لكِنَّ نَفْسي مَسَّها ضَجَرُ[4]

---

(١) أول من نهج هذا المنهج عنترة بن شداد إن صح ما ينسب إليه من قوله:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي

(٢) الحتوف: جمع الحتف، وهو الموت.

(٣) الثرى: الأرض. الشِّعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر.

(٤) المريجات: قرية في جبل لبنان.

والنَّفْسُ تَضْجَرُ مِنْ دارِ المُقامِ على رَغْمٍ وإنْ كانَ مِـنْ سُـمَّارِها الْقَمَـرُ

البرد في الحديقة

«قالها في برلين سنة ١٣٣٧هـ».

هَزَّ النَّسيمُ غُصونَ الرَّوضِ في سَحَرٍ كمـا يَهُـزُّ بَنـانُ الْغـادَةِ الـوَتَرا[١]

لَذَّ الحَفيفُ عَلى سَمْعِ الْغَمـامِ أَمَـا تَـراهُ يَحْثـو عَلـى أَدْواحِـهِ دُرَرا[٢]

القطار في غوطة دمشق

«قالها عندما دخل القطار في بساتين دمشق لأول مرة سنة ١٣٣٠هـ».

لـجَّ القِطـارُ بِنـا والنَّـارُ تَـسْحَبُهُ مـا بَـيْنَ رائِـقِ أَشْـجارٍ وأنْهـارِ

وَمِنْ عَجائِـبِ مـا تَدْريـهِ فـي سَفَرٍ قَـوْمٌ يُقـادونَ لِلْجَنَّـاتِ بِالنَّـارِ

الوفاء في اليسر والعسر

مَــسَّتِ الْعَــيْشَ عَــسْرَةٌ فَــدَعِيها تَبْتَلـــي الـــصَّبْرَ ســـاعَةً وَتَمُـــرُّ

جــارَتي هكَــذا الزَّمــانُ يُوافِيـــ ـــنا بِيَــوْمٍ يَجْفــو وَيَــوْمٍ يَــسُرُّ

مــا افْتَقَــدْنا فــي الحــالَتَيْنِ وَفــاءَ واحْتِفــاءً بِـــهِ الْعُيـــونُ تَقَـــرُّ[٣]

أرى سفري

أَرَى سَــفَري شِــعْراً ولَكِــنْ بُيوتَــهُ مُفَـصَّلَةٌ فـي غيـر بَحْـرٍ وفـي بَحْـرِ

---

(١) البنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة. الغادة: المرأة الناعمة اللينة الأعطاف.

(٢) الحفيف: صوت أغصان الأشجار. حثا التراب: هاله بيده.

(٣) الاحتفاء: المبالغة في الإكرام. تقر العين: تبرد سروراً.

وَمَقْطَعُ عـودي مـن بدائِعِـهِ ألا ... تَرى عَجُزاً قد ردَّ فيه على صَدْري

عهد الشّبيبة والمشيب

«قالها بمناسبة خطاب جاءه من شقيقه المرحوم العلامة الشيخ زين العابدين حسين التونسي[1] يصف فيه حسن مناظر الربيع في دمشق، وطيب هوائه، ويدعوه إلى الزيارة».

دَعَوْتَ إلى دِمَشْقَ وَفي فُؤادي ... لَها شَوْقٌ أَحَرُّ مِنَ الهَجيرِ[2]

تَقولُ: حَنا الرَّبيعُ عَلى رُباها ... وَحاكَ طَنافِسَ الزَّهْرِ النَّضيرِ[3]

وهَبَّ نَسيمُها الْفَيَّاحُ يُهْدي ... إلى أَرْجائِها أَذْكى عَبيرِ

هَلُمَّ نُعِدْ عَهْداً مَليئاً ... بما نَهْواهُ مِنْ عَيْشٍ غَريرِ[4]

أَزَيْنَ الْعابِدينَ لَمَحْتَ مِنّي ... قُصوراً في اللِّقاءِ فَكُنْ عَذيري

أَثَرْتَ بِمُهْجَتي ذِكْرى لَيالٍ ... قَضَيْناها بِدُمَّرَ في حُبورِ[5]

تَمَلَّينا سُلافَ الأُنْسِ صِرْفاً ... وَلا قَدَحٌ سِوَى أَدَبِ السَّميرِ[6]

---

(١) زين العابدين حسين التونسي: (١٨٨٨ ـ ١٩٧٧م) شقيق الشاعر، مربٌّ كبير، ولد في تونس، وتوفي بدمشق. له آثار لغوية ودينية مطبوعة.

(٢) الهجير: شدة الحر.

(٣) حنا: عطف. حاك: نسج. الطنافس: الواحدة طنفسة، وهي البساط. النضير: الذهب والفضة.

(٤) غرير: طيب.

(٥) دمر: منتزه في ضاحية غرب مدينة دمشق.

(٦) السلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر. الصِّرْف: الخالص.

مَـضى عَهْـدُ الـشَّبيبَةِ فـي صَـفاءٍ وَرَنَّـقَ كَأسَـنا عَهْـدُ الْقَتيـرِ[١]

يَـضيقُ الْبـاعُ عَـنْ هِمَـمٍ جِـسامٍ فَيـا وَيْلـي مِـنَ الْبـاعِ الْقَـصيرِ

وفَـلَّ الـدَّهْرُ عَزْمـاً كـانَ يَـسْطو عَلـى الأَخْطـارِ مَـصْقولَ الأَثيـرِ[٢]

أَعِـدْ لـي يـا زَمـانُ حُـسامَ عَـزْمٍ يُناهِضُ صَـوْلَةَ الخَطْـبِ الْعَـسيرِ[٣]

وخَـلِّ سِـوايَ يَـسْتَمْتِعْ بِعَـيْشٍ حَـلاً بَـيْنَ الخَوَرْنَـقِ وَالـسَّديرِ[٤]

أمنية عليل

عَليـلٌ وَمَـا لـي عِلَّـةٌ غَيْـرَ رَجْفَـةٍ تَهُـزُّ فُـؤادي يَمْنَـةً وَيَـسارا

أَلَمَّـتْ كَإِلْمـامِ النَّـذيرِ لِمَـنْ طَغـى وَلَمْ تَتَّخِذْ ذِكْرى المَصيرِ شِعارا[٥]

وَيالَيْتَـهُ طُهْـرٌ يُعيـدُ صَـحيفَتي كَما سَطَعَتْ شَمْسُ الـسَّماءِ نَهـارا

إِذَنْ لا أُبـالي أَنْ أُلاقِـيَ مَـصْرَعي وَأَلْبَسَ مِنْ تُرْبِ الـضَّريحِ دِثـارا[٦]

---

(١) رنّق: كدّر. القتير: أول ما يظهر من الشيب.

(٢) فلَّ: كسر وهزم. الأثير: وشي السيف وجوهره.

(٣) الحسام: السيف القاطع. الخطب: الأمر، صغُر أو عظُم.

(٤) الخورنق: موضع في العراق قرب النجف، سكنه بنو إياد، أقام فيه النعمان اللخمي قصراً أشاد بذكره شعراء الجاهلية. السدير: قصر في الحيرة قريب من الخورنق اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم.

(٥) النذير: الإنذار، والمنذر. الشعار: العلامة في الحرب والشعر، ويطلق على ما يمس الجسد من اللباس.

(٦) الضريح: القبر. الدثار: الثوب الذي فوق الشعار.

أَأُوثِــرَ عَيْــشاً والعَــدُوُّ بِأَرْضِــنا يُــشَيِّدُ حِــصناً أَوْ يَخُــطُّ مَطــارا

نجوم الأرض

«قيلت بمناسبة ما ذكر في أحد المجالس في النوع المسمى في البديع بالمطابقة، والمطابقة هنا في الجمع بين الليل والنهار، والبياض والسمرة، والقبة الزرقاء (أي: السماء) والأرض».

نُجــومُ الْقُبَّــةِ الزَّرْقــاءِ تَبْــدو بِلَيْــلٍ فــي بَيــاضٍ وازْدِهــارِ[1]

وَسُــمْرُ الْغيــدِ مِــنْ فَتَيَــاتِ حــامٍ نُجومُ الأَرْضِ تَخْطُرُ فـي النَّهـارِ[2]

ذكرى

«بعث أمير شعراء تونس السيد الشاذلي خازندار[3] بقصيدة إلى الشاعر، فأجابه بالقصيدة التالية»[4].

طالَ البَقـاءُ وبـاعُ الْعَـزْمِ فـي قِـصَرِ فَمـا قَـضَيْتُ بِـهِ لِلْمَجْـدِ مِـنْ وَطَـرِ

---

(١) القبة الزرقاء: السماء.

(٢) حام: ابن نوح، منه تحدر الجنس الأسود، أو الحاميون.

(٣) محمد الشاذلي خازندار (١٢٩٧ ـ ١٣٧٢هـ) أمير شعراء تونس، له ديوان مطبوع من جزأين، وله مسامرات وخواطر أدبية.

(٤) نص قصيدة أمير الشعراء الشاذلي خازندار:

يزجـى القـوافيَ بـين الأنجـم الزهـر تَحنـانُ تونـسنا الخـضراء (للخـضر)

فـي كـل منحّـى لزيتـونيٍّ جامعـه يعقـوبُ يوسـفَ يـستأسيه للبـصر

وفـي الـشوارد مـن (مكيّـه) أدب فيـه اسـتعادة مـا للـشيخ مـن أثـر

وللأخـوة منـه والبنـوة فـي أبنـاء جلدتـه مـستلفت النظـر=

= و(للسعادة) فيما خط من صحف ... ذكرى تعيد لمثلي سالف العمر

لي في البواكر من غرسي بروضتها ... ما استظهرته بنات الفكر من زهر

للجانبين بها الذكرى تعيد لنا ... عهد الشباب ونيل الفخر من صغر

سائل (سعادتنا العظمى) وثالثنا ... فيها (ابن عاشور) شيخ الجامع النضر

ما بيننا نصف قرن برزخ فصلت ... فيه الحقائق واجتزناه بالصور

يسائل (النيل) يا أستاذ (مجردة) ... فيم استبيح بك استئثار محتكر

و(للكنانة) في الإيثار من قدم ... شواهد المبتدا في النحو والخبر

ذرني وشأن الليالي في تحكمها ... فلست أجهل ما فيها من العبر

راجعت ملهمتي في ما اهتممت به ... مما عليه عموم الناس من غير

لا سيما ما عليه نحن من خطل ... ومن مَخازٍ ومن خُلْف ومن خَوَر

براً وبحراً تولانا الفساد فما ... في القوم من خلق ترضى ولا سير

أما الديانة فالموءودة انطمست ... آثارها وانمحت محواً من الزبر

قالوا الصدور قبور للرفات وفي ... يوم القيامة نحييها لمنتظر

زلوا وضلوا وحلوا كل رابطة ... وحللوا كل محظور من الكبر

واستبدلوا الخالص الأزكى بزيفهم ... واستهدفوا في الهوى للمأزق الخطر

لم تلق في المظهر القومي من أثر ... يرضيك مرآه من أنثى ومن ذكر

ساد التنطع واسترعى بصائرهم ... فلا استنارة للأذواق والفكر

عزّ التطيب واستعصى الشفاء فهل ... من رحمة تنقذ المرضى من الخطر

لا يأسَ عندي وللديان متجهي ... ما دام مثلك في الأزكى من البشر

فلتحيَ يا أيها الأستاذ منتصراً ... للدين في ذروة التوفيق والظفر

وهذه نزعتي فالخلق أجمعهم ... دون اعتقاد أولو الإفساد في نظري

وما عليه الحياة اليوم من قلق ... يكفي دليلاً وتكفي ومضة الشرر

فلنسع سعي الهداة الراشدين معاً ... أمّا النجاح فموكول إلى القدر

أَبِيتُ سَبْعِينَ عاماً والهَوى يَقِظٌ ... أرى بِمِرْآتِهِ الحَصْباءَ كالدُّرَرِ[1]

وحُسْنُ ظَنِّكَ بي وارى نَقائضَ لا ... تَغيبُ عَنْ أَعْيُنِ النُّقّادِ لِلسِّيَرِ[2]

ولِلرِّضا مَنْطِقٌ لَوْ شاءَ صَوَّرَ لي ... وَجْهَ الدَّميمَةِ مَنْحوتاً مِنَ الْقَمَرِ

ماذا يَرى شاعِرُ الخضْراءِ في صِلَةٍ ... شَدَّتْ عُراها يَدٌ مَحْمودَةُ الأَثَرِ[3]

ذَكَرْتَ عَهْداً ذَكَتْ آدابُهُ وَزَهَتْ ... كما زَهَتْ حِلْيَةٌ في سَيْفِ مُنْتَصِرِ

نَسيتُ نَفْسيَ إنْ أُنسيتُهُ وَلَهُ ... في طَيِّها صورَةٌ مِنْ أَبْهَجِ الصُّوَرِ

ما زِلْتُ أَذْكُرُ ما خَطَّتْ يَمينُكَ في ... سِفْرِ السَّعادَةِ مِنْ آدابِكَ الغُرَرِ[4]

ولَمْ تَفُتْني قَوافٍ كُنْتَ تُرْسِلُ في ... يَوْمِ النِّضالِ بِها نَبْلاً مِنَ الشَّرَرِ[5]

وأَنْفَعُ الشِّعْرِ ما هاجَ الحَماسَةَ في ... شَعْبٍ يُقاسي اضْطِهادَ الجائِرِ الأَشِرِ[6]

لَوْ لَمْ أَخَفْ وَخزَ تَثْريبٍ يَصولُ بِهِ ... عَلَيَّ ناقِدُ شِعْري مِنْ بَني مُضَرِ[7]

لَقُلْتُ: لا شِعْرَ إلاّ في قَريحَةِ مَنْ ... يَبيتُ مِنْ شَقْوَةِ الأَوطانِ في سَهَرِ

---

(١) سبعون عاماً: إشارة إلى سن صاحب الديوان بتاريخ نظم القصيدة. الحصباء: الحصى، والواحدة حَصبَة.

(٢) وارى: ستر وأخفى.

(٣) الخضراء: تونس.

(٤) السفر: الأثر. السعادة: مجلة «السعادة العظمى» التي أصدرها الشاعر بتونس. الغُرر: جمع الغرة: كل شيء ترفع قيمته.

(٥) القوافي: جمع القافية، وهي آخر كلمة تكون في البيت. النبل: السهام العربية.

(٦) الجائر: الظالم. الأشر: الذي يكفر بالنعمة.

(٧) التثريب: اللوم. مضر: ابن نزار الجد الأعلى لفريق من القبائل العربية العدنانية.

مَـنْ ذا يُقـيمُ علـى أرضٍ يُظَلِّلُها ... ضَيمٌ ويُحْسِنُ وَصْفَ الـدَّلِّ والحَـوَرِ[1]

دَرَيـتَ حَقّاً ومـا أَدْراكَ أَنِّـيَ مِـنْ ... حَرٍّ اشْتياقي إلى الخَضْراءِ في ضَجَرِ[2]

أَقْبَلْتَ تَبْحَثُ عَنْ ذِكرى أَبيتُ لها ... في سَلْوَةٍ عُصِرتْ مِنْ جَأْشٍ مُضْطَبِرِ[3]

وصُغْتَها كالـصَّبا فـي رِقَّـةٍ فَـسَرَتْ ... والطَّلُّ بَلَّلَ زَهْرَ الرَّوْضِ في سَـحَرِ[4]

وافَتْ فَخِلْنا صَباحَ العيـدِ حَـنَّ لنـا ... وَعادَ كَيْ نَتَمَلَّى الأُنْسَ في صَـفَرِ[5]

مَنْ لي بِأَنْ أَرِدَ الأَرْضَ الَّتي صَدَرَتْ ... مِنْها وأَفْتَحَ فـي أَرْجائِهـا بَـصَري[6]

هُناكَ ما شِئْتَ مِنْ عِلْـمٍ وَمِـنْ أَدَبٍ ... وَمِـنْ حَـدائِقَ تُـؤْتي أَطيَـبَ الثَّمَـرِ

أُسيمُ طَرْفِيَ (بالمرْسـى) وشـاطِئِها ... وأَحْتَـسي بِلِقاهـا قَهْـوَةَ الـسَّمَرِ[7]

وَمِـنْ نَفائِـسِها أَنِّـي صَـحِبْتُ بِهـا ... مَنْ لَوْ كَدَرْتُ لَلاقَى بِالصَّفا كَدَري[8]

---

(١) الضيم: الظلم. الدل: الدلال. الحور: اشتداد بياض وسواد العين.

(٢) الضجر: القلق من غم وضيق نفس مع كلام.

(٣) السلوة: النسيان. جأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع.

(٤) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الطلّ: أخف المطر وأضعفه، الندى.

(٥) صفر: الشهر المعروف في السنة الهجرية بعد المحرم.

(٦) يصور الشاعر في هذا البيت حنينه إلى تونس موطنه الأول.

(٧) المرسى: بلدة في ضاحية العاصمة تونس على البحر.

(٨) هذا البيت إشارة إلى ما كان بينه وبين العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من ود خالص.

ما ضَـرَّ (أَرْيانَـةَ) الغَنّـاءَ لَـوْ قَرُبَـتْ ... مِنْ مِصْرَ في نَفْحَةٍ مِنْ وَرْدِها العَطِـرِ[١]

نَصَحْتَ يا شاذِلِيُّ الْقَـوْمَ فـي عَـذَلٍ ... وغَيْرُكَ اخْتـانَهُمْ فـي زِيِّ مُعْتَـذِرِ[٢]

والنَّاسُ مَذْ دَرَجوا فوقَ الثَّرى اخْتَلَفَـتْ ... طُعومُهُمْ كـاخْتِلافِ الـشَّهْدِ والـصَّبِرِ[٣]

تَفاوَتوا بِالنُّهى حَتَّى جَرُؤَتْ عَلَـى ... رَهْطٍ وبَرَّأْتُ مِـنْهُمْ أُسْـرَةَ الْبَـشَرِ[٤]

هَـذا دَرِيٌّ بِأَسْـرارِ الأُمـورِ فَـلا ... يَرْمـي إِلـى هَـدَفٍ إِلاَّ عَلـى حَـذَرِ

وذاكَ كالظِّلِّ يَقْفـو الـدَّهْرَ صـاحِبَهُ ... والرَّأْيُ في خَطَلٍ والقَوْلُ في هَـذَرِ[٥]

كُـلٌّ لَـهُ نَزْعَـةٌ تَـدْعو الحَكـيمَ إِلـى ... ما يَنْتَقي في دُعاءِ الخَيْرِ مِنْ عِبَـرِ[٦]

ما أَقْرَبَ الرُّشْدَ مِـنْهُمْ والفَـلاحَ إذا ... ما ساسَهُمْ مُحْكِمٌ لِلْوِرْدِ والصَّدَرِ[٧]

كيف ينشق القمر

«قالها على شاطئ اسكندروتة سنة ١٣٣١هـ».

لاحَ شَـطْرُ البَـدْرِ مِـنْ فَـوقِ الرُّبـى ... وَلَـهُ فـي الْبَحْـرِ تِمْثـالٌ أَغَـرُّ[٨]

مَثَـــلٌ أُبْـــصِرُ فـــي مِرْآتِــــهِ ... بِجَـــلاءٍ كَيْـــفَ يَنْـــشَقُّ القَمَــــرْ

---

(١) أريانة: ضاحية من ضواحي تونس.

(٢) العذل: الملامة.

(٣) درجوا: مشوا. الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. الصَّبِر: عصارة شجر مر.

(٤) الرهط: قوم الرجل وقبيلته.

(٥) يقفو: يتبع. الخطل: الكلام الفاسد الكثير. الهذر: سقط الكلام الذي لا يُعبأ به.

(٦) الحكيم: العالم صاحب الحكمة المتقن للأمور.

(٧) الورد: الماء الذي يورد. الصَّدَر: الرجوع عن الماء.

(٨) الربى: جمع ربوة، وهو ما ارتفع من الأرض. أغر: الحسن، والأبيض من كل شيء.



قافية الزاي

«كم أخزى الهوى عرضاً!»

رَأَتْ إِذْ كُنْـتَ تَخْطِبُهـا غَرامـاً ... وَمِـنْ بَعْـدِ البِـناءِ رَأَتْ نُـشوزا[1]

أَكانَـتْ يَـوْمَ خِطْبَتِهـا فَتـاةً ... وصـارَتْ إِذْ بَنَيْـتَ بِهـا عَجـوزا؟

هِـيَ العُقْبَـى لِمَـنْ رَكِبَـتْ هَواهـا ... وكَمْ أَخْزى الهَوى عِرْضاً عَزيـزا[2]

ولَـوْ نَـشَدَتْ أَخـا خُلُـقٍ مَجيـدٍ ... بَنَـتْ حِـرْزاً لِعِـصْمَتِها حَريـزا[3]

❒ ❒ ❒

---

(١) البناء: يقال: بنى فلان على أهله: زفت إليه. النشوز: نشزت المرأة نشوزاً: استعصت على زوجها وأبغضته.

(٢) العقبى: جزاء الأمر، الآخرة. أخزى: أهان.

(٣) نشدت: طلبت. الحرز: الموضع الحصين. العصمة: المنع. الحرز الحريز: الحصن المنيع.



قافية السين

خواطر في دمشق

«قصيدة ألقاها الشاعر في حفلة وداع أقامها له نخبة من رجال النهضة الإصلاحية في دمشق سنة ١٣٦٣هـ»[١].

وَلَـدَتْكَ تَبْغـي فـي الحَيـاةِ أَنيـسا ... يَرْعـى عُقـولاً أَو يَقـودُ خَميـسا[٢]

ولَـرُبَّ أُمٍّ أَمَّلَـتْ فـي طِفْلِهـا ... هِمَمَ المُلوكِ فَقامَ يَحْـدو العِيـسا[٣]

فكُنِ الهُمامَ يَخوضُ لُجَّةَ حِكْمَةٍ ... أَوْ يَرْتَـدي سَـيْفاً وَيَفْـتَحُ خِيـسا[٤]

وَلَدَتْكَ سَمْحَ النَّفْسِ لا تَـدْري لِما ... وَضعوا السُّجونَ وأَرْسَلوا الجاسوسا[٥]

تَبْـدو علـى فَمِـكَ ابْتِـسامَةُ زَهْـرَةٍ ... جـادَ الحَيـا بُـسْتانَها المَأْنوسـا[٦]

---

(١) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن الثالث والرابع من المجلد السابع عشر.

(٢) الأنيس: المؤانس، وكل ما يؤنس به. الخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة.

(٣) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٤) اللجة: معظم البحر. الخيس: غابة الأسد.

(٥) الجاسوس: المتتبع الأخبار.

(٦) جاد: تكرم. الحيا: الخصب.

وَقَـضَيْتَ حينـاً لا تُـسِرُّ ضَـغينَةً ... يَوْمـاً ولا تُبْـدي الرِّضـا تَدْليـسا[١]

وشَعَرْتَ مِنْ رُعْيـا أَبيـكَ بـأَنَّ فـي ... أَبْنـاءِ قَوْمِـكَ سائِـساً ومَـسوسا[٢]

يا لَيْتَ قَلْبَ أَبيكَ بَـيْنَ ضُـلوعِ مَـنْ ... سَـتَكونُ فـي يَـوْمٍ لـه مَرؤوسـا

ما كُنْتَ تَفْقَهُ أَنَّ فَوْقَ الأَرْضِ مَجْـ ... ـروماً عليـهِ وَجارِمـاً غِطْريـسا[٣]

فَظَنَنْتَهـا الْفِـرْدَوسَ حتَّـى أَبْـصَرَتْ ... عَيْنـاكَ حَـقَّ ضَـعيفِهِمْ مَبْخوسـا[٤]

يَسْطو القَوِيُّ على الضَّعيفِ وَرُبَّمـا ... صارَ الضَّعيفُ علـى القَـوِيِّ رَئيـسا

حَبَسوا عَصيراً فـي الـدِّنانِ وطَالمـا ... تَرَكـوهُ فـي ظُلماتِهـا محبوسـا[٥]

أَرأَيْـتَ كَيْـفَ سَـطا علـى أَلْبـابِهِمْ ... بِقَنـاً تُـسَمَّى فـي الْبَيـانِ كُؤوسـا[٦]

مـاذا أَبـى لَـكَ أَنْ تَعـيشَ مُقَدَّسـاً ... كَملائِـكِ الـسَّبْعِ العُـلا تَقْديـسا[٧]

أُعْطيـتَ مَطْلَـعَ أَسْعَدٍ، فَحَـذارِ أَنْ ... يَضَعَ الهَوَى بَدَلَ الـسُّعودِ نُحوسـا[٨]

---

(١) الضغينة: الحقد. التدليس: كتمان عيب السلعة على المشتري.

(٢) رعيا أبيك: حفظه لك، وقيامه عليك. السائس: القائم على الأمر. مسوس: ضد السائس.

(٣) الغطريس: الظالم المتكبر المعجب.

(٤) الفردوس: الجنة، البستان. مبخوس: ناقص ومُعاب.

(٥) الدنان: جمع الدن، وهو الوعاء.

(٦) سطا: مال عليه ووثب. الألباب: العقول. القنا: جمع القناة: الرمح.

(٧) السبع العلا: السموات السبع.

(٨) السعود: جمع السعد: اليمن. النحس: نقيض السعد.

هِـيَ فِطْـرَةُ الخَـلاَّقِ كـالمِرْآةِ لا ... تَلْقـى بِهـا عِوَجـاً ولا تَدْنيـسا[١]

تَـزْدادُ يُمْنـاً مـا اتَّقَيْـتَ، فـإنْ دَنـا ... مِنْها الخَنا كانـتْ عليـكَ بَسوسا[٢]

وَرِيَـتْ زِنـادُ يَـدٍ تُؤاسـي بائِـساً ... ويَـدٍ تُحَطِّـمُ للطُّغـاةِ رُؤوسـا

وكَبـتْ زِنـادُ يـدٍ غَـدَتْ تَبْنـي لآ ... مالِ الـدُّعاةِ المُـصْلِحينَ رُموسـا[٣]

يا مَنْ يَعـوقُ الخَيْـرَ لَـسْتَ بفائـتٍ ... يَوْمـاً وإنْ طـالَ الزَّمـانُ عُبوسـاً[٤]

نَرْثي لِأَقْمـارِ الـدُّجى والأَرْضُ قَـدْ ... طَمَسَتْ سَناها بِالخُسوفِ طُموسـا[٥]

والأَرْضُ لـولا هـذِهِ الأَقْمـارُ لَـمْ ... تَلْـبَسْ لأَيّـامِ الكُـسوفِ دُموسـا[٦]

فـي العَـيْشِ آلامٌ وفـي الآلامِ مـا ... يُـدْني رَغائِـبَ أَوْ يُـزيحُ بُؤوسـا

شَدُّوا على الطِّفْلِ القِماطَ فَصاحَ مِـنْ ... جَـزَعٍ يَـرومُ لِـشِدَّةٍ تَنْفيـسا[٧]

والْغُمْـرُ يَـأْبى أَنْ يَطـوعَ لِفاصِـدٍ ... يَنْفـي دَمـاً مِـنْ راهِـشَيْهِ خَسيـسا[٨]

---

(١) الفطرة: الخلقة التي خُلق عليها المولود.

(٢) اليُمن: البركة. الخنا: الفحش. البسوس: المرأة يتشاءم بها.

(٣) كبت: لم تور. الرموس: جمع الرمس: وهو القبر مستوياً مع سطح الأرض.

(٤) عبوساً: تقطيباً

(٥) الدجى: الظلمة، أو سواد الليل. طمس الشيء: محاه. الخسوف: ذهاب القمر.

(٦) الكسوف: استتار وجه الشمس المواجه للأرض، وذلك لحيلولة القمر بينهما. الدموس: اشتداد الظلام.

(٧) القماط: الحبل يشد به الأسير. التنفيس: يقال: نفّس عنه كربته: فرّجها ولطّفها.

(٨) الغُمر: من لم يجرب الأمور. الفاصد: الذي يشق العِرق. الراهشان: عرقان في باطن الذراعين. قال الشاعر:

وحكّمـت الحديـد براهـشيه ... فـألفى قولهـا كـذباً ومينـا

والشَّهْمُ مَنْ عانى الخُطوبَ وراضَـها ... فَغَـدَتْ أَرَقَّ مِـنَ النَّـسيمِ مَسيـسا

ونفاسَـــةُ الأَشْـياءِ فـي غاياتِهـا ... فاحْمَدْ رِماءَكَ إِنْ أَصَبْتَ نَفيـسا[1]

ضَلَّتْ سَبيلَ المَجْدِ نَفْسٌ فـاخَرَتْ ... نَفْـساً وَعَـدَّتْ مَنْـزِلاً ولَبوسـا[2]

كَمْ شَبَّ وَغْدٌ فـي الحلـى وَمقامُـه ... صَـرْحٌ يَكـادُ يُنـاطِحُ البِرْجيـسا[3]

لا فَخْـرَ فـي الـدُّنْيا بِغَيْـرِ عَـزائِمٍ ... تَفْري الحَديدَ ولا تَهـابُ وَطيـسا[4]

وإذا الرَّوِيَّـةُ أَيْقَظَـتْ عَـزْمَ الْفَتـى ... مَـلأَتْ مَعاليـه الْفِخـامُ طُروسـا[5]

أَفَتى دِمَـشْقَ لَـدَيْكَ ذِكْـرى راحِـلٍ ... لاَقــى بِهــا التَّرْحيـبَ والتَّأْنيــسا

تَرْتــادُ رَوْضــاً مُخْـصِباً وهَــزارُهُ ... يَشْدو على الغُصْنِ الأَنيقِ مَيوسـا[6]

تَجْنــي ثِمــاراً أَوْ تُمَتِّـعُ نــاظِراً ... وتَـشُمُّ رَيّــا أَوْ تَلَــذُّ حَسيــسا[7]

أَمّــا نَعـيمُ الـرُّوحِ فهـي هِدايَــةٌ ... تَلْقـى بِهــا وَجْـهَ الحَيـاةِ أَنيــسا

هــذا كِتــابُ اللهِ يُبْــدي للــوَرى ... حِكَماً كما تُبْدي السَّماءُ شُموسـا[8]

---

(١) الرماء: الرمي.

(٢) لَبوس: ما يلبس.

(٣) الصرح: القصر، وكل بناء عال. البِرجيس: نجم، ويقال: إنه المشتري.

(٤) تفري: تقطع وتشق. الوطيس: التنور، ومنه قيل: حمي الوطيس؛ أي: اشتد الحرب.

(٥) الطروس: الصحائف.

(٦) الهَزار: العندليب. الميوس: المتبختر.

(٧) ريّا: الريح الطيبة. الحسيس: الصوت الخفي.

(٨) الورى: الخلق.

حُجَجٌ تذودُ عنِ النُّهى شُبَهاً ولو ... حامَ الجُحودُ بِها لَخَرَّ فَريسا[1]

أَلْقى زِمامَ سِياسةِ الدُّنيا إلى ... مَلأٍ رَعَوْهُ وَأَقْرَضوهُ نُفوسا[2]

وأَقامَ سُوقاً لِلْمَكارِمِ ناشِراً ... فيها بِمِذْياعِ الْبَيانِ دُروسا

لولا هُداهُ لَحارَ أَذْكى النَّاسِ في ... إِصْلاحِ أُمَّتِهِ وَعادَ يَؤوسا

في الاعتقال

«قيلت في رمضان سنة ١٣٣٤هـ، وكان ذلك في عهد جمال باشا في دمشق».

جَرى سَمَرٌ يَوْمَ اعْتُقِلْنا بِفُنْدُقٍ ... ضُحانا بهِ لَيْلٌ وَسامِرُنا رَمْسُ[3]

فقالَ رَفيقي في شَقا الحَبْسِ: إنَّ في الْـ ... ـحَضارَةِ أُنْساً لا يُقاسُ بِهِ أُنْسُ[4]

فَقُلْتُ لَه: فَضْلُ البَداوَةِ راجِحٌ ... وَحَسْبُكَ أَنَّ الْبَدْوَ لَيْسَ بِهِ حَبْسُ

❐ ❐ ❐

(١) النهى: جمع النهية: العقل. الفريس: القتيل.

(٢) الملأ: الأشراف، الجماعة.

(٣) الرمس: القبر مستوياً على وجه الأرض.

(٤) رفيق الحبس: الأستاذ سعدي ملاّ الذي كان سكرتيراً لشكري الأيوبي وقت الاعتقال، ثم أصبح رئيساً للوزارة اللبنانية.



قافية الشين

لحا الله الغواية

رَأَوْا فـي كَفِّـهِ ذَهَبـاً فَطاشُـوا ... إِلَيْـهِ وطـالَ بَيْـنَهُمُ الهِـراشُ[(١)]

كَـأَنَّ التِّبْـرَ نـارٌ فـي ظَـلامٍ ... وَهُـمْ مِـنْ حَـوْلِ صُـفْرَتِهِ فَـراشُ[(٢)]

يُـدارُ الْغَـيُّ بـينَ يَدَيْـهِ صِـرْفاً ... فَتَغْمُـرُهُ الْبَـشاشَةُ والهَـشاشُ[(٣)]

وإِنْ مَـرَّ الرَّشـادُ بِـهِ تَثَنَّـتْ ... وَكَـشَّتْ تَحْـتَ بُرْدَتِـهِ رَقـاشُ[(٤)]

لَحـا اللهُ الْغَوايَـةَ مِـنْ طَريـقٍ ... يُنـالُ بِـهِ طَعـامٌ أَوْ رِيـاشُ[(٥)]

❐ ❐ ❐

---

(١) الهراش: الخصام والقتال، وهو مستعار من هراش الكلاب، يقال: تهارشت الكلاب، واهترشت: تحرشت بعضها على بعض وتواثبت.

(٢) التبر: ما كان من الذهب غير مضروب، فإن ضرب دنانير، فهو عين. الفَراش: جمع الفراشة التي تهافت في السراج.

(٣) الغي: الضلال. الصِّرْف: الخالص. الهَشاش: الارتياح والخفة والنشاط.

(٤) كشَّت: عضت بفيها وانتزعت. الرقاش: الحية.

(٥) الغَواية: الغي. الرياش: لباس فاخر كريش الطائر في نعومته.



قافية الصاد

التعليم الدّيني بمدارس الحكومة وجامعاتها

كَـمْ بَنـى ساسَـةُ العُلـومِ بِمِـصْرٍ مِـنْ صُـروحٍ رَصـينَةٍ وَصَياصـي[1]

وَبَلَوْنـــا بُنْيانَهـــا فَلَمَـــسْنا ثَغْـرَةً لَـمْ يَـسُدَّها كَـفُّ راصـي[2]

وإذا فُلَّـــتِ القِـــلاعُ فَهـــاتوا فارِقـاً بَيْنَهـا وبَـيْنَ الخِـصاصِ[3]

حـامِيَ الْعِلْـمِ إِنَّ فـي الـدِّينِ بَحْـراً حـافِلاً بِـالحُلِيِّ سَـهْلَ المَغـاصِ[4]

يَرْفَـعُ الـنَّفْسَ مِـنْ جُحـودٍ فَتَغْلـو بالهُـدى بَعْـدَ شَـقْوَةٍ وارْتِخـاص[5]

ويُريهـا نَهْـجَ الْمَعـالي سَـوِيّاً غَيْـرَ نـاءٍ عَنْهـا ولا مُتَعـاصِ

ويَهُـــزُّ الأَرواحَ بالمُثُـــلِ الأَبْـــكارِ هَزَّ الحُداةِ رَكْبَ الْقِـلاصِ[6]

---

(١) الصروح: جمع الصرح: القصر، وكل بناء عالٍ. الصياصي: جمع صيصة، وهي الحصن وكل ما امتُنع به.

(٢) الراصي: المحكم المتقن.

(٣) فُلَّت: أُحدث فيها خلل، ثُلمت. الخِصاص: جمع خُصّ: بيت من شجر أو قصب.

(٤) المغاص: موضع الغوص.

(٥) ارتخاص: ارتخص الشيء: عدّه رخيصاً.

(٦) الأبكار: جمع البكر: العذراء، وأول مولود لأبيه، وأول كل شيء. الحداة: =

هُـوَ سَـيْفٌ نَـضاهُ كَـفُّ حَكِـيمٍ ... لِيُـذيقَ الطُّغـاةَ حَـرَّ الْقِـصاصِ[1]

جـاءَ يَهْـوي بِمِـلْءِ جَنْبَيْـهِ هَـدْياً ... وعُقـولُ الأَنـامِ فـي أَقْفـاصِ

فَـكَّ عنْهـا الإِسـارَ والخَيْـرُ فـي أَنْ ... يَفْحَصَ الْعَقْـلُ كُـلَّ دانٍ وقـاصِ[2]

وحَيـاةُ الإنـسانِ مَيْـدانُ حَـرْبٍ ... ما لَـهُ عَـنْ وُرودِهـا مِـنْ مناصِ[3]

وأخـو الـدِّينِ يَحْتَمـي مِـنْ أذاهـا ... بِحُـسامٍ عَـضْبٍ ودِرْعٍ دِلاصِ[4]

إنَّمـا الـدِّينُ عِـزَّةٌ وعَفـافٌ ... يَصْرِفُ الطَّرْفَ عَنْ وُجوهِ المعاصـي

وحِجـاجٌ مِثْـلُ الْقَواضِـبِ إنْ لَـمْ ... يَـكُ إلاَّ الْيَقـينُ وَجْـهَ الخَـلاصِ[5]

وَقَـوانينُ إنْ تَـصَدَّتْ لَفَـصْلٍ ... أَخَـذَتْ بـالقُلوبِ لا بالنَّواصـي[6]

لَـوْ تَـراءَتْ لِلْعَـيْنِ يَوْمـاً لَقُلْنـا ... هَـلْ لِهـذا الجُمـانِ مِـنْ قَنّـاصِ[7]

وَكَـأَيِّنْ مِـنْ حِكْمَـةٍ لَـوْ تَبَنَّـتْ ... طَلْعَةَ الْبَدْرِ لَـمْ يُـصَبْ بانْتِقـاصِ[8]

= جمع الحادي: الذي يسوق الإبل، ويغني لها. القلاص: جمع القلوص: الشابة من الإبل.

(١) نضا السيف: سلّه. القصاص: أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل.

(٢) الداني: القريب. القاصي: البعيد.

(٣) المناص: الملجأ والمفر.

(٤) الحسام: السيف. عضب: قاطع. دلاص: ملساء لينة.

(٥) الحِجاج: جمع حُجة: البرهان. القواضب: جمع القاضب: السيف القطّاع.

(٦) النواصي: جمع ناصية: منبت الشعر في مقدّم الرأس.

(٧) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. القناص: الصيّاد.

(٨) تبنى: اتخذ ابناً.

فَمِـــنَ الخَيْــرِ أَنْ يَــشُبَّ علــى آ دابِــهِ نَــشْؤُنا بِغَيْــرِ خِــصاصِ[1]

وَيْــحَ نَـشْءٍ مِـنَ الـصَّباءِ بِطـانٍ وَمِـنَ الرُّشْـدِ والتُّقـاةِ خِمـاصِ[2]

حَامِيَ الْعِلْـمِ أَقْـرِضِ الـشَّرْعَ حَظّـاً فائِقـاً مِـنْ رِعايَـةٍ واحْتِـراصِ[3]

والـرَّئيسُ الهُمـامُ مَـنْ لا يُجـاري شَهَواتِ الأَحْـزابِ والأَشْـخاصِ[4]

يَتَـوَخَّى الإِصْـلاحَ أَنَّـى تَبَـدَّى بِجَــلاءٍ لِفِكْــرِهِ الغَــوَّاصِ[5]

❐ ❐ ❐

---

(١) شبّ: صار فتياً.

(٢) الصَّباء: جهلة الفتوة. بطان: جمع بطين: العظيم البطن. خماص: جمع خميص: الضامر البطن.

(٣) الاحتراص: الحرص والاجتهاد.

(٤) الهمم: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع.

(٥) الغواص: من يغوص في البحر على اللؤلؤ ونحوه.



قافية الضاد

المحبّة الصادقة

«قالها تصويراً للصداقة الصحيحة».

نُبِّئْـــتُ أَنَّـــكَ مُوجَـــعٌ ... فارْتـــاعَ قَلْبـــي وانْـــتَفَضْ[1]

مـــا ضَـــرَّ لَـــوْ كُنْـــتُ الْمَريـــ ... ـــضَ وزالَ عـــن خِلّـــي المَـــرَضْ[2]

وَجَـــعُ الْقُلـــوبِ أَشَـــدُّ مِـــنْ ... وَجَـــعِ الجُـــسومِ إذا عَـــرَضْ

لا خِـــلَّ إلاّ مَـــنْ يَبيـــ ... ـــتُ إذا مَرِضْـــتَ عَلـــى مَـــضَضْ[3]

❑ ❑ ❑

(١) نبئت: أُخبرت. ارتاع: فزع.

(٢) الخلّ: الصديق.

(٣) مضض: وجع المصيبة.



قافية الطاء

العيد في برلين

«قيلت في برلين سنة ١٣٣٣هـ، عندما أدركه عيد الفطر هناك».

أَسِـــوارٌ مِـــنْ عَـــسْجَدٍ وجُمـــانٌ   تَقْتَنيـــهِ الحِـــسانُ فـــي الأَقْـــراطِ(١)

أَمْ هِـــلالٌ حَفَّتْـــهُ فـــي لَيْلَـــةِ الْعيـــــدِ نُجـــومٌ بِبَهْجَـــةٍ واغْتِبـــاطِ

هَـــذِهِ طَلْعَـــةُ الهِـــلالِ وَمـــا لـــي   لَمْ أَجِدْ في الْفُؤادِ بَعْضَ انبِـساطي

يَـــوْمُ عيـــدٍ وَمـــا تَفَتَّـــقَ كِـــمٌّ   عَـــنْ أَنـــيسٍ ولا كَـــسَمِّ الخِيـــاطِ(٢)

ما تَملَّـى سَـمْعي تَهـانِيءَ صـيغَتْ   فـــي قُلـــوبٍ مَوْصـــولةٍ بِنِيـــاطي(٣)

أَيْـــنَ جِيرانُنـــا، وأَيْـــنَ المُـــصلَّى،   وخطيـــبٌ يَهْـــدي لِخَيْـــرِ صِـــراطِ(٤)

---

(١) العسجد: الذهب. الجمان: اللؤلؤ. الأقراط: جمع القرط: ما يعلق في شحمة الأذن من درة ونحوها.

(٢) الكِمّ: الغلاف الذي ينشق عن الثمر، غطاء الزهر. سم الخياط: ثقب الإبرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[الأعراف: ٤٠].

(٣) النياط: الفؤاد.

(٤) الصراط: الطريق.

أَيْــنَ مِنِّــي شَــفيقَةُ الْقَلْــبِ تُهْــدي   دَعَــواتٍ مِثْــلَ الظِّبــاءَ عَــواطي[١]

لَــوْ تَقَاضَــيْتُ فــي اغْتِرابِــيَ أَمــراً   نَهَــضَتْ هِمَّتــي لَــهُ ونَــشاطي

لأَدَرْتُ الْعِنـــانَ نَحْـــوَ دِمَـــشْقٍ   وَحَمِدْتُ السُّرى على الأَشْـواطِ[٢]

يا منطقياً

«قالها في مجلس أدب بمصر ذُكر فيه بيتان من النسيب ملمّح بهما إلى مسألة منطقية»[٣].

يــا مَنْطِقِيّــاً عِــشْتَ أَحْقابــاً وَلَــمْ   تَبْرَحْ تَقـولُ لِمَـنْ يَعـي ويُخَطِّـطُ[٤]

الــشَّمْسُ كُلِّــيٌّ ولــيسَ لَــهُ سِــوى   فَـرْدٍ يُـصَعِّدُ فـي الـسَّماءِ وَيَهْبِــطُ

لَــوْ آنَــسَتْ عَيْنــاكَ طَلْعَــةَ عِــزَّةٍ   لَــدَرَيْتَ أَنَّــكَ قَـدْ تَقـولُ فَـتَغْلَطُ

□ □ □

---

(١) شفيقة القلب: يقصد بها والدته المتوفاة بدمشق في رمضان سنة ١٣٣٥هـ. الظباء: الواحد ظبي، وهو الغزال.

(٢) السُّرى: سير عامة الليل. الأشواط: الواحد شوط: الجري مرة إلى الغاية.

(٣) البيتان هما قول الشاعر:

مــا للقيــاس الــذي مــا زال مــشتهرا   للمنطقيــين فــي الــشرطي تــسديد

أمــا رأوا وجــه مــن أهــوى وطرتــه   الــشمس طالعــة والليــل موجــود

(٤) المنطقي: نسبة إلى المنطق، وهو الكلام. الأحقاب: الدهور.



قافية الظاء

رثاء أبي حاجب

«قال هذه الأبيات بمصر، عندما تلقى نبأ وفاة أستاذه العلامة الشيخ سالم أبي حاجب سنة ١٣٣٩هـ».

فَقَدتْ سَماءُ المَجْدِ بَدْراً عَزَّ أَنْ ... تَحظى بِرُؤْيَةِ مِثْلِهِ الأَلْحاظُ(١)

بَدْرٌ سَناهُ هِدايَةٌ وَمعارِفٌ ... وشُعاعُهُ الأَقْلامُ والأَلْفاظُ

أَوْدى الحِمامُ «بِسالِمٍ» فَبَكاهُ مِنْ ... فَرْطِ الأَسى الْعُلَماءُ والوُعّاظُ(٢)

لَمْ أَدْرِ إِذْ نَعَقَ النَّعِيُّ أَراعَني ... مَنْعاهُ أَمْ لَفَحَ الْفُؤادَ شُواظُ(٣)

يَلْقى حُماةُ النَّحْوِ في نَظَراتِهِ ... نَبْلاً إذا أَعْيا الحُماةَ حِفاظُ

يَتَرَسَّمونَ بِهِ الخَليلَ كَأَنَّما ... شَهِدَتْهُ أَعْيُنُهُمْ وَهُمْ أَيْقاظُ(٤)

---

(١) الألحاظ: جمع لحظ: باطن العين.

(٢) الحمام: قضاء الموت وقدره. سالم: سالم بو حاجب: ومرت ترجمته.

(٣) نعق: صاح. النعي: الذي يأتي بخبر الموت. شواظ: لهب لا دخان فيه.

(٤) يترسمون: ينظرون ويتأملون. الخليل: (١٠٠ ـ ١٧٠هـ) الخليل بن أحمد الفراهيدي، إمام اللغة والأدب، وواضع علم العروض، ولد ومات بالبصرة، وهو أستاذ سيبويه. له مؤلفات عديدة.

وكـأَنَّ دَرْسَ الْفِقْـهِ مَجْلِسُ مالِـكٍ وكَأَنَّمـا دَرْسُ الْبَيـانِ عُكـاظُ[١]

وَيغوصُ في دَرْسِ الحَديثِ على حُلًى غَفَلَـتْ عَـنِ اسْـتِنْباطِها الحُفّـاظُ[٢]

وإذا تَـسَنَّمَ لِلْخَطابَـةِ مِنْبَـراً لانَتْ قُلـوبٌ كالـصُّخور غـلاظُ[٣]

رُحْمى له قـد كـانَ لـي مِـنْ عَطْفِـهِ وَجَنـى قَريحَتِـهِ اللَّذيـذِ حِظـاظُ[٤]

بين الشفقة والشوق

«قالها عند زيارة بعض الأصدقاء في تونس».

وأَديـبٍ أَيْقَظْتُـهُ مِـنْ رُقـادٍ لِنَـصيدَ الإينـاسَ مِـنْ أَلْفاظِـهِ

طـابَ فـي جَفْنِـهِ النُّعـاسُ وَظنَّـتْ رُفْقَـةٌ أَنْ تَهـيجَ نـارُ اغْتِياظِـهِ[٥]

وَصَـحا باسِـماً وَحيَّـا فَأَبْـصَرْ نـا سَنا الْبِـشْرِ جـالَ فـي أَلْحاظِـهِ

نَحْـنُ نَهْـوى لَـهُ الهَنـاءَةَ لَكِـنْ حَـرُّ شَـوْقٍ دَعـا إلـى إيقاظِـهِ

---

(١) مالك: (٩٣ ـ ١٧٩هـ) الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، ولد وتوفي بالمدينة المنورة، له كتاب «الموطأ»، ومؤلفات أخرى.

(٢) غاص على المعاني: بلغ أقصاها حتى استخرج ما بَعُدَ منها. استنبط: استخرج.

(٣) تسنم: علا. المنبر: كان الأستاذ بو حاجب خطيباً بجامع «سبحان الله» في مدينة تونس.

(٤) حِظاظ: جمع حظ، وهو النصيب والجَدّ.

(٥) الرفقة: الجماعة ترافقهم في سفرك. الاغتياظ: الغضب، وقيل: هو الغضب الكامن للعاجز.



قافية العين

أعمار زائفة[1]

نَفِـدَ العُمْـرُ وفـي الْقَلْـبِ ارْتِيـاعُ وارْتِجـاعُ الْعُمْـرِ مـا لا يُـسْتَطاعُ[2]

مَثَلــي لَمَّــا انْقَــضى دَهْــرٌ وَلَــمْ يَـكُ لـي فيـهِ نُهـوضٌ وارْتِفـاعُ

طــائِرٌ هِــيضَ جَناحــاهُ فَمــا دأْبُــهُ إلاَّ جُثــومٌ واضْــطِجاعُ[3]

مُــرَّ يــا ســائِقُ بالــسُّوقِ الَّتــي تُعْــرَضُ الأَعْمــارُ فيهــا وتُبــاعُ

عَلَّنــي أَبْتــاعُ عُمْــراً أُفْعِمَــتْ مِنْــهُ بالإحْـسانِ أَعْـوامٌ وسِـاعُ[4]

* * *

قِيــلَ: هــذا عُمْــرُ مُثْــرٍ غَمَــرَتْ ســاحَهُ الْفِــيحَ زُروعٌ وَرِبــاعُ[5]

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر.

(٢) نفِد: فني وذهب. الارتياع: الفزع.

(٣) هِيض: كُسر بعد الجبور. جثوم: يقال: جثم الطائر: لزم مكانه فلم يبرح، أو وقع على صدره.

(٤) أفعم: ملأ. وِساع: جمع وسيع: ضد الضّيق.

(٥) مثرٍ: غني. الفيح: السعة. رِباع: جمع رَبْع، وهي الدار بعينها حيث كانت.

قُلْتُ: عُمْرٌ مِلْؤُهُ الْبِرُّ وَكَمْ ... سَعِدَتْ فيهِ عُراةٌ وجِيَاعُ[١]

فَإذا الإمْساكُ يُوحي حَوْلَهُ: ... ما لِهذا الْعُمْرِ في الإحْسانِ باعُ[٢]

* * *

قيلَ: هذا عُمْرُ والٍ كانَ إنْ ... أَمَرَ النَاسَ اسْتَكانوا وَأَطاعوا[٣]

قُلْتُ: عُمْرٌ كالسَّماءِ امْتَلأَتْ ... بِالنُّجومِ الزُّهْرِ يَعْلوها شُعاعُ

فَإذا الإتْرافُ يُوحي حَوْلَهُ: ... هَمُّ هذا الْعُمْرِ لَهْوٌ وَرِتاعُ[٤]

* * *

قيلَ: هذا عُمْرُ حَبْرٍ كانَ في ... بَيْتِهِ كُتْبٌ وفي الْكَفِّ يَراعُ[٥]

قُلْتُ: عُمْرٌ كَسَحابٍ غَيْثُهُ ... حِكْمَةٌ غَرَّاءُ أَوْ فَتْوى تُذاعُ

فَإذا الأَهْواءُ تُوحي حَوْلَهُ: ... حَشْوُ هذا الْعُمْرِ خَبٌّ وابْتِداعُ[٦]

* * *

---

(١) البِر: الخير والفضل والصلة.

(٢) الإمساك: البخل. الباع: قدر مدّ اليدين.

(٣) الوالي: الحاكم.

(٤) الإتراف: الترف، التنعم. الهَمُّ: ما همَّ به الرجل، أو أجال فكره لفعله وإيقاعه. الرتاع: الأكل والشرب في رغد وسعة.

(٥) الحبر: العالم الصالح. اليراع: القصب، ويقصد بها: القلم.

(٦) الأهواء: جمع الهوى: ميل النفس إلى الشهوة. الخبّ: الخداع. الابتداع: زيادة في الدين، أو نقصان منه بعد الإكمال.

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ راعٍ وُضِـعَتْ تَحْـتَ رَعْيـاهُ عُقـولٌ وطِبـاعُ[1]
قُلْـتُ: عُمْـرٌ يُرْتَجـى مِنْـهُ عُـلا لِبَنـي الْعِلْـمِ وَرُشْـدٌ واجْتِمـاعُ
فـإذا الخَيْبَـةُ تـوحي حَوْلَـهُ: سِـرُّ هـذا الْعُمْـرِ زَهْـوٌ وَخِـداعُ[2]

* * *

قيلَ: هـذا عُمْـرُ قـاضٍ يُبْصِرُ الْـ ـحَقَّ إذْ يَعْلـو ادِّعـاءٌ ودِفـاعُ
قُلْـتُ: عُمْـرٌ طالمـا زالَـتْ بِـهِ إِحَـنٌ بَـيْنَ خُـصومٍ ونِـزاعُ[3]
فَـإِذا الرَّشْـوَةُ تـوحي حَوْلَـهُ: شَأْنُ هـذا العُمْـرِ حَيْفٌ وطِمـاعُ[4]

* * *

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ أَسْـتاذٍ رَوَى وَرأَى، والْعِلْـمُ رَأْيٌ وسَـماعُ
قُلْـتُ: عُمْـرٌ مِثْـلُ وادٍ مُمْـرِعٍ طابَ في مَرْعـاهُ لِلنَّـاسِ انْتِجـاعُ[5]
فَـإذا الْعَـيُّ يُنـادي حَوْلَـهُ: فاتَ هذا الْعُمْرَ غَوْصٌ واخْتِـراعُ[6]

* * *

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ داعٍ لِلتُّقـى يَـأْمُرُ النَّـاسَ وَيَنْهـى فَيُطـاعُ

---

(١) رعياه: رعايته وحفظه.
(٢) الزهو: الكذب، والكبر والتيه، والظلم.
(٣) الإحن: جمع الإحنة: الحقد والغضب.
(٤) الحيف: الجور والظلم. الطماع: الطمع.
(٥) الممرع: المخصب. الانتجاع: الرحيل في طلب الكلأ.
(٦) العي: يقال: عيَّ بأمره، وعن أمره: لم يهتد لوجه مراده، ولم يطق إحكامه.

قُلْــتُ: عُمْــرٌ كُلُّــهُ خَيْــرٌ وَلَــمْ ... يَــكُ فــي أوقاتِــهِ وَقْــتٌ مُـضاعُ
فَـــإذا الخُـــسْرُ يُنـــادي حَوْلَـــهُ: ... فــاتَ ذا الْعُمْـــرَ امْتِثـــالٌ وارْتِـــداعُ

* * *

قيــلَ: هــذا عُمْــرُ مَنْــدوبٍ لأَنْ ... يَـــشْهَدَ الـــشُّورى وأراءً تُـــشاعُ
قُلْــتُ: عُمْــرٌ يُنْقِــذُ الحَــقَّ إذا ... هــاجَمَ الحَــقَّ لُـصوصٌ أَوْ سِـباعُ
فَـــإذا الْعَجْـــزُ يُنـــادي حَوْلَـــهُ: ... فـاتَ هــذا الْعُمْـرَ نُطْـقٌ واسْـتِماعُ

* * *

قيــلَ: هــذا عُمْــرُ ذي سَـيْفٍ لَـهُ ... طَعْنَــةٌ نَجْــلاءُ إنْ ثــارَ النِّقــاعُ[1]
قُلْــتُ: عُمْــرُ الْعِــزِّ، والأَبْطـالُ إنْ ... هـــوجِمَ الْقَـــوْمُ دُروعٌ وقِـــلاعُ
فَـــإذا الرُّعْـــبُ يُنـــادي حَوْلَـــهُ: ... فـــاتَ ذا الْعُمْـــرَ طِعـــانٌ وقِـــراعُ

* * *

قيــلَ: هــذا عُمْــرُ ســاعٍ مُعْـوِلٍ ... ضــاقَ عَــنْ تَرْفيهِــهِ كَـفٌّ صَـناعُ[2]
قُلْــتُ: عُمْــرٌ حُـفَّ بِالعُـسْرِ وَمَـنْ ... يَحْمِــلُ الْكَــلَّ كَــريمٌ وشُــجاعُ[3]
فَـــإذا الـــسُّخْطُ يُنـــادي حَوْلَـــهُ: ... فــاتَ هــذا العُمْـرَ صَـبْرٌ واقْتِنــاعُ

* * *

---

(١) النقاع: جمع النقع، وهو الغبار.

(٢) المعول: كثير العيال. الصَناع: يقال: رجل صَناع اليدين: أي: حاذق في الصنعة.

(٣) الكلّ: اليتيم، الثقيل لا خير فيه، والضعيف.

يــا رَفيقــاً طالَمــا أَفْــصَحَ لــي ... عَــنْ خَبايـا فَـانْجَلى عَنْهـا الْقِنـاعُ

لِـمَ لا يُعْـرَضُ فـي الـسُّوقِ سِـوى ... عُمُــرٍ لَــمْ يَرْضَــهُ إلاّ الرَّعــاعُ[1]

قـالَ: جَـدَّ الجِـدُّ، مـا مِـنْ عُمُـرٍ ... ناصِـعِ الطَّلْعَــةِ فـي الـدُّنْيا يُبـاعُ

تحية المقام النّبوي ومناجاة الرّسول

«من قصيدة ألقاها أمام المقام النبوي سنة ١٣٣١ هـ».

أُحَيِّيـكَ والآمـاقُ تُرْسِـلُ مَـدْمَعا ... كَـأَنِّيَ أَحْـدو بِالـسَّلامِ مُوَدِّعــا[2]

ومـا أَدْمُـعُ البُـشْرى تَلـوحُ بِوَجْنَـةٍ ... سِوى ثَغْـرِ صَـبٍّ بالوِصـالِ تَمتَّعـا

وَقَفْتُ بِمَغْنىً كانَ يا أَشْرَفَ الـوَرى ... لِطَلْعَتِكَ الحُسْنى مَصيفاً ومَرْبَعـا[3]

فَذا مَوْقِفٌ لامَـسْتُ فيـهِ بِأَخْمَـصي ... أَجَـلَّ مِـنَ الـدُّرِّ النَّـضيدِ وأَرْفَعـا[4]

وذلِـكَ مَرْقـى كُنْـتَ تَـصْدَعُ فَوقَـهُ ... بِما حازَ في أَقْـصى الْبَلاغَـةِ مَوْقِعـا

وذاكَ مُـصَلًّى طالَمـا قُمْـتَ قانِتـاً ... بِهِ، وَيَقومُ الصَّحْبُ خَلْفَكَ خُـشَّعا[5]

وَذي حُجْـرَةٌ كـانَ الأَمـينُ يَؤُمُّهـا ... بِـوَحْيٍ فَكَانَــتْ للـشَّريعَةِ مَنْبَعـا

وَأَرْوَعُ مـا شَــقَّ الْفُــؤادَ بِحَــسْرَةٍ ... وَهـاجَ بِـهِ الأَشْـجانَ حَتّـى تَقَطَّعـا

---

(١) الرَّعاع: السفلة من الناس، الواحد رعاعة.

(٢) الآماق: جمع المأق: مجرى الدمع من العين.

(٣) المغنى: المنزل. المصيف: المكان يقيمون فيه صيفاً. المربع: الموضع يُقام فيه في فصل الربيع.

(٤) الأخمص: القدم، أو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٥) القانت: القائم بالطاعة الدائم عليها، والمصلّي.

تَخاذُلُ حالِ المُسْلِمينَ وما أَتى — مِنَ الخَطْبِ في أَرْجائِهِمْ وتَجَمَّعا
وما شَأْنُنا إلاَّ كَعِقْدٍ تَناثَرَتْ — جَواهِرُهُ في سَطْحِ أَحْدَبَ أَنْزَعا[١]
فَهذا يُحاذي في قَضاياهُ نَزْعَةً — تَخُطُّ وَراءَ الحَقِّ للنَّاسِ مَرْتَعا[٢]
وهذا يَصوغُ الْقَوْلَ في قالَبٍ يُرى — بِجانِبِهِ قَوْلُ الشَّريعَةِ أَوسَعا
وذاكَ يُنادي بالضَّلالَةِ ماسِحاً — بِصَبْغَةِ دينٍ كَيْ يَغُرَّ ويَخْدَعا
ونِمْنا على الآذانِ نَوْمَةَ جاهِلٍ — بِما يَضَعُ المُسْتَيْقِظونَ لِنُصْرَعا
ولَمْ نَسْتَفِقْ لِلْقَوْمِ حتّى تَحَفَّزوا — وَأَوْجَسَ كُلٌّ بَيْنَ جَنْبَيْهِ مَطْمَعا[٣]
ولَمْ نَسْتَفِقْ لِلْقَوْمِ إذْ كُلٌّ انْتَضَى — لِيَظْفَرَ بِاسْتِعْبادِنا السَّيْفَ مَقْرَعا[٤]
ولَمْ نَسْتَفِقْ للقارِعاتِ وقَدْ جَنَتْ — إلى مُهْجَةِ الإسْلامِ حتّى تَصَدَّعا[٥]
وفي النّاسِ مَنْ حاكَ الأَياسُ بِصَدْرِهِ — فَجَرَّدَ أَفْراسَ الجِهادِ وأَقْلَعا[٦]
ونَدْبٌ دَرى صَرْفَ اللَّيالي وأَنَّها — تُزَلُّ بِأَعْلامٍ وتُونِسُ بَلْقَعا[٧]

---

(١) الأنزع: الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته، والمقصود الأملس.

(٢) النزعة: نزع إلى الشيء: ذهب إليه، يقال: له نزعة إلى كذا. المرتع: الموضع الذي يتنعم فيه.

(٣) أوجس: أحس وأضمر.

(٤) انتضى السيف: استله من غمده.

(٥) القارعات: جمع القارعة وهي الداهية.

(٦) حاك: أثّر وعمل. الأياس: القنوط.

(٧) الندب: السريع إلى الفضائل. تونس: أي: تؤنس، يقال: أنس به: ألفه، وسكن قلبه به. البلقع: الأرض القفر التي لا شيء فيها.

فَقـامَ عَلـى جِـدٍّ يُهيـبُ بِقَوْمِـهِ   لِيَرْفَـأَ فَتْقـاً أَوْ يُـشَيِّدَ مَـصْنَعا[1]

يَقـولُ أُنـاسٌ إنَّمـا الـدِّينُ عَثْـرَةٌ   بِسابِلَةِ العُمْرانِ تَهْوي بِمَنْ سَعى[2]

رَمى بِهِـمُ التَّقْليـدُ فـي إثْـرِ مُلْحِـدٍ   ولم يكْشِفوا عن مِيسَمِ الحَـقِّ بُرْقُعـا[3]

تجَلَّيْتَ في شَعْبٍ جَرى في عُروقِهِ   دَمُ الكِبْـرِ وارْتـادَ الْغَوايَـةَ إمَّعـا[4]

تَجَلَّيْتَ والبَغْضاءُ تَشْوي صُدورَهُمْ   بِنـارٍ فَأَصْلَتْها قُلوبـاً وأَضْـلُعا

فَلَقَّنْتَهُمْ كَيْفَ الطُّمـوحُ إلـى العُـلا   إلى أَنْ عَلَوا فَوْقَ السِّماكَيْنِ مَطْلَعـا[5]

عَلَيْكَ سَـلامُ اللهِ مـا انْـسَجَمَ الحَيَا   وحَيّـا صَـباحٌ بِالـضِّياءِ وَوَدَّعـا

وما الودّ إلا عهود تُراعى

نَـشَدْتُ أَريبـاً يَجُـسُّ الطِّباعـا   وَيكْـشِفُ عَمَّـا يَريـب الْقِناعـا[6]

فَمَـنْ لـي بِـهِ يَـوْمَ يُبْـدي أُنـاسٌ   إخـاءً وَهُـمْ يُـضْمِرونَ الخِـداعا

قَـضَيْتُ لَيـاليَّ فـي غِـرَّةٍ   فَلَـمْ أَعْـرِفِ الخَـبَّ إلاَّ سَـماعا[7]

---

(١) رفأ: أصلح.

(٢) السابلة: الطريق المسلوكة.

(٣) الميسم: أثر الجمال، يقال: امرأة ذات مِيْسَم؛ أي: ذات حسن وجمال. البرقع: ما تستر به المرأة وجهها.

(٤) الإمَّع، والإمَّعَة: الرجل يتابع كل أحد على رأيه، ولا يثبت على شيء.

(٥) السماكان: كوكبان نيّران يقال لأحدهما: السماك الرامح، والآخر: السماك الأعزل.

(٦) نشدت: طلبت. الأريب: الماهر البصير.

(٧) الغرة: الأول من الشهر. الخب: الخدّاع.

أُبــاهي بِــأَنَّ عِــدادَ الأُلــى أَصــاحِبُ يَــزْدادُ ســاعاً فَــساعا
أَبيــتُ علــى عَهْــدِهِمْ ســاهِراً ومــا الْــوِدُّ إلاَّ عُهــودٌ تُراعــى
ولَــمْ أَكُ أَنْقُــدُ خاطِــبَ وُدٍّ كَمــا يَنْقُــدُ النَّــاسُ تِبْــراً مُباعــا[1]
ومَــنْ عــاشَ لاقــى ابْتِـسامَةَ خِـلٍّ عَلى شَـفَتَيْ مَـنْ يَـدُسُّ الْقِـذاعا[2]
ولَــوْلا أَخٌ يَنْـشُرُ الحُـبَّ مـا الْتَــ ــقَيْنا علــى وَجْنَتَيْــهِ شُــعاعا[3]
رأَيْــتُ الهُــدى أَنْ أَعــيشَ وَحيــداً ولا أَصْـحَبُ الـدَّهْرَ إلاَّ الْيَراعـا[4]

خائنو أوطانهم

عُجْــتُ يَوْمــاً بريــاضٍ أَجْتَنــي عِبَــراً مِمَّــا أَرى أَو أَسْــمَعُ[5]
فَلَمَحْــتُ الْفَــأْسَ مُلْقــاةً ومِــنْ حَوْلِهــا أَعْنــاقُ دَوْحٍ خُــضَّعُ[6]
دَوْحَــــةٌ تَلْحَظُهـــا قائِلَــــةً والأَســــى ســــاوَرَها والْفَــــزَعُ
هــذِهِ قاصِــمَةُ الظَّهْــرِ متــى نَزَلَــتْ بِالـدَّوْحِ حـانَ المَـصْرَعُ[7]
فَأَجابَــتْ جــارَةٌ تُطْفِــئُ مِــنْ رَوْعِهــا والــرَّوْعُ نــارٌ تَلْــذَعُ

(١) التبر: الذهب.
(٢) القذاع: الخنا والفحش.
(٣) ما التقينا: أي: مدة التقائنا.
(٤) اليراع: القصب، ويعني به: القلم.
(٥) عاج: أقام. العبر: جمع العبرة: العظة يُتَّعظ بها.
(٦) الدوح: جمع الدوحة: وهي الشجرة العظيمة.
(٧) قاصمة: يقال: نزلت بهم قاصمة الظهر؛ أي: أصابهم الهلاك.

لا يَرُوعَنْكِ الحَديدُ الصُّلْبُ في أَرْضِنا يَنْحَطُّ أَوْ يَرْتَفِعُ
فَهْوَ ما لَمْ يَلْقَ مِنْ أَعْوادِنا عَضُداً يُسْعِدُهُ لا يَقْطَعُ[1]
قُلْتُ: مَرْحى! حِكْمَةٌ لَوْ ساغَها خائِنو أَوطانِهِمْ لارْتَدَعوا

لم أذق طعم الذل

إذا ما تَلاقَيْنا وطَرْفُكَ طامِحٌ إلى عِزَّةٍ أَطْرَقْتُ طَرْفي تَواضُعا
وإنْ تَلْقَني يَوْماً وأَنْفُكَ شامِخٌ رَأَيْتَ فَتىً بَيْنَ السِّماكَيْنِ طالِعا
وما ذُقْتُ طَعْمَ الذُّلِّ لَكِنْ أَعافُهُ كما عِفْتُ سُمّاً في فَمِ الصِّلِّ ناقِعا[2]
ولا أَرْتَدي بِالكِبْرِ أَسْحَبُ ذَيْلَهُ وَلَوْ جاءَ في أَسْمى الأَماني طائِعا

□ □ □

(١) العضُد: الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف. وهنا بمعنى: الناصر والمعين.

(٢) الصل: الحية، وقيل: الحية الدقيقة الصفراء. سم ناقع: أي: بالغ قاتل ثابت.



قافية الغين

كرم الأصل

«قالها في مصر سنة ١٣٦٥هـ تصويراً لحالة التلميذ الطيب المنبت».

تَقَلَّـدْتَ فـي صَـدْرِ الحَيـاةِ عَزيمَـةً ... وبـاكَرْتَ تَجْنـي الْعِلْـمَ والْعَـيْشُ رابـغُ[١]

فكنـت تـرى الأيـام غُـرًّا سواسـياً ... كأسـنان مـشط لـيس فيهـا زوائـغ[٢]

وكُنْـتَ تَخـالُ النّـاسَ طُـرّاً مَلائِكـاً ... لِكُلِّ امْرِئٍ بُـرْدٌ مِـنَ الطُّهْـرِ سابِغُ

وتَحْسَبُ مَنْ يَشْكو الزَّمـانَ وأَهْلَـهُ ... يُـزَوِّرُ فـي تَخْييلِـهِ ويُبـالغُ

سَـميرُكَ سِـفْرٌ والـدُّروسُ حَـدائقٌ ... وَإِنْ أَقْبَـلَ الأُسْـتاذُ فالبَـدْرُ بـازِغُ

تُـراوِحُ بَـيْنَ الـدَّرْسِ والْبَيْـتِ دائبـاً ... لِتُحْـرِزَ مـا يَـصْبو إلَيْـهِ النَّوابِـغُ

وَوَفَّيْـتَ أَيَّـامَ التَّلقِّـي حُقوقَهـا ... فَرَأْيُـكَ وَضَّـاحٌ وقَولُـكَ دامِـغُ

وصِرْتَ تُصافي النَّاسَ أَنَّـى لَقيـتَهُم ... وقَلْبُـكَ مِـنْ سوءِ الأَظـانينِ فـارِغُ

وحَسْبُ السُّرى في بُغْيَةِ الْعِلْمِ أَنَّهـا ... وَقَتْـكَ فَلَـمْ يَنْـزَغْ فُـؤادَكَ نـازِغُ[٣]

---

(١) تقلد السيف: احتمله، ووضع نجاده على منكبيه. رابغ: ناعم.

(٢) سواسياً: متساوية.

(٣) السرى: سير عامة الليل. نزغ: أفسد وأغرى.

وأَعْطَتْـكَ مـا فـوْقَ الحُلِـيِّ نَفاسَـةً   وهَلْ صاغَ كالإخْلاصِ في الوِدِّ صـائِغُ[1]

يَروعُكَ أَنْ يَنْدَسَّ بَيْنَ أُولـي النُّهـى   ذِئـابٌ عَـوادٍ أَوْ أَفـاعٍ لـوادِغُ[2]

خُذِ الحَزْمَ لا يُلْهيـكَ عَنْـهُ ابْتِـسامَةٌ   ولا رائقٌ مِنْ زُخْرُفِ الْقَـوْلِ سـائغُ[3]

❐ ❐ ❐

(١) الصائغ : من حرفته أن يعمل حلياً من الذهب والفضة .

(٢) أولي النهى : أصحاب العقول .

(٣) سائغ : السهل المدخل من الطعام والشراب ، ويقال : شراب سائغ : عذب .



قافية الفاء

مناجاة النفس

«خواطر سنحت للشاعر في مستشفى الروضة بالقاهرة حيث أقام به ستة عشر يوماً لإجراء عملية جراحية».

مَسَّها سُقْمٌ، وفي الأَسْقامِ ما ... كانَ طُهْراً مِنْ ذُنوبٍ سالِفَهْ[(١)]

تَتَلَقَّاهُ عَلى صَبْرٍ وإِنْ ... كانَ رَحْلاً لِمَنونٍ خاطِفَه[(٢)]

ثِقَةٌ مِنْها بِرُحْمى قادِرٍ ... ما لِكَرْبٍ مِنْ سِواهُ كاشِفَه[(٣)]

مَلأَ الْعالَمَ آياتٍ هِيَ الـ ... ـزُّهْرُ والأَلْبابُ أَيْدٍ قاطِفَه

فاحْذَري أَيَّتُها النَّفْسُ هَوًى ... يَسْتَرِقُّ الْعَقْلَ قَبْلَ العاطِفَه

هُوَ ذا الْفُرْقانُ يُلْقي حِكَماً ... تَتَمَلاَّها فُهومٌ ثاقِفَه[(٤)]

عِصْمَةٌ مِنْ كُلِّ ما تَكْبو بِهِ ... نَظَراتُ الفَيْلَسوفِ القائِفَه[(٥)]

---

(١) مسها: الضمير عائد على نفس الشاعر. السقم: المرض.

(٢) الرحل: مركب للبعير. المنون: الموت.

(٣) كاشفة: أي كشف.

(٤) ثاقبة: حاذقة وفطنة.

(٥) تكبو: كبا لوجهه: انكب على وجهه. القائفة: مؤنث القائف، وهو من يعرف الآثار.

فَـــرِدي مَنْهَلَـــهُ فـــي لَهَـــفٍ تَجِـدي طِـبَّ النُّفـوسِ اللاَّهِفَـه[1]

هـــذِه الـــدُّنيا كِتــابٌ فَــاعْرِفي رَمْـــزَهُ إنْ لَـــمْ تَكـــوني عارِفَـــه

مَعْـــرِضُ الأَضْـــدادِ تَلْقَـــيْنَ بِهـــا دُرَّةَ التَّـــاجِ وأُخْـــرى زائِفـــه

وَوُجوهـــاً حُـــرَّةً زاهِـــرَةً وَوُجوهـــاً فـــي هَـــوانٍ خاسِـــفَه[2]

وعُيونـــاً بـــالكَرى طافِحَـــةً وعُيونـــاً بِـــدُموعٍ ذارِفَـــه[3]

وَقُلوبـــاً فـــي المُنـــى راتِعَـــةً وقُلوبـــاً بالمآســـي واجِفَـــه[4]

تَخْطُـــرُ الـــسَّرَّاءُ فـــي رَوْنَقِهـــا فَـــإذا الْبَأْســـاءُ تَغْـــدو رادِفَـــه[5]

إنْ جَنَتْـكِ النَّحْـلُ شَـهْداً فَـارْقُبي أَنْ تَـــرَيْ رُقطـــاً بِـــسُمٍّ زاحفَـــه[6]

هِـيَ سِـلْمٌ حـينَ تَلْقـى خـامِلاً لا يُنـــادَى لِخُطـــوبٍ آزِفَـــه[7]

وَهْـيَ حَـرْبٌ حـينَ تلقـى ناهِـضاً لا يَهـــابُ المُرْهَفـــاتِ القاصِـــفَه[8]

يَسْلَمُ الْكـوخُ وتَنْـصَبُّ علـى الْـ ـحِـصْنِ نـارُ الطَّـائِراتِ القاذِفَـه

وَضَـعَ الـشَّيطانُ فِيهـا نُـصُباً مِـــنْ مَـــلاهٍ شـــاتِياتٍ صـــائِفَه

---

(١) اللاهفة: المظلومة المضطرة تستغيث وتتحسر.

(٢) خاسفة: ذهبت ضوءها وأظلمت. يقال: خسف القمر: ذهب ضوءه وأظلم.

(٣) الكرى: النعاس.

(٤) واجفة: مضطربة.

(٥) السرّاء: الرخاء. رادفة: تابعة.

(٦) الرُّقط: جمع رقطاء، ويقصد بها: الحية فيها سواد يشوبه نقط بياض، أو عكسه.

(٧) آزفة: قريبة.

(٨) المرهفات: جمع مرهف: محدد مرقق الحد؛ أي: السيوف.

فَاسْكُبي أَدْمُعَكِ الحُمْرَ على ... أُمَّةٍ ظَلَّتْ عَلَيْها عاكِفه

وَيْحَ مَنْ يَطْغِيهِ عَيْشٌ رافِهٌ ... والحُمَيَّا بِالنَّدامى طائِفَه[1]

رُبَّ زَهْرٍ راحَ مِنْ خَمْرِ النَّدى ... ثَمِلاً فاكْتَسَحَتْهُ العاصِفَه

لِكِفاحِ الشَّرِّ قِسْطاسٌ فَإِنْ ... لَمْ تُقيمي الوَزْنَ كُنْتِ الآسِفَه[2]

يَصِفُ الطِّبُّ سُموماً لو عَدَتْ ... وَصْفَهُ كانَتْ سِهاماً جائِفَه[3]

وأَناةٌ سَمْحَةٌ تَكْفيكَ في ... دَفْعِكَ الشَّرَّ سُيولاً جارِفَه[4]

فارْشُقي عَنْ قَوْسِ حِلْمٍ تُطْفِئي ... نارَ غَيْظٍ مِنْ صُدورٍ راجِفَه[5]

لا تَشُحّي بِاسْمِ «غازٍ» عَنْ فَتىً ... ساسَ بِالحِلْمِ لُيُوثاً ناكِفَه[6]

مَنْطِقٌ يَلْهَجُ بالحُسْنى وَلَوْ ... جَبَهَتْهُ اللَّهَجاتُ العاسِفَه[7]

تَنْعِقُ الغِرْبانُ والوَرْقاءُ في ... دَوْحِها المَيّادِ تَشْدو هاتِفَه

أَنا لَمْ أَنْسَ غَريباً زَجَّ في ... بَطْنِ وادينا جُنوداً سائِفَه[8]

---

(١) الحميا: شدة الغضب وأوله.

(٢) القسطاس: الميزان.

(٣) عدت: جاوزت. الجائفة: الطعنة التي تبلغ الجوف.

(٤) الأناة: الحلم والوقار.

(٥) ارشقي: رشق: رمى.

(٦) ناكفة: نكف عنه: أنف منه وامتنع، فهو ناكف.

(٧) جبهته: قابلته. العاسفة: يقال: عسف الطريق: خبطه على غير هداية، والعسف: الظلم.

(٨) الغريب: المستعمر. زجّ: رمى. سائفة: أي: ذوي سيوف.

أَنْكَدُ النَّاسِ حَياةً أُمَّةٌ　　　سَلَبَتْها الحُكْمَ أَيْدٍ حائِفَه[١]

لا يَروعَنْكِ سُيوفٌ وَقَناً　　　مُشْرَعاتٌ وسَفينٌ ناسِفَه[٢]

مِنْكَ عَزْمٌ مُرْهَفُ الحَدِّ وَمِنْ　　　قَدَرِ اللهِ صُروفٌ ساعِفَه[٣]

لا تَخالي خَيْرَها وَقْفاً عَلى　　　عَسْجَدٍ يَهْمي كَعَيْنٍ واكِفَه[٤]

شَرُّ أَيَّامِكِ يَوْمٌ يَنْقَضي　　　في سِوى مَعْرِفَةٍ أَوْ عارِفَه[٥]

لا يُباهي بِتَليدِ المَجْدِ مَنْ　　　ظَلَّ يَوْماً لا يُبالي طارِفَه[٦]

أَيُّ فَضْلٍ لِحَياةٍ لا يَرى　　　ناقِدوها غَيْرَ بِئْرٍ نازِفَه[٧]

فَأَنَسي بِالعَيْشِ إِنْ مَدَّ التُّقى　　　مِنْ حَوالَيْهِ ظِلالاً وارِفَه

وَأَنَسي بِالمَوْتِ إِنْ أَصْبَحْتِ في　　　أُفُقِ العَلْياءِ شَمْساً كاسِفَه

الصّداقة وحريّة الرأي

أَيَصْفو لي مِنَ الأَصْحابِ خِلٌّ　　　لَهُ أَدَبٌ أَرَقُّ مِنَ السُّلافِ[٨]

---

(١) حائفة: جائرة وظالمة.

(٢) سفين: جمع سفينة، وهي المركب.

(٣) ساعفة: مساعدة.

(٤) يهمي: يسيل لا يثنيه شي. واكفة: سالت دموعها قليلاً.

(٥) العارفة: العطية والمعروف.

(٦) التليد: المال القديم. الطارف: المال الحديث المستحدث.

(٧) بئر نازفة: التي نُزح ماؤها.

(٨) الخل: الصديق. السلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر.

أَهِـيمُ بِـهِ الحَيـاةَ وَمـا هُيـامي بِغَيْـرِ الأَلْمَعِيَّـةِ والْعَفـافِ[1]
يُنـاقِشُ أَوْ يُخـالِفُ بَعْـضَ رَأْيِـي فَـأَبْهَجُ بِالنِّقـاشِ وبِـالخِلافِ
وأُوثِـرُ أَنْ أَكـونَ مُحِـبَّ حُـرٍّ فَحُـرُّ الـرَّأْيِ أَمْثَـلُ مَـنْ تُـصافي

كبر الهمّة

يَرْمي الهُمامُ وما غَيْـرَ العُـلا هَـدَفاً ولا يُبـاكِرُ إلاَّ الرَّوضَـةَ الأُنُفـا[2]
والنَّاسُ كالـشِّعْرِ إنْ وافَيْـتَ تَنْقُـدُهُ أَلْفَيْتَ سَبْكَ الْقَـوافي مِنْـهُ مُخْتَلِفـا
كَم بَيْنَ شَهْمٍ يَـدوسُ الـصَّعْبَ فـي شَـمَمٍ وخامِلٍ باتَ في مَهْدِ الهـوى دَنِفـا[3]

التلميذ العاق

بَسَطْتَ شُـعاعَ عِلْمِـكَ فـي نُفـوسٍ تَسوقُ إلَيْـكَ مـا اسْـطاعَتْ حُتوفـاً
كَـذا الأَقْمـارُ تَكْـسو الأَرضَ نـوراً وَلَـولا الأَرْضُ مـا لَقِيَـتْ خُـسوفاً

من عجيب السّحر

يَـزْعُمُ الـسَّاحِرُ زُوراً أَنَّـهُ يَقْلِـبُ الـسَّوْطَ حُـساماً مُرْهَفـا[4]
وَيُرينـا الحَبْـلَ فـي تَخْيِيلِـهِ سـاعِياً فَـوْقَ الثَّـرى مُنْعَطِفـا
يَعْجَـبُ المَـرْءُ لِـسِحْرٍ وأَرى فيـهِ سِـحْراً عَجَبـاً لَـوْ أَنْـصفا

---

(١) الألمعية: الذكاء.

(٢) الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع. الروضة الأنف: لم يرعها أحد.

(٣) الدَّنِف: الذي ثقل من المرض أو العشق، ودنا من الموت.

(٤) السوط: ما يضرب به من جلد مضفور ونحوه. الحسام المرهف: السيف القاطع الرقيق.

شَــهْوَةٌ تَحْــدو عَلــى إثْــمٍ فَــإنْ   قُــضيَ الإثْــمُ اسْــتحالَتْ أَسَــفا
وإذا مـــا لاذَ بِالـــصَّبْرِ انْثَنَـــتْ   بَـــيْنَ جَنْبَيْـــهِ رَواحـــاً وَصَـــفا[1]

نشوة الشّعر

«قالها وقد رأى شخصاً في تونس أخذته هزة طرب عند سماعه قصيدة رائعة ينشدها ذو صوت جميل».

هــذا الْفَتَــى ثَمِــلٌ فَقُــلْ لِنَديمِــهِ   أَتَلَــوْتَ شِــعْراً أَمْ أَدَرْتَ سُــلافا[2]
هاتِ الَّـذي رَقَّـتْ حَواشـي طَبْعِـهِ   وأَدِرْ مِـنَ الـشِّعْرِ الأَنيـقِ قُحافـا[3]
تَأْخُـذْهُ نَـشْوَةُ طـافِحٍ مِـنْ خَمْـرَةٍ   تَـدَعُ الرَّواسـي كالرِّيـاشِ خِفافـا[4]
ولَرُبَّمـــا أَبْـــصَرْتَهُ مُتَرَنِّحـــاً   ومُـصَفِّقاً أَعْيَـا اللَّهـاةَ هُتافـا[5]

معلّم الكشّاف

حَـضَنَتْكَ ذاتُ قَـوادِمٍ وخَـوافي   قَنعَتْ بِقُوتٍ فـي الحَياةِ كَفافِ[6]

---

(١) الرَّواح: وجدانك السرور الحادث من اليقين.
(٢) الثمل: السكران.
(٣) الحواشي: الجوانب. القِحاف: جمع قِحف: إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح.
(٤) طافح: ملآن. الرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ.
(٥) المترنح: المتمايل من السكر وغيره. اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، جمع لهوات ولهيات.
(٦) القوادم: جمع قادمة، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش. الخوافي: صغار الريش، وهي تحت القوادم. القوت: ما يأكله الإنسان ويقتات به. الكفاف من القوت: ما كف عن الناس وأغنى.

تَحْنو عَلَيْكَ وما دَرَتْ مَنْ ذا الَّـذي   أَوحـى إلَيهـا بـالحُنوِّ الـضّافي[١]

حَتّى سَرى في جِسْمِكَ الرُّوحُ الَّـذي   خَـلاَّكَ تُطْـرَحُ بِالـسِّياجِ الْجـافي[٢]

بارَحْـتَ قَيْـضاً كُنْـتَ فيـهِ مُحَجَّبـاً   فَـاللُّؤْلُؤُ المَكْنـونُ فـي أَصْـدافِ[٣]

أَلْفَيْـتَ بَيْتَـاً لا بـساطَ بـهِ سِـوى   لَقَطاتِ عَصْفٍ كالرِّياشِ خِفـافِ[٤]

فَجَثَمْـتَ لا مُـسْتَحْنِياً فَرْشـاً ولا   مُسْتَوْحِـشاً مِـنْ قِلَّـةِ الأُلاَّفِ[٥]

ووَقَفْـتَ حَـوْلَ الـوَكْرِ تَرْقُـبُ أَوْبَـةً   مِنْ ذاتِ طَـوْقٍ تَغْتَـدي وتُـوافي[٦]

تُوليـكَ إسْـعافاً ورِفْقـاً والَّـذي   سَـوَّاكَ رَبُّ الرِّفْـقِ والإِسْـعافِ

رَفَعَتْـكَ حِكْمَتُـهُ إلـى طَـوْرٍ أَبـى   لَـكَ أَنْ تَظَـلَّ غَنيمَـةَ الخُطّـافِ[٧]

راشَتْ جَناحَـكَ فَانْتَـضيْتَ عَزيمَـةً   وعَلَوْتَ تَكْشِفُ عَنْ قُرًى وَفَيافي[٨]

لَـوْ أَنْـصَفوكَ دَعَـوكَ فيمـا بَيْـنَهُم   يَـوْمَ الْفَخـارِ: مُعَلِّـمَ الْكَـشّافِ[٩]

---

(١) الضافي: السابغ.

(٢) السياج: ما أحيط به على شيء. الجافي: الغليظ.

(٣) القيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة.

(٤) اللقطات: جمع اللقطة: الشيء تجده ملقى فتأخذه. العصف: ورق الزرع.

(٥) الألاف: جمع الإلف: العشير المؤانس.

(٦) الوكر: عش الطائر. الأوبة: الرجعة. ذات الطوق: الحمامة.

(٧) الطور: الحال، الهيئة.

(٨) راش السهم: ألزق عليه الريش.

(٩) الكشاف: يقال: كشف الشيء: أظهره، ورفع عنه ما يواريه.

منار بشاطئ نابلي

«قال هذين البيتين عند رسو السفينة بشاطئ «نابلي» وهو عائد من الآستانة إلى تونس سنة ١٣٣٠هـ».

كَأَنَّ مَناراً لاحَ في فَحْمَةِ الدُّجى ومَنْظَرُهُ المُحْمَرُّ يَبْدو ويَخْتَفي[١]

حَشًا تَقْذِفُ الأَشْواقُ فِيهِ بِجِذْوَةٍ وآونَةً يَرْجو الوِصالَ فَتَنْطَفي[٢]

❒ ❒ ❒

(١) فحمة الدجى: أي: شدة سواد الليل.

(٢) الجذوة: الجمرة الملتهبة، القبسة من النار.



قافية القاف

ذكرى المولد

«قيلت في احتفال جمعية الهداية الإسلامية بذكرى المولد النبوي الشريف سنة ١٣٥٩هـ».

أَمِــنْ خَفَقَــانِ أَفْئِــدَةٍ رِقــاقِ   تَأَلَّقَــتِ المَــدامِعُ فــي المَــآقي[١]

إذا أَهْــدَتْ يَــدُ الإقْبــالِ بُــشْرى   تَلَقَّتْهــا الــضَّمائِرُ باخْتِنــاقِ[٢]

كمــا اهْتَــزَّتْ غُــصونٌ لاعَبَتْهــا   جَنُــوبٌ باعْتِنــاقٍ وانْطِــلاقِ[٣]

وأَرْشَــفَها الرَّبيــعُ نَــدَى فَطابَــتْ   رُباهــا لاصْــطِباحٍ واغْتِبــاقِ[٤]

لِلَيْلَتِنــا الفَخــارُ إذا اللَّيــالي   تَباهَــتْ بالمَحاسِــنِ وَالمَراقــي[٥]

أَشــارَتْ بالمَغيــبِ عَلــى ذُكــاءٍ   وجــاءَتْ بالكَواكِــبِ فــي اتِّــساقِ[٦]

---

(١) تألقت: لمعت. المآقي: جمع مأق: مجرى الدمع من العين.

(٢) الضمائر: القلوب والبواطن. اختفاق: خفقان.

(٣) الجَنوب: الريح المقابلة للشمال.

(٤) الاصطباح: شرب الصبوح. الاغتباق: شرب الغبوق.

(٥) المراقي: جمع المرقى والمَرقاة: الدرجة.

(٦) ذكاء: الشمس.

ومَـدَّتْ فـي الـسَّماءِ الْبَـدْرَ كَفّـاً | تُـديرُ الأُنْـسَ بالكَـأْسِ الـدِّهاقِ[1]
ولَــوْ أَرْخَــتْ ذُؤابَتَهــا لَقُلْنــا | خُذوا هذا الـسَّوادَ إلـى الحِـداقِ[2]
ذَكَرْنــا إذْ تَقَلَّــدَتِ الْمَعــالي | حُـساماً قَـدْ تَهَيّـأَ لامْتِـشاقِ[3]
ذَكَرْنــا كَيْــفَ لاحَ جَبِـينُ طـه | وَهَــبَّ الْفَجْــرُ يُــؤْذِنُ بانْبِــثاقِ
كــأَنَّ الْفَجْــرَ والمــيلادَ جــاءا | لإجْــلاءِ الظَّــلامِ علــى اتِّفــاقِ
أَلا مَــنْ مُبْلِــغٌ قَمــراً تَــوارى | وســاطِعُ نُـورِهِ فـي النَّـاسِ بـاقِ
سَــلاماً كالــصَّبا مَــرَّتْ بِــرَوْضٍ | وَلاقَتْهــا الْكَمــائِمُ بانْفِتــاقِ[4]
أَرومُ مَديحَــــهُ وَإخــــالُ أَنِّـــي | سَـأَحْظى مِنْـهُ بالـسَّيْلِ الـدُّفاقِ[5]
فَيَبْهَرُنــي عُــلاهُ كــأَنَّ فِكْــري | تَوَثَّــبَ وَهْــو مَــشْدودُ الوَثــاقِ
تَمَلَّــى نــورَهُ صَــحْبٌ فَــأَغْنَوْا | غَناءَ النَّجْمِ فـي الظُّلَـمِ الـصِّفاقِ[6]
نُفــوسٌ أَخْــصَبَتْ هَــدْياً وَأَدْنَــتْ | إلــى الـدُّنيا جَنـيً عَـذْبَ المَـذاقِ
تَحَلَّــتْ بالمَكــارِمِ وَهْــيَ أَغْلــى | مِنَ الحَلـيِ المُخَبَّـأِ فـي الحِقـاقِ[7]

---

(١) الكأس الدهاق: الممتلئة.

(٢) الذؤابة: الضفير من الشعر. الحداق: جمع حدقة: سواد العين الأعظم.

(٣) الامتشاق: امتشق السيف: استله؛ أي: أخرجه من غمده.

(٤) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٥) السيل الدفاق: الذي يملأ جنبي الوادي.

(٦) الظُّلَم: جمع ظلمة: ذهاب النور. الصِّفاق: جمع الصفيقة: الكثيفة.

(٧) الحِقاق: جمع الحق: الوعاء.

وتُــؤْثِرُ غَيْرَهــا بــالزَّادِ زُهْــداً وتَقْنَـعُ فـي المَعِيْـشَةِ بالرِّمـاقِ[١]

ولا تَرْضى إذا خُطِبَتْ خِـصالُ الْـ ـــعُلا إلاَّ بِغالِيَــةِ الــصَّداقِ[٢]

سَـراةٌ أَحْكَمـوا الإِصْـلاحَ عِلْمـاً وَهَبُّــوا لِلْجِهــادِ علــى وِفـاقِ[٣]

دَعَــوا والحُجَّــةُ الْغَــرَّاءُ تَهْــدي إلــى سُـبُلِ الحَقـائِقِ مَـنْ تُلاقـي

ونَاصَـبَهُمْ خُـصومُ الحَـقِّ حَرْبـاً فَــلاذوا بالمُثَقَّفَــةِ الرِّقــاقِ[٤]

وهَـلْ يُجْـدي الأَصَـمَّ بَيـانُ قُـسٍّ وهَلْ يَـشْفي أَخـا الأَمْـواتِ راقِ[٥]

فَكَـمْ شَـرَعوا الأَسِـنَّةَ فـي كِفـاحٍ وَكَـمْ مَلَـؤوا الأَعِنَّـةَ فـي سِـباقِ[٦]

وإنْ قــاموا قُنوتــاً لَــمْ يُقاسُــوا بِغَيْــرِ مَلائِـكِ الـسَّبْعِ الطِّبـاقِ[٧]

هُــمُ الأَعْـلامُ إنْ طَمَحَـتْ نُفُـوسٌ إلــى عَلْيــاءَ واسِــعَةِ النِّطــاقِ

---

(١) الرماق: ما يسد الحاجة.

(٢) الصّداق: مهر المرأة.

(٣) السراة: سادة القوم ورؤساؤهم، جمع السريّ.

(٤) المثقفة: الرماح.

(٥) قس: (. . . ـ نحو ٢٣ق. هـ) قس بن ساعدة من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد».

(٦) الأعنة: جمع عنان: سير اللجام الذي تُمسَك به الدابة.

(٧) القنوت: الطاعة والقيام في الصلاة والدعاء. السبع الطباق: السماوات السبع، مطابقة بعضها على بعض.

ولا أَدْري أَقَــوْميَ فـــي سُـــباتٍ فَــأَرْجو صَـحْوَهُمْ أَمْ فـي سِـياقِ[١]
فَأَشْـياعُ الـضَّلالِ الْيَـوْمَ صـالوا بِأَلْـــسِنَةٍ وأَقْـــلامٍ حِمـــاقِ[٢]
وَهُــمْ مــا بَـيْنَ إِلْحــادٍ وَقــاحٍ وإِلحـــادٍ تَقَنَّـــعَ بالنِّفـــاقِ[٣]
وإِنْ شَــؤُمَ النُّعــاقُ فَمــا أَزاغُــوا بِــهِ الْفَتَيَـاتِ أَشْـأَمُ مِـنْ نُعـاقِ[٤]
فَمِــنْ قِــصَصٍ تُعــاطي قارِئيهــا شَــراباً دِيــفَ بالــسُّمِّ الزُّعــاقِ[٥]
ومِــنْ صُــوَرٍ تُثيـرُ هَـوًى وتَحْـدو نُفوســاً كالبُــدورِ إِلــى مُحــاقِ[٦]
أَمــا لِــشبابِ أَحْمَــدَ أَنْ يَــذودوا خُطوبـاً كالمَطـاعِنِ فـي التَّراقـي[٧]
ويَرْمــوا لِلــسِّيادَةِ عَــنْ قِــسِيٍّ مِــنَ الإيمــانِ والتَّقْــوى رِشــاقِ[٨]
كَفَــى مــا قَــدْ خَـسِرْنا مِـنْ شَـبابٍ رَأَوْا سُــوقَ الخَلاعَــةِ فـي نَفـاقِ[٩]

---

(١) السبات: النوم. السياق: نزع الروح.

(٢) الأشياع: الأتباع والأنصار. حماق: جمع أحمق.

(٣) الوقاح: ذو الوقاحة للذكر والأنثى.

(٤) النعاق: صياح الغراب. أزاغوا الشيء: أمالوه.

(٥) ديف: خُلط. الزّعاق: المر الغليظ.

(٦) المحاق: آخر الشهر القمري، أو ثلاث ليالٍ من آخره.

(٧) التراقي: جمع الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، أو أعلى الصدر.

(٨) القسي: جمع القوس.

(٩) نفَاق: يقال نفقت السلعة: أي: كثر طلابها.

فَغادَوْهــا، وكَيْــفَ تَــرى فَراشــاً تَهَافَتَ فـي لَظى النَّـارِ الحِـراقِ[١]

ومــا لِلــنَّفْسِ إنْ رَكِبَــتْ هَواهــا وحَطَّتْ في المَجانَةِ مِـنْ خَـلاقِ[٢]

هِــيَ الــشَّكْوى يُرَدِّدُهــا لِــسانٌ ومـا بَـيْنَ الجَـوانِحِ فـي احْتِـراقِ

ولقد ذكرتك

«قالها في دمشق مجاراة لمن نظموا على هذا الأسلوب».

ولَقَدْ ذَكَرْتُكَ في الدُّجى والجُنْدُ قَـدْ ضَـرَبوا علـى دَارِ الْقَـضاءِ نِطاقـا[٣]

وقُـضاةُ حَـرْبٍ أَرْهَفـوا أَسْـماعَهُمْ وصُـدورُهُمْ تَغْلـي عَلَـيَّ حِناقـا[٤]

والمُدَّعي يُغْري الْقُـضاةَ بِمَـصْرَعي ويَـرى مُعانـاتي الـدِّفاعَ سِـياقا[٥]

أَتَــروعُ أَهْــوالُ المَنــونِ مُتَيَّمــاً جَرَّعْتِــهِ بَعْــدَ الوِصــالِ فِراقــا

أنت ريحانة الحياة

«قالها عقب وداع أحد أصدقائه».

قُلْــتُ إذْ هَــمَّ صــاحِبي بِرَحيــلٍ أَتُــذيقَ الحَـشا عَـذابَ الحَريــقِ

أَنْــتَ رَيْحانَــةُ الحَيــاةِ إذا مــا غِبْتَ عَنْ ناظِري غَصَصْتُ بِريقـي

---

(١) فغادوها: باكروها. نار حراق: لا تبقي شيئاً.

(٢) المجانة: الهزل. الخَلاق: النصيب الوافر من الخير.

(٣) دار القضاء: المحكمة.

(٤) قضاة حرب: الحكام العسكريون الذين حاكموا الشاعر في عهد جمال باشا بدمشق.

(٥) المدّعي: ممثل النيابة العامة، السياق: نزع الروح.

فَـابْقَ للأُنْـسِ واتْـرُكِ الْبَـيْنَ يَحْـدو ... بالأَعــادي إلــى مَكــانٍ سَــحيقِ

لم أضع للودّ حقاً

أَتَنَــسَّمْتَ الــصَّبا مِــنْ «حــاجِرٍ» ... حَـادِيَ الأَيْـنَـقُ أَمْ شِـمْتَ بُروقَـهْ[1]

عُـجْ بِـهِ نَـشْفِ بِملْقَـى جِيـرَةٍ ... ضَـرَبوا الْخَـيْمَ بِـهِ نَفْـساً مَـشُوقَه[2]

وإذا مــا عاقَنــا بُــطْءُ الــسُّرى ... عَنْ صَبوحِ الوَصْلِ أَدْرَكْنا غَبوقَـه[3]

هاهُنــا مَــرْتَعُهُمْ، خُــذْ بِيَــدي ... وَدَعِ الأَيْنُـقَ فـي الـرَّوضِ طَليقَـه

طـالَ بـي الْبَـيْنُ إلـى أنْ أَطْفَـأَتْ ... نَظْـرَةٌ مِـنْ ساكِني الْبـانِ حَريقَـه[4]

يـا بُـدوراً حُـسْنُها ابْتَـزَّ النُّهـى ... وهَواها مَـدَّ فـي الْقَلْـبِ عُروقَـه[5]

عــادتِ الأيــامُ مِــنْ هِجْــرانِكُمْ ... لِيَ خَـصْماً بَعْـدَ أَنْ كانَـتْ صَـديقَه

مِـنْ دُجًـى يَقْـضيهِ جَفْنـي أَرَقـاً ... وضُــحًى يُلْبِــسُهُ اللَّيْــلُ غُـسوقَه

وكَفَــى جِــسْمي نُحــولاً أنْ تَخـا ... لُــوهُ كـالطَّيْفِ خَيـالاً لا حَقيقَــه

لَــمْ أُضِــعْ لِلْــوُدِّ حَقّــاً، أَفَمـا ... حـانَ أَنْ يَرْعـى الأَخِـلاَّءُ حُقوقَـه؟

---

(١) الحاجر: المنزل في البادية، والأرض المرتفعة ووسطها منخفض. الأنيق: جمع الناقة، وهي الأنثى من الإبل. شِمتُ البرق: نظرت إليه أين يقصد وأين يمطر.

(٢) الخيم: الخيمة: بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر.

(٣) السرى: سير عامة الليل. الصبوح: كل ما أُكل أو شُرب غدوة. الغبوق: ما يشرب بالعشي.

(٤) البان: شجر ليّن القوام، الواحدة بانة.

(٥) ابتزّ الشيء: استلبه. النهى: العقل.

الرّتيمة(١)

ما النَّجْمُ تَجْري بهِ الأَفْلاكُ في غَسَقِ ... كالـدُّرِّ تَقذِفُـهُ الأَقْـلامُ فـي نَـسَقِ
لَقَدْ سَلَوْتُ مُحَيَّا الْبَـدْرِ إذْ طَلَعَـتْ ... عَقيلَـةُ الطِّـرْسِ والأَجْفـانُ فـي أَرَقِ
وكُنْتُ أَرْشُفُ مِنْ جَـدْوى بَلاغَتِهـا ... راحاً فَيَهْدَأُ ما في الجَأْشِ مِنْ قَلَـقِ(٢)
تَخْشى إذا أَفْصَحَتْ عَمَّا تَوَهَّجَ مِـنْ ... حَماسَةٍ أَنْ تَشُبَّ النَّـارُ فـي الـوَرَقِ

---

(١) كان فضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين مقيماً في دمشق مع عائلته سنة ١٣٣٨ هـ، وكان قد عزم على الارتحال منها إلى تونس، فكتب إليه الشاعر الكبير الأستاذ خليل مردم وزير خارجية سورية ورئيس المجمع العلمي بها في ذاك العهد كتاباً رقيقاً قال فيه:

«إن من خير ما أثبته في سجل حياتي، وأشكر الله عليه، معرفتي إلى الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر التونسي وإخوانه الفضلاء، وصحبتي لهم، فقد صحبت الأستاذ عدة سنين رأيته فيها الإنسان الكامل الذي لاتغيره الأحداث والطوارئ ، فما زلت أغبط نفسي على ظفرها بهذا الكنز الثمين حتى فاجأني خبر رحلته عن هذه الديار، فتراءت لي حقيقة المثل: «بقدر سرور التواصل، تكون حسرة التفاصل».

فلم يعد لي إلا الرجاء بأن يكون لي نصيب من الذكر في قلبه، وحظ من الخطور على باله، لذلك فأنا أتقدم بهذه القصيدة الوطنية لتكون لي رتيمة عنده، وذكرى أحد المخلصين إليه، أمتع الله به، وأدام الكرامة، وكتب له السلامة في حله وترحاله».

ثم أتبع الخطاب بقصيدة مطلعها:

طيف للمياء ما ينفك يبعث لي ... في آخر الليل إن هوّمت أشجانا

(٢) الجأش: نفس الإنسان.

فَأَلْبَسَتْها أَساليبَ النَّسيبِ، وَكَمْ ... ذاقَ الحَشا لَوْعَةً مِنْ ناعِسِ الحَدَقِ

هِيَ «الرَّتيمَةُ» فيما قالَ مُبْدِعُها ... وَهَلْ يَغيبُ السَّنا عَنْ طَلْعَةِ الْفَلَقِ[1]

إِنِّي عَلى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ ذِكْرَكَ لا ... يَنْفَكُّ مُرْتَسِماً في النَّفْسِ كالخُلُقِ

وكَيْفَ أَنْسى «خَليلاً» قَدْ تَضَوَّعَ في ... حُشاشَتي وُدُّهُ كالعَنْبَرِ الْعَبِقِ

وفي الوَرى خَزَفٌ لَكِنْ تَبَرَّجَ في ... نَضارةِ الذَّهَبِ الصَّافي أوِ الوَرِقِ

وَلَوْ عَصَرْتَ بِكَفِّ النَّقْدِ مُهْجَتَهُ ... لَما تَقاطَرَ غَيْرُ الضِّغْنِ والْمَلَقِ[2]

لا عَتْبَ إِنْ ضاقَ باعي في الْقَريضِ فَلَمْ ... يُضِئْ كما ضاءَتِ الجوْزاءُ في الأُفُقِ

فَإِنَّ إِحْساسِيَ الشِّعْرِيَّ أوشَكَ أَنْ ... يَجودَ بالنَّفَسِ الأَقْصى مِنَ الرَّمَقِ[3]

لَمْ تُبْقِ لي حادِثاتُ الدَّهْرِ مِنْهُ سِوى ... أَثارَةٍ كَبَقايا الشَّمْسِ في الشَّفَقِ[4]

صرخة المغرب[5]

يَصْرُخُ المَغْرِبُ غَيْظاً واحْتِراقا ... صَرْخَةَ النَّاهِضِ لِلْمَوْتِ اشْتياقا

لا تَلوموهُ إذا خاضَ الوَغى ... وَرَأَيْتُمْ دَمَهُ الْغَضَّ مُراقا[6]

---

(١) الفلق: ما انفلق من عمود الصبح.

(٢) الملق: اللطف الشديد، الود.

(٣) الرمق: بقية الروح، جمع أرماق.

(٤) أثارة: بقية.

(٥) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن الأول والثاني من المجلد التاسع عشر.

(٦) الوغى: الصوت والجلبة، والحرب؛ لما فيها من الصوت والجلبة. الغض: الطري، الطلعُ الناعم.

هُـوَ يَلْتَـذُّ الـرَّدى إذْ يَـسْكُبُ الـ ـضَّيْمُ فـي أَكْؤُسِـهِ مـاءً زُعاقـا[١]

أَوْفَـدَ الـشَّرْقُ رِجـالاً طَبَّقـوا أَرْضَـهُ رُشْـداً وعِلْمـاً ووِفاقـا

فَانْبَرى يَـسْمو بِجَنْبِ الـشَّرْقِ فـي هِمَـمٍ تَسْتَـشْرِفُ الـسَّبْعَ الطِّباقـا[٢]

شـادَ بالعِرْفـانِ والْعَـدْلِ عُـلاً عَقَـدَت مِـنْ أَدَبِ الـدِّينِ نِطاقـا

واقْتَنـى لِلـذَّوْدِ عَـنْ سـاحَتِها مُرْهَفاتِ البِيضِ والخَيْلَ الْعِتاقـا[٣]

وجـرى الإصـلاحُ فـي آفاقِـهِ نازِفـاً أَسْـقامَهُ حَتّـى أَفاقـا[٤]

يَحْـسَبُ الوافِـدُ بِـدْءاً أَنَّـهُ جاءَ أَرْضَ الـشَّامِ أَوْ وافى الْعِراقـا

أُمَّـةٌ أَوْدَعَـتِ التَّـاريخَ مـا بَهَـرَ الأَحْفـادَ مِـنْ فَخْـرٍ وَراقـا

وَصَـلَ الأَحْفـادُ مَجْـداً تالِـداً بِطَريفٍ فـازْدَهى المَجْـدُ اتِّساقا[٥]

راعَهَـمْ جُنْـدٌ غَريـبٌ حَـلَّ فـي أَرْضِـهِمْ يَخْتَرِطُ الْبِيضَ الرِّقاقـا[٦]

---

(١) الماء الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه.

(٢) استشرف الشيء: رفع بصره ينظر إليه، وبسط كفه فوق حاجبيه كالمستظل من الشمس. السبع الطباق: السموات السبع.

(٣) البيض: جمع الأبيض، وهو السيف. مرهفات: يقال: سيف مرهف؛ أي: محدّد مرقق الحد. العتاق: جمع العتيق: الرائع، الكريم من كل شيء.

(٤) النازف: نزف ماء البئر: أي: نزحه كله. أفاق فلان من مرضه: رجعت الصحة إليه، أو رجع إلى الصحة.

(٥) التالد: كل مال قديم. الطريف: المكتسب من المال

(٦) اخترط السيف: استله من غمده. البيض الرقاق: السيوف.

حَـسِبَ الْبَغْـيَ عَلَـيْهِمْ خَمْـرَةً فَتَعاطَـاهُ اصْـطِباحا واغْتِباقـا[١]

ذَكَـروا عَهْـدَ العُـلا والحُـرُّ مَـنْ يَـذْكُرُ الْعَهْـدَ حِفاظـاً وصَـداقا[٢]

نَهَـضوا نَهْـضَ أُسـودِ الْغَـابِ لا يَعْرِفـونَ الـدَّهْرَ لِلـذُّعْرِ مَـذاقا

ظَلَّـتِ الحَـرْبُ سِـجالاً حِقْبَـةً لَـمْ يَـنَمْ فيهـا الْفَريقـانِ فُوَاقـا[٣]

أَيُّ حَـرْبٍ وَضَـعَتْ أَوْزارَهـا أَيُّ أَمْـنٍ مَـدَّ فـي الأَرْضِ رُواقـا[٤]

بَـيْنَ أَيْـدٍ أَمْعَنَـتْ فـي عَـسْفِها وقُلـوبٍ مُلِئَـتْ مِنْـهُ حِناقـا[٥]

يَـسْفِكُ الْبـاغي دِمـاءً ذَنْبُهـا أَنَّهـا تَغْلـي إذا شَـدَّ الخِناقـا

وطَغـى فـي الأَرْضِ حَتّـى إنَّـهُ هَـمَّ بالـدِّينِ خُـسوفاً أَوْ مُحاقـا

يَنْصِبُ الأَشْراكَ كَـيْ يَـصْرِفَ عَـنْ حِكْمَـةِ اللهِ قُلوبـاً وحِـداقا

لاذَ بـالتَّجْنيسِ والقَـوْمُ أَبَـوْا خَوْفَ أَنْ يَصْلَوا بِهِ النَّارَ الحِراقـا[٦]

---

(١) الاصطباح: الشرب بالصباح. الاغتباق: الشرب بالعشي.

(٢) الصداق: إخلاص المودة والنصيحة.

(٣) حرب سجال: أي: سَجْلٌ منها على هؤلاء، وآخر على هؤلاء، يعني: أنها مرة لهم، ومرة عليهم. الحقبة: مدة لا وقت لها. الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأن الناقة تحلب، ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر، ثم تُحلب.

(٤) الأوزار: جمع الوزر: الحمل الثقيل. الرواق: بيت، وقيل: سقف في مقدم البيت.

(٥) العسف: الظلم. الحناق: جمع الحنق، وهو الغيظ، وشدة الاغتياظ.

(٦) التجنيس: فتح باب التجنيس بالجنسية الفرنسية. الحراق: التي لا تبقي شيئاً.

وبَنُــو المَغْــرِبِ عُــرْبٌ شِــيَماً ... ولِــساناً، لا ادِّعــاءً وَاخْتِلاقــا
شــادَ دونَ الــشرقِ سَــدّاً فغــدا ... وَصْــلُ مــا بَــيْنَ الــشَّقيقَيْنِ افْتِراقــا
يَلْــذَعُ الأَكْبــادَ بــالمُرِّ وقــدْ ... يَلْمِــسُ الآذانَ بــالحُلوِ نِفاقــا
أُمَّــةٌ أَعْهَــدُها تَحْنــو علــى ... ســانِحِ الآراءِ تَبْغيــهِ عِتاقــا[١]
فاسْــأَلوا أَقْلامَهــا مــا خَطْبُهــا ... تَتَمَــشَّى فــي القَــراطيسِ رِقاقــا[٢]
أَيُّهــا الــدَّائِبُ فــي تَثْبيطِهــا ... وشُــعوبٌ دونَهــا حــازوا الــسِّباقا
قَــوِّضِ الــسَّدَّ الَّــذي شَــيَّدْتَهُ ... قَبْــلَ أَنْ يَجْتابَــهُ الْقَــوْمُ اخْتِراقــا[٣]
خُــذْ إلــى صَــدْرِكَ كَفَّيْــكَ وَدَعْ ... خَيْلَهــا تَعْـدو إلـى المَجْـدِ انْطِلاقـا
وقُــلِ الْفَــصْلَ إذا حــدَّثْتَها ... فَالرِّيــاءُ الْيَــوْمَ لا يَلْقــى نَفاقــا[٤]
أَنْــتَ تَبْغيهــا خُمــولاً وإذا ... أَهَّبَتْ للـصِّيت ضـاعَفَتِ الوِثاقـا[٥]
مَــنْ عَــذولي إنْ أَنــا مَجَّــدتُها ... يَــوْمَ تَجْتــاحُ قُيــوداً ورِباقــا[٦]

عدو الملق

جِيــرَةٌ كــاتَمْتُهُم وُدِّي ومــا ... كَــتْمُ وُدِّي قَــبْلَهُمْ مِــنْ خُلُقــي[٧]

---

(١) العتاق: يقال: عتق العبد عتاقاً؛ أي: خرج عن الرق.

(٢) القراطيس: جمع القرطاس: الصحيفة. الرقاق: جمع الرقيق، وهو المملوك.

(٣) اجتاب: خرق.

(٤) الفصل: الحق من القول. النفاق. : نافق الشخص: أظهر خلاف ما يبطن

(٥) أهّبتْ للأمر: استعدت له. الصيت: الذكر الحسن.

(٦) العذول: الكثير الملامة. الرباق: جمع الرِّبق: حبل فيه عدة عرى تشد به البهم.

(٧) الجيرة: جمع الجار. كاتم الودَّ: كتمه.

إنَّمـا بـاحَ بـهِ جَفْـنٌ جَـرى ساعَةَ الْبَـيْنِ بِـدَمْعٍ غَـدَقِ[1]

مَـنْ عَـذيري إنْ أَنـا وَدَّعْـتُهُمْ بِمَـآقٍ كالْجَهـامِ المُمْلِـقِ[2]

وانْثَنَـوْا بَعْـدَ النَّـوى يُغْـرِيهِمُ بِاللِّقـا أَنِّـي عَـدُوُّ الْمَلَـقِ[3]

فَجَلَـتْ طَلْعَـتُهُمْ مـا خَلَّفُـوا مِـنْ تَبـاريحِ الأَسـى والأَرَقِ[4]

مِثْلَمـا تَجْلـو بُـدورٌ ظُلْمَـةً ضَـرَبَ اللَّيْـلُ بهـا فـي الأُفُـقِ

عند ينبوع زغوان

«زغوان: جبل قريب من مدينة تونس به عين دافقة، يجري ماؤها في أنابيب تحت الأرض إلى المدينة، وحول هذه العين قرية تسمى «زغوان»، وكان الشاعر قد زارها سنة ١٣٣١هـ، وصعد أعلى الجبل الذي يتفجر منه الماء، وهناك نظم هذين البيتين».

رَوَيْنـا عَـنِ الْمـاءِ الْمَعـينِ بِتُـونُسٍ أَحاديثَ عَـنْ يَنْبـوعِ زَغْـوانَ رائِقَـه

وخـالَجَني رَيْـبٌ إلـى أَنْ عَرَضْـتُها على السَّنَدِ الْعالي فَكانَـتْ مُطابِقَـه[5]

---

(١) البين: الفرقة. الغدق: الماء الكثير.

(٢) الجَهام: السحاب لا ماء فيه. المملق: الفقير.

(٣) الملق: اللطف الشديد.

(٤) الطلعة: الرؤية، أو الوجه. التباريح: كلف المعيشة في مشقة.

(٥) السند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، وفي هذا البيت تورية بالسند في الحديث، وهو طريق المتن، أو هو رواة الحديث، والعالي منه ما قلّت رجاله.

يا قطار

«قيلت عند مسير القطار بعد وداع الأهل بدمشق مسافراً إلى الآستانة سنة ١٣٣٤هـ».

أُرَدِّدُ أَنْفاساً كَذاتِ الوَقودِ إِذْ ... رَمَتْني مِنَ الْبَيْنِ المُشِتِّ رَواشِقُ[1]

وما أَنْتَ مِثْلي يا قِطارُ وإنْ نَأَى ... بِكَ السَّيْرُ تَغْشى بَلْدَةً وتُفارِقُ

فما لَكَ تُلْقي زَفْرَةً بَعْدَ زَفْرَةٍ ... وَشَمْلُكَ إذْ تَطْوي الفَلا مُتَناسِقُ

❐ ❐ ❐

(١) الرواشق: يقال: رشقه بالنبل وغيره: رماه به.



قافية الكاف

الخلافة والانقلاب التركي

«قالها بمناسبة إلغاء كمال أتاتورك[١] للخلافة الإسلامية، وإعلانه أن الحكومة لادينية سنة ١٩٢٢م».

ما خَطْبُ قَـوْمٍ ـ طالَمـا وَصَـلوكِ	واعْتَزَّ باسْمِكِ عَرْشُهُمْ ـ هَجَـروكِ[٢]
حَرَسـوكِ أَحْقابـاً وحَلَّـقَ صِـيتُهُمْ	فـي الخـافِقَيْنِ لأَنَّهُـمْ حَرَسـوكِ[٣]
كُنْتِ الوَقـارَ علـى وُجـوهِ غُـزاتِهِمْ	والأَمْـنَ إنْ نَظَـروا بِعَـيْنِ ضَـحوكِ
كُنْـتِ الْبُطولَـةَ تَـزْدَري نـارَ الـوَغى	والنَّـصْرَ يُعْقَـدُ بالْقَنـا المَـشْبوكِ[٤]
مـا زِلْـتِ سِـمْطَ قِـلادَةٍ خَرَزاتُهـا	أُمَــمٌ بِــأَغْلى فِدْيَــةٍ تَفْـديكِ[٥]

(١) مصطفى كمال (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م) مؤسس الجمهورية التركية، وأول رئيس لها عام ١٩٢٣م، لقب بـ «أتاتورك» أي: أبو الأتراك.

(٢) الخطب: الشأن والأمر، صغُر أو عظُم.

(٣) الأحقاب: جمع الحُقْب: ثمانون سنة، ويقال أكثر من ذلك، والدهر، والسنة. الخافقان: المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.

(٤) تزدري: تحتقر وتستخف. المشبوك: يقال شبك الشيء: أنشب بعضه في بعض وأدخله. ويقصد الشاعر هنا: اشتباك بعضها ببعض؛ لكثرتها.

(٥) السمط: الخيط الذي ينظم فيه الخرز واللؤلؤ.

تَـصْبو إلـى دُسْـتورِكِ الأَحْـرارُ إذْ	يَضَعُ المَليـكَ بِجانِـبِ المَمْلـوكِ[١]

وَزَنَ الحُقـوقَ فَمـا الثَّـرِيُّ بِـراجِحٍ	فـي حُكْمِـهِ يَوْمـاً علـى الـصُّعْلوكِ

حتّـى تَحَكَّـمَ فيـهِ رَهْـطٌ بَـدَّلوا	خَبَثَ الحَديـدِ بِعَـسْجَدٍ مَـسْبوكِ[٢]

نَزَعـاتُ وَسْـواسٍ تَخَـبَّطَهُمْ فَمـا	لَبِـثوا أَنِ اغْتَـرُّوا بِـوَحْيِ أَفُـوكِ[٣]

حـازوا مَناصِـبَ أَفْرَغـوا سُـلْطانَها	فيما يَميـدُ بِـصَرْحِكِ الْمَـسْموكِ[٤]

نَكَثـوا بِمـا نَقَـضوهُ مِـنْ لَبِـناتِهِ	عَهْدَ الرَّسـولِ وأَغْـضَبوا أَهْليـكِ[٥]

هذا النُّـشوزُ علـى الـشَّريعَةِ مُـؤْذِنٌ	بِغُروبِ شَمْسِكِ بَعْدَ طولِ سُـمُوكِ[٦]

هـاجَ الـشِّقاقُ وَفَـتَّ فـي غُلَوائِـهِ	عَضُدَ اتِّحـادِ شُـعوبِكِ المَنْهـوكِ[٧]

أَوْرى الزِّنـادَ كمـا يُقـالُ عِـصابَةٌ	في الْغَرْبِ خَلْفَ سِتارِها الْمَهْتـوكِ

زادَ اللَّظـى حَطَبـاً هَـوى قَوْمِيَّـةٍ	غَشِيَ الْقُلوبَ بِرَجْفَـةِ المَوْعـوكِ[٨]

---

(١) الدستور: يريد به: الشريعة الإسلامية الغراء.

(٢) الرهط: قوم الرجل وقبيلته. خبث الحديد: ما نفاه الكير.

(٣) الوسواس: الشيطان. أفوك: كاذب، ويعني به الشيطان.

(٤) يميد: يتحرك. المسموك: الطويل والمرفوع.

(٥) نكثوا: نقضوا ونبذوا.

(٦) النشوز: يقال: نشزت المرأة: استعصت على بعلها وأبغضته. سموك: ارتفاع.

(٧) فت عضده: كسر قوته، وفرّق عنه أعوانه. المنهوك: المصاب بالمرض والضنى.

(٨) القومية: أن ينتمي كل فريق من المسلمين إلى بلده وإقليمه وصنفه، وينسى لحمة الدين، وقد كان هذا سبب ضعف المسلمين وذهاب ريحهم.

عبَرَ الخُصومُ «الـدَّرْدَنيلَ» بُعَيْـدَ مـا كُسِيَتْ شَواطئُ بِالدَّمِ المَسفوكِ[١]

هَبَطوا فَـرُوقَ وقَـصْرُ يَلْـدِزَ مُطْـرِقٌ وقِلاعُهـا بِـصُماتِها تَرْثيـكِ[٢]

لَـوْلا اخْـتِلافُ مَطـامعٍ لَـمْ يُقْلِعـوا مِنْهـا ولَـوْ فُـدِيَتْ بِكُـلِّ نَـسيكِ[٣]

وَلَـسُرْعَ مـا نَهَـضَتْ بِـرَهْطٍ عَزْمَـةٌ بارَتْ بِسَهْمٍ في الخِطـارِ وَشـيكِ[٤]

هِـيَ عَزْمَـةٌ قَوْمِيَّـةٌ لَكِنَّهـا مَلْفوفَـةٌ بِردائِـكِ المَنْـسوكِ[٥]

نـادَوا «بِـأَنْقَرَةَ» النَّفيـر وأَثْخَنـوا في جُنْدِ مَنْ دَخَلوا بِـزِيِّ شَـريكِ[٦]

زَحَفـوا ولا أَدْري سَـريرَةَ قائـدٍ فَـذَكَرْتُ جُنْـدَ اللهِ فـي اليَرْمـوكِ[٧]

رَحَـلَ الطُّغـاةُ وحَـلَّ إِسْـتَنْبولَ مَـنْ صَـدَحَتْ لَـهُ الأَقْـلامُ بِالتَّبْريـكِ[٨]

قـالوا: تَنَقَّـذَها بِفَـضْلِ شَـهامَةٍ مِنْ بَعْدِ ما أَشْـفَتْ علـى تُهْلـوكِ[٩]

---

(١) الدردنيل: مضيق يقع بين شبه جزيرتي البلقان وآسيا الصغرى، ويصل بحر إيجة ببحر مرمرة.

(٢) فروق: إستنبول: عاصمة تركيا في عهد السلاطين العثمانيين حتى عام ١٩٢٣م. يلدز: قصر السلاطين والخلفاء في إستنبول حيث كانوا يقيمون. الصمات: السكوت.

(٣) النسيك: الذهب والفضة.

(٤) بارت: هلكت. الخطار: جمع الخطر: الإشراف على هلكة. وشيك: قريب وسريع.

(٥) المنسوك: الطاهر.

(٦) أنقرة: عاصمة تركيا. الجند: ويقصد بهم اليونان والإيطاليين.

(٧) القائد: يعني: كمال أتاتورك، وما كان يضمره من إلغاء الخلافة وجعل الحكومة لادينية.

(٨) التبريك: الدعاء بالبركة.

(٩) أشفت: أشرفت. التهلوك: الهلاك.

نـاطوا بـهِ أَمَـلَ النُّهـوضِ بِدَولَـةٍ رَمَـتِ الثَّرى بِجَناحِها المَفْكـوكِ

نَهَضَ الزَّعيمُ وما رَعـى عَهْـدَ الَّتـي لَوْلا اسْمُها ما صالَ صَوْلَ مُلـوكِ[1]

بَـرِحَ الخَفـاءُ وَحـادَ وهُـو مُظفَّـرٌ نَـشْوانُ عَـنْ مِنْهاجِها المَسْلوكِ[2]

عَـذَروهُ إذْ أَقْـصى الخِلافَـةَ جانِبـاً وَمَحا اسْمَها لِيُزيلَ غَيْنَ شُـكوكِ[3]

ما بالُ قِسْطاسِ الشَّريعَةِ ضاعَ فـي أُفُـقِ الـسِّياسَةِ ضَيْعَةَ المَتْـروكِ؟!

والقَوْمُ قَـوْمُ «مُحَمَّـدٍ» إنْ زُحْزِحـوا عَنْ هَدْيِهِ اقْتَحَموا شِعابَ النُّـوكِ[4]

وهُــداهُ حِـصْنٌ لا أَرِيكَـةُ مُتْـرَفٍ وزَئيـرُ لَيْـثٍ لا صِـيَاحُ دُيُـوكِ[5]

على ضريح صلاح الدين[6]

«قالها بمناسبة زيارته لضريح المجاهد العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبي[7] في دمشق سنة ١٣٦٣هـ».

لَـوْ لَـمْ تُبَلِّغْـكَ الحَيـاةُ مُناكـا لَكَفـاكَ أَنَّـكَ قَـدْ قَهَـرْتَ عِـداكا

---

(١) يريد بذلك: الشريعة الإسلامية.

(٢) برح الخفاء: وضح الأمر، وزالت خفيته.

(٣) الغين: الغيم.

(٤) الشعاب: جمع الشِعب: الطريق في الجبل. النوك: جمع الأنوك: الأحمق وقيل العاجز الجاهل.

(٥) الأريكة: سرير منجد مزين في قبة أو بيت.

(٦) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن الخامس والسادس من المجلد التاسع عشر.

(٧) يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر (٥٣٢ ـ ٥٨٩هـ)، ولد بتكريت، وتوفي بدمشق، من أشهر ملوك الإسلام، وصاحب الفتوحات الخالدة، وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته.

لَـكَ سِـيرةٌ كـادَتْ تُمَثِّـلُ للنُّهـى ... بَـشَراً يُنـافِسُ فـي الْعُـلا أَمْلاكـا[١]

وَمَفاخِرٌ يَوْمَ اسْـتغاثَ الـشَّرْقُ مِـنْ ... خَطَـرٍ أَلَـمَّ ولَـمْ يُجِـرْهُ سِـواكا

صَرَخوا النَّفيرَ وأَطْمَعوا أَحْـشادهُمْ ... في ثَلِّ عَرْشِـكَ واقْتِحـامِ حِماكـا[٢]

حَمَلـوا الـصَّوارِمَ والْقَنـا بِحَماسَـةٍ ... وأَتَـوْا مَيـادينَ الْقِتـالِ وشِـاكا[٣]

قُلْتُ «الجِهادَ» فَماجَ حَـوْلَ لِوائِـكَ ... الـسَّامي فَيـالِقُ لا تَهـابُ عِراكـا[٤]

وَلَقيــتَهُمْ بِعَزيمــةٍ لا تَنْثَنــي ... والـرَّأْيُ نِبْـراسٌ يَـؤمُّ خُطاكـا[٥]

وإذا البُطولَــةُ عُــزِّزَتْ بِدرايَــةٍ ... كانَـتْ لإنْقـاذِ الـشُّعوبِ مِلاكـا[٦]

عــادوا بِخَيْبَــةِ آمِـلٍ وتَمـلّأَتْ ... مِنْ مُجْتَنى النَّـصْرِ المُبـينِ يَـداكا[٧]

عادوا وَلَـمْ يُخْلِـدْ بِهِـمْ وَهْـنٌ إِلـى ... يَـأْسٍ وظَلُّـوا يَفْتِلـونَ شِـباكا[٨]

حَتَّـى إذا أَخَـذَ الْكَـرى بِجُفُونِنـا ... زَحَفـوا ومـا لاقَـوا قَنـاً كَقَناكـا[٩]

---

(١) النهى: العقل. الأملاك: جمع المَلْك: صاحب المُلْك.

(٢) النفير: القوم ينفرون للقتال. الأحشاد: جمه الحشد: الجماعة يحتشدون. ثل: هدم.

(٣) الصوارم: جمع الصارم: السيف القاطع. القنا: الرماح. وشاك: جمع وشيك: القريب والسريع.

(٤) ماج: اختلط. الفيالق: جمع الفيلق: الجيش العظيم.

(٥) النبراس: المصباح.

(٦) المِلاك: قوام الأمر الذي يملك به.

(٧) تملأت: امتلأت. المجتنى: ما يجنى من الشجر.

(٨) يفتلون شباكاً: أي: ينصبون المكائد.

(٩) الكرى: النعاس.

أَوَ ما سَمِعْتَ رَطانَةَ الإفْرَنْجِ مِنْ ... حَوْلِ الضَّريحِ تَخوضُ في ذِكْراكا[١]

وكَأَنَّني بِكَ قَدْ هَمَمْتَ بِوَثْبَةِ الْـ ... أَسَدِ الهَصورِ لَوِ اسْتَطَعْتَ حَراكا

جاسُوا المَدائِنَ والقِفارَ وَأَرْصَدوا ... فـي كُـلِّ وادٍ غاشِماً فَتّاكا[٢]

يا لَيْتَني أَدْري وَمِثْلُكَ يُقْتَدى ... بِمثالِهِ بَيْنَ الوَرى ويُحاكى

أَيُتاحُ للشَّرْقِ المُعَذَّبِ ذائِدٌ ... يَرْمي ويَبْلُغُ في النِّضالِ مَداكا؟

السّواك

«قالها بمناسبة مذاكرة أدبية انجرّ فيها قول مهيار: يغتدي مسواكها ريحانة بعد السواك».

بَدا الثَّغْرُ النَّضيدُ وقَدْ حَنَوْتِ ... بَناناً كاللُّجَيْنِ عَلى سِواكِ[٣]

وَلَوْ نَدّاهُ رِيقُكِ وَهْوَ شَهْدٌ ... وَلاقى ثَغْرَ مَخْلوقٍ سِواكِ

لَقالَ على البَديهَةِ: هَلْ سَمِعْتُمْ ... خَلايا الشَّهْدِ تُدْعى بالأَراكِ[٤]

ثلج في السّحر

«قيلت في برلين سنة ١٣٣٧هـ».

تَطاوَلَ هذا اللَّيْلُ والجَوُّ مُزْبِدٌ ... تَضيقُ بِأَمواجِ الثُّلوجِ مَسالِكُهْ[٥]

---

(١) الرطانة: الكلام بالأعجمية.

(٢) المدائن: جمع المدينة. أرصدوا الرقيب: نصبوه في الطريق.

(٣) النضيد: يقال: نضد المتاع: جعل بعضه فوق بعض، ومعنى الثغر النضيد: أي: تنضدت الأسنان فيه من الحسن. البنان: الأصابع أو أطرافها. اللجين: الفضة.

(٤) الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. الأراك: شجرمن الحَمْض يستاك بقضبانه، الواحدة أراكة.

(٥) مزبد: قاذف بالزبد.

كأَنّي أُذيبُ الصُّبحَ بالحَدَقِ الَّتي ... يُقلِّبُها وَجْدي وتِلْكَ سَبائِكُهْ

طباب الشّرق

يَدُ المُحْتَلِّ تُسْعِدُنا عَلى أَنْ ... نَروضَ الفِكْرَ بالسَّهَرِ الدِّراكِ(١)

وَنوقِظَ لِلْعَظائِمِ رُمْحَ عَمْرٍو ... إذا أَزْرى بِنا رُمْحُ السِّماكِ(٢)

يُثيرُ بِبَغْيِهِ في كُلِّ يَوْمٍ ... حَفائِظَ مُضهَدٍ وصُراخَ شاكي(٣)

يَقولُ: أُجيرُ قَوْمَكَ مِنْ هَلاكٍ ... وَرَفْعُ لِوائِهِ عَيْنُ الهَلاكِ

يُوارِبُ إِذْ يُعاهِدُنا مُسِرّاً ... مَآرِبَ في دَهاءٍ واحْتِباكِ(٤)

عُهودٌ إنْ تَوَسَّمَها أَريبٌ ... رأَى الْغِرْبانَ تَنْعَبُ في صِكاكِ(٥)

فما لِلشَّرْقِ يَرْسُفُ في وَثاقٍ ... وهذا الْغَرْبُ يَمْرَحُ في فِكاكِ(٦)

---

(١) الدراك: المتلاحق والمتصل.

(٢) رمح عمرو: نسبة إلى عمرو بن معدي كرب بن ربيعة (. . . ـ ٢١هـ) فارس اليمن، وصاحب الغارات، يضرب المثل برمحه وسيفه، وفد على المدينة سنة ٩هـ، وأسلم، شهد اليرموك والقادسية، وأخبار شجاعته كثيرة، وله شعر جيد. أزرى: عاب. رمح السماك: في السماء سماكان: السماك الرامح، وهو نجم يقدمه نجم مستطيل الشعاع يقولون: هو رمحه، والسماك الأعزل، سمي كذلك؛ لأنه لا سلاح معه كما كان مَع الرامح.

(٣) الحفائظ: جمع الحفيظة: الحمية والغضب. المضهد: المقهور.

(٤) يوارب: يداهي ويخاتل. الاحتباك: إحكام الأمر وإتقانه.

(٥) توسم الشيء: تخيله وتفرسه. نعب الغراب: صاح. الصكاك: جمع الصَّك: الكتاب.

(٦) يرسف: يمشي مشي المقيد. الوثاق: ما يشد به من حبل ونحوه.

هُمـا شَـطْرانِ فـي بَيْـتٍ، وبُعْـداً ... لِـشِعْرٍ غَيْـرِ مُلْتَـئِمِ الحِيَـاكِ[١]

طِبابُ الـشَّرقِ فـي خَطَـراتِ شَـهْمٍ ... وجَمْرِ حَماسَةٍ في القَلْـبِ ذاكـي[٢]

ليتني ما عرفتك

«قيلت بعد وداع إحدى مربيات منزله بتونس قاصداً الشرق سنة ١٣٣١هـ».

جـارَتي مُنْـذُ ضَـحْوَةِ الْعُمْـرِ عُـذراً ... لأَخـي خَطْـرَةٍ نـأَى عَنْـهُ بَيْتُـكْ[٣]

قـالَ يَـوْمَ الـوَداعِ وَهـو يُعـاني ... سَكْرَةَ الْبَيْنِ: لَيْتَنـي مـا عَرَفْتُـكْ[٤]

رثاء

«نظم الشاعر هذه الأبيات في رثاء زوجته السيدة زينب التي توفيت بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ، وكانت بارة صالحة».

أَعاذِلُ غُضَّ الطَّرْفِ عَنْ جَفْنِيَ الْباكي ... فَخَطْبٌ رَمى الأكبادَ مِنِّـي بأَشْـواكِ[٥]

ولـي جـارَةٌ أَوْدى بِهـا سَـقَمٌ إلـى ... نَوًى دون مَنْآها المُحيطِ بِـأَفْلاكِ[٦]

أَيا جارَتا عَهْـدُ اللِّقـاءِ قَـدِ انْقَـضى ... وصَـمْتُكِ إذْ أَدعـوكِ آخِـرُ مَلْقـاكِ

أَجـارةُ هـذا طـائرُ المَـوتِ حـائِمٌ ... لِيَذْهَبَ مِنْ زَهْرِ الحَياةِ بِمَجْنـاكِ[٧]

---

(١) الحياك: النسيج.

(٢) الطِّباب: ما يُطبُّ به. ذاكي: متقد.

(٣) الضحوة: ارتفاع النهار، ويقصد الشاعر: مطلع شبابه.

(٤) سكرة البين: شدة الفراق وهمه.

(٥) العاذل: اللائم.

(٦) الجارة: ويعني بها: زوجته. النوى: البعد.

(٧) طائر الموت: أي: الموت. حائم حول الشيء: دائر به.

وكَيفَ يَرومُ الـصَّحْبُ مِنِّي تَـصَبُّراً ... ومَركَبَـةٌ حَـدْباءُ أَرْسَـتْ بِميناكِ[١]

وكنْـتُ أُلاقـي كُلَّمـا جِئْـتُ مُؤنِـساً ... فَمالي أُلاقـي اليَـوْمَ صَـيْحةَ مَنْعـاكِ

حَنانَيْكِ هَـلْ سـاءَتْكِ مِنِّي خَليقَـةٌ ... فَـأَنْكَرْتِ دُنيانـا وآثَـرْتِ أُخْـراكِ[٢]

وكُنْتُ أُعَزِّي النَّفْسَ مِـنْ قَبْـلُ أنَّنـي ... أَفـوتُ قَريـرَ المُقْلَتَـيْنِ بِمَحْيـاكِ[٣]

ولَـمْ أَدرِ مـا طَعْـمُ المَنـونِ فَذُقْتُـهُ ... مَساءَ لَفَظتِ الرُّوحَ والعَـيْنُ تَرْعـاكِ

هَوى بِكِ بَـيْنٌ لَـسْتُ أَرْجـو وَراءَهُ ... زَمانـاً يَجـودُ الـدَّهرُ فيـهِ بِمَـرْآكِ

فَهَيْهاتَ أنْ أَنْساكِ ما عِشْتُ والأَسَـى ... يَموجُ بِقَلْبي ما جَرَتْ فيهِ ذِكْـراكِ[٤]

وهَيْهاتَ لا أَنْسى مَواطنَ كُنْتِ لـي ... مُـسَلِّيَةً لا أُنْـسَ إلاَّ بِمَغنـاكِ[٥]

ولَـوْلاكِ لَـمْ أَقْـضِ اليَراعـةَ حَقَّهـا ... كَأَنَّ نَسيبجَ الْفِكْـرِ حِيـكَ بِيُمْنـاكِ[٦]

لَقَدْ صُنْتِ في الحالَيْنِ عَهْـداً فَـلا أرى ... لَدى عُـسْرَةٍ إلاَّ انْطـلاقَ مُحَيَّـاكِ[٧]

وأَنْتِ الَّتي حَبَّبْتِ لي الْعَيْشَ بَعْـدَما ... سَئِمْتُ فَطيبُ العَيْشِ بَعْضُ مَزْايـاكِ

وإنْ سـامَني يَـوْمٌ شَـكاةً تَـدَفَّقَتْ ... دُموعُكِ مِنْ جَفْنٍ يُخالُ هُوَ الـشَّاكي[٨]

---

(١) المركبة الحدباء: النعش.

(٢) حنانيك: تحن عليَّ مرة بعد أخرى. الخليقة: الطبيعة. آثرت: فضَّلت.

(٣) قرير المقلتين: من السرور. المحيا: الحياة.

(٤) هيهات: اسم فعل بمعنى بَعُدَ.

(٥) مسلية: يقال سلّى فلاناً عن همه: كشفه عنه، وجعله يسلوه. المغنى: المنزل.

(٦) قضى الشيء: صنعه بإحكام. اليراعة: القصبة، ويقصد بها القلم.

(٧) في الحالين: أي: اليسر والعسر.

(٨) الشكاة: المرض.

3376

يُجافي الْكَرى عَيْني إذا مَسَّكِ الضَّنى وَيَرْتاحُ ما بَيْنَ الحَنايا لِمَنْجاكِ[١]

تَمُرُّ بِنا الأَيّامُ مَوْصولَةَ الْمُنى فَما ضَرَّنا أَلاَّ نَكونَ كَأَمْلاكِ

لَياليكِ أَيّامٌ بِمَنْزِلَةِ اللِّوى وَمَطْلَعُ أَقْمارِ السَّماءِ بِمَأْواكِ[٢]

أَجارةُ لَوْ شاهَدْتِ كَيْفَ وَقَفْتُ في مَزارِكِ لكِنْ ما ظَفِرْتُ بِنَجْواكِ[٣]

إذاً لَرَأَيْتِ الحُزْنَ يَصْلَى بِنارِهِ حَشاً وكَأَنَّ الحُزْنَ شُدَّ بِأَسْلاكِ[٤]

وعُدْتُ إلى البَيْتِ الكَئيبِ كَأَنَّني خُلِقْتُ فَريداً لَسْتُ أَعْرِفُ إلاَّكِ

أَغَصُّ بِشَجْوٍ كُلَّما مَرَّ مَوْضِعٌ حَلَلْتِ بِهِ، والنَّفْسُ مِرْآةُ سيماكِ[٥]

ويَبْعَثُ أَشْجاني هَديرُ حَمامَةٍ تَنوحُ كَأَنَّ الطَّيرَ في الجَوِّ تَنْعاكِ

أَجولُ بِفِكْري أَبْتَغي لِيَ قُرْبَةً أَمُتُّ بِها عِنْدَ الدُّعاءِ بِرُحْماكِ

تَجَرَّعْتُ مُرَّ الصَّبْرِ عَلِّي أَراهُ في حِسابي، وعُقْبايَ السَّليمَةُ عُقْباكِ[٦]

فَطوبى لَكِ القُرْبى لَدى اللهِ مِنَّةٌ ونُزْلٌ كَريمٌ في مَنازِلِ نُسَّاكِ[٧]

❐ ❐ ❐

---

(١) الكرى: النعاس. الضّنى: المرض والهزال، سوء الحال.

(٢) اللوى: اللواء. المأوى: كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً أو نهاراً.

(٣) المزار: موضع الزيارة، ويقصد الشاعر: المقبرة. النجوى: السرّ.

(٤) يصلى: يشوي.

(٥) الشجو: الهم والحزن.

(٦) العقبى: جزاء الأمور.

(٧) الطوبى: الغبطة والسعادة والحسنى. المنة: الإحسان، المعروف.



قافية اللام

صقر قريش[1]

خَـلِّ نفْـسَ الحُـرِّ تَـصْلَى النُّوَبـا   لا تُبـــالي[2]

لَيْـــسَتِ الأَخْطـــارُ إلاَّ سَـــبَباً   لِلْمَعـــالي[3]

* * *

يــا مُكِبّـاً بَــيْنَ ظَبــيٍ أَدْعَجَـا   وَمَهـــاةِ[4]

إنَّمــا الهِمَّــةُ فــي حِجْـرِ الحِجـا   كالنَّبـــاتِ[5]

أَفَــلا تَــذْبُلُ إِذْ تَقْـضي الـدُّجى   فــي سُــباتِ

فَــإذا بِــتَّ تُجــاري الكَوْكَبــا   فــي مَجــالِ

---

(١) نشرت هذه القصيدة في مجلة «البدر» التونسية، الجزء الثالث من المجلد الثالث، كما نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» الجزء السابع من المجلد الثامن.

(٢) النوّب: جمع النوبة: النازلة والمصيبة.

(٣) السبب: ما يتوّصل به إلى غيره.

(٤) الظبي: الغزال للذكر والأنثى. أدعج: شدة سواد وبياض العين. المهاة: البقرة الوحشية.

(٥) الحِجْر: الحضن. الحِجا: العقل والفطنة.

كُنْتَ كالـضِّرْغامِ يَمْـشي الهَيْـدَبى	لِلنِّـــــزالِ[١]

* * *

مــا لهــذي الــسَّمْهَرِيّاتِ فَخــارْ	فـي الحِـرابْ[٢]
غَيْـرُ عَـزْمٍ هَـزَّهُ حـامي الـذِّمارْ	بالتِهـــابْ[٣]
أَتَــرى الــرّامِحَ ذا قَلْــبٍ يَغــارْ	فَيُهـــابْ[٤]
جَـرَّ فـي الآفـاقِ رُمْحـاً سَـلْهَبا	باخْتِيـــالِ[٥]
وهُـوَ كـالأَعْزَلِ لا يَلْقـى الظُّبـا	والعَـــوالي

* * *

رُبَّ كِـــنٍّ لا نُـــسَمِّيهِ عَرينـــا	فــي البَيــانِ[٦]
والَّـذي يَحْميــهِ لا يَلْـوي جَبينـا	عَــنْ طِعــانِ
يَحْطِـمُ الطّـاغِيَ لا يُبْقـي مَهينـا	فـــي هَـــوانِ
وهِزَبْــرُ الْغــابِ يَعْــدو خَبَبــا	فـي الـدِّغالِ[٧]

---

(١) الضرغام: الأسد. الهيدبى: نوع من أنواع المشي لدى الخيل فيه جد.

(٢) السمهريات: جمع السمهريّ: الرمح الصلب. الحراب: جمع الحربة: وهي آلة دون الرمح.

(٣) الذمار: ما يلزمك حمايته والذود عنه.

(٤) الرامح: نجم.

(٥) السلهب: الطويل.

(٦) الكِنُّ: البيت، ويجمع على أكنان وأكنة. العرين: مأوى الأسد.

(٧) الهزبر: الأسد. الخبب: مراوحة الفرس بين يديه ورجليه، وقيل: السرعة. =

عَـضَّهُ الجُـوعُ فَمـدَّ المِخْلَبـا لاغْتيـالِ

* * *

عاشِـقَ العَلْيـاءِ خُـضْ فـي لُجَـجِ مِـنْ رِمـاحْ
وتَرَشَّـفْ مِـنْ عَـصيرِ المُهَـجِ لا جُنـاحْ[1]
يَـضْحَكُ المُلْـكُ بِثَغْـرٍ بَهِـجِ كالـصَّباحْ
إنْ نَكـى الخَـصْمُ فَمـاجوا هَرَبـا كالثَّعـالي[2]
وابْتِغـاءُ الـسِّلْمِ مِـنْ بـاني الزُّبـى كالمُحـالِ[3]

* * *

خـاطِرُ الْيَـأْسِ لَـدى بـاغي الْعُـلا غَيْـرُ سـائِغْ
إنْ تَـوَخَّى عَبْقَـرِيٌّ أَمَـلا فَهْـوَ بـالِغْ
وحَيـاةُ الـصَّقْرِ سـارَتْ مَـثَلا لِلنَّوابِـغْ[4]

= الدغال: جمع الدغل: الشجر الكثير الملتف.

(١) الجُناح: الإثم.

(٢) نكى: قهر بالقتل والجرح. الثعالي: جمع ثعالة: أنثى الثعلب.

(٣) الزّبى: جمع الزبية: الرابية لا يعلوها ماء.

(٤) الصقر: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (١١٣ ـ ١٧٢هـ) الملقب بصقر قريش، ويعرف بالداخل، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، ولد في دمشق، وتربى في خلافة أعمامه حتى سنة ١٣٢هـ، عندما سقطت خلافة الأمويين على أيدي العباسيين، فقصد أفريقيا، وبلغ به علو الهمة إلى إنشاء ملك جديد لبني أمية في الأندلس. ولقبه أبو جعفر المنصور بلقب «صقر قريش»، ولقب بالداخل؛ =

إذْ بَـدا فـي «ديّـرِ حَنّـا» وشَـبا　　كـالهِلالِ[1]

ولَيـالي الـشَّامِ فـي عَهْـدِ الـصِّبا　　كـاللآلي

* * *

ذاقَ في الخامِسِ مِـنْ صَـدْرِ سِـنيهْ　　مَضَـضا[2]

والـرَّدى سَـيْفٌ بِكَـفٍّ لا تَتيـه　　يُنْتَـضى[3]

أَرْهَـفَ الحَـدَّ وأَوْدى بأَبيـه　　حَرَضـا[4]

هَـلْ ذَوَتْ زَهْرَتُـهُ حتـى هَبـا　　فـي كَـلالِ[5]

إنَّ فـي نَفْـسٍ تَـسامَتْ حَـسَبا　　خَيْـرُ والِ

* * *

أَبْـصَرَ الجَـدُّ بِـهِ روحَ الهُمـامْ　　بادِيـا[6]

= لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين، وكان حازماً شجاعاً شاعراً عالماً. وتوفي بقرطبة ودفن في قصرها.

(١) دير حنا: حيث ولد صقر قريش بالشام. شبا: علا؛ أي: نما وترعرع.

(٢) المضض: وجع المصيبة.

(٣) الردى: الهلاك. لاتتيه: لا تضل عن الطريق.

(٤) أرهف السيف: رققه، فهو مرهف. الحرض: يقال: حرض: كان مضنى مرضاً وسقماً.

(٥) هبا: مات. الكلال: التعب والإعياء.

(٦) الجدُّ: هشام بن عبد الملك (٧١ ـ ١٢٥هـ) ولد وتوفي في دمشق، وبويع ملكاً للدولة الأموية في الشام سنة ١٠٥هـ، وقد تربى صقر قريش في ظل حزمه ونعمته. =

كالـشَّذا يُنبِـئُ عَـنْ زَهْـرِ الْكِمـامْ هادِيـــــا[١]

وتُريكَ الشَّمْسُ فـي قَـوْسِ الغَمـامْ ماهِيـــــا

حَفَّـهُ عَطْفـاً كمـا تَـسْري الـصَّبا بـــاعْتِلالِ[٢]

ويَـدٌ ظَلَّـتْ تُحـابي الأَنْجُبـا لـم تُغـالِ[٣]

* * *

ضَربَ الخَطْبُ على المُلْكِ الأَثيـلْ مُحْـــدِقا[٤]

كَـمْ دَهـى الـسَّفَّاحُ مِـنْ حُـرٍّ نَبيـلْ مُرْهِقـــا[٥]

وجَرى المَنْصورُ فـي هـذا الـسَّبيلْ مُوبِقـــا[٦]

= الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع.

(١) الشذا: قوة ذكاء الرائحة. الكمام: جمع الكِمّ: غطاء الزهر.

(٢) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٣) لم تغال: لم تجاوز الحد، لم تبالغ.

(٤) الملك الأثيل: الأصيل؛ أي: الدولة الأموية.

(٥) السفاح: أبو العباس عبدالله بن محمد (١٠٤ ـ ١٣٦هـ) أول خلفاء الدولة العباسية، ولد بالشراة بين الشام والمدينة. وكان جباراً من الدهاة، عظيم الانتقام، ولقب بالسفاح؛ لكثرة ما سفح من دماء الأمويين. وتوفي في مدينة الأنبار.

(٦) المنصور: أبو جعفر عبدالله بن محمد (٩٥ ـ ١٥٨هـ) ثاني الخلفاء العباسيين، ولد في الحميمة من أرض الشراة قرب معان، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح، وهو باني مدينة بغداد، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، توفي ببئر ميمون محرماً بالحج، ودفن في الحجون بمكة المكرمة. الموبق: المهلك.

ذَهَبَــتْ عُــصْبَتُهُ أَيْــدِي سَــبا فــي نَكــالٍ[١]
وتَــداعى عَرْشُـــهُ مُنْتَحِبــا للـــــزَّوالِ

* * *

حَــدَّقَ الـصَّقْرُ بِــرَأْيٍ لا عَجِــلْ لا حَــسيرْ[٢]
وانْبَرى يَطوي الْفَـلا يَطْـوي الأَمَـلْ فــي الـضَّميرْ
كَكَمِــيٍّ فَــرَّ مِــنْ وَقْــعِ الأَسَــلْ لِيُغيـــــرْ[٣]
عَمِيَــتْ عَنْــهُ عُيــونُ الرُّقبــا والمَـــوالي
راحَ كالــشَّمْسِ تَــؤُمُّ المَغْرِبــا بارْتِحـــالِ

* * *

جَمْـرَةُ الأَضْـغانِ فـي ذاكَ الـوَطَنْ لافِحَـــــهْ[٤]
كَــمْ قُلــوبٍ بِتَبــاريحِ الإِحَــنْ طافِحَـــــهْ[٥]
فُرْصَــةٌ ظَلَّــتْ علــى وَجْـهِ الـزَّمَنْ ســـــانِحَهْ

---

(١) أيدي سبا: أي: تبددوا تبدداً لا اجتماع بعده، نسبة إلى سبأ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل على تلك الأرض السيل، فأغرقها وأذهب جناتها، فانتزح سبأ وقومه، وتبددوا في البلاد، فضرب بهم المثل. النكال: ما يجعل عبرة للغير.

(٢) حسير: يقال: حسر البصر: كلَّ وانقطع من طول المدى.

(٣) الكميّ: الشجاع، أولابس السلاح. الأسل: الرماح.

(٤) الأضغان: جمع الضِّغن: الحقد.

(٥) تباريح الشوق: توهجه. الإحن: جمع الإحنة: الحقد والغضب.

إنمـــا الْفُرْصَـــةُ تُـــدْني الأَرَبـــا بارْتِجـــالِ
والْفَتـــى يَرْقُبُهـــا مُحْتَـــسِبا لِلَّيـــالي

* * *

نَفَـضَ البُـرْدَيْنِ مِـنْ نَقْـعِ الـسَّفَرْ في (مَلِيَلـهْ)[1]
مـا لَـهُ جُنْـدٌ سِـوى الـرَّأْيِ الأَغَـرْ والْفَـــضيلَهْ
بَـثَّ لُـسْناً نَفَثَـتْ نَفْـثَ الـسَّحَرْ فــي الخَميلَـه
دَعْـوَةٌ حَـلَّ لَهـا الـشَّعْبُ الحُبـا باحْتِفـــالِ[2]
يَرْتَجـــي عِـــزّاً وعَـــدْلاً ذَهَبـــا فـــي ضَـــلالِ

* * *

آبَ (بَـــدْرٌ) بِفُـــؤادٍ يَتَـــأَلَّقْ كالجُمـــانِ[3]
إذْ رَمـــى عَـــنْ قَـــوْسِ داهٍ وتَفَـــوَّقْ فـــي الرِّهـــانِ
وَرأى غُـصْنَ الأَمـاني كَيـفَ أَوْرَقْ فـــي تَـــداني
آنَ لِلصَّمـــصامِ أَنْ يَنْتَـــصِبا للـــصِّقال[4]

---

(١) البُرْد: ثوب مخطط. النقع: الغبار. مليلة: مدينة بالمغرب قرب سبتة على ساحل البحر.

(٢) الحُبا: جمع الحبوة ما يحتبي به الرجل من عمامة أو ثوب.

(٣) بدر: مولى «صقر قريش» ونصيره الذي رافقه في رحلته من الشام إلى المغرب. الجمان: الفضة.

(٤) الصمصام: السيف لا ينثني. الصقال: يقال: صقل فلاناً بالسيف: ضربه به وأدّبه.

وَلِغـــالي الــــدَّمِ أَنْ يَنْــــسَكِبا   بِابْتِــــــذالِ

* * *

نَهَـضَ الـصَّقْرُ ولا صَـيْدَ سِـوى   تــاجِ مُلْــكِ

يَتَهــادى بَعْــدَ شَــجْوٍ وَنَــوى   بَـيْنَ أَيْـكِ[1]

يَـسْبِكُ الـسِّيرَةَ فـي نَهْـجٍ سُـوى   خَيْــرَ سَـبْكِ

عَبَــرَ الْبَحْــرَ يَــشُقُّ الحَبَبــا   فـي جَـلالِ[2]

أَقْبَــلَ الأَبْعَــدُ يَتْلــو الأَقْرَبــا   وَيُــــوالي

* * *

زَجَّ بِالجُنْــدِ حَــوَالَيْ «قُرْطُبَــهْ»   فـي اتِّـساقِ[3]

وَغَــدا يُوسُــفُ مِمّــا كَرَبَــهْ   فـي خِنـاقِ[4]

هُـوَ صَـبٌّ كَيْـفَ يَلْـوي الرَّقَبَـهْ   لِلْفِــــراقِ

هالَــهُ الخَطْــبُ غَــداةَ اقْتَرَبــا   لِلْقِتـــــالِ

---

(١) الشجو: الهم والحزن. النوى: البعد. الأيك: جمع الأيكة: الشجر الملتف الكثير.

(٢) الحبب: معظم الماء.

(٣) قرطبة: مدينة في الأندلس على الوادي الكبير، أصبحت عاصمة الدولة الأموية عام ٧٥٦م، وفيها قصر الزهراء.

(٤) يوسف: يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري، تولى إمارة الأندلس سنة ١٢٩هـ حتى دخول صقر قريش.

لاذَ بِـــالرَّأْيِ فَأَكْـــدى وَكَبـــا فـــي خَبـــالِ[١]

* * *

خـــالَ مـــا نَمَّـــقَ كَيْـــداً يَرْشُـــقُهْ كَـــسِهامِ
لا يَبيـــعُ المَجْـــدَ شَـــهْمٌ يَعْـــشَقُهْ بِالحُطـــامِ[٢]
لا تُـــسَلِّيهِ فَتـــاةٌ تَرْمُقُـــهْ بِابْتِـــسامِ
فَـــأَراهُ الـــصَّقْرُ بَرْقـــاً خُلَّبـــا فـــي المَقـــالِ[٣]
وأَراهُ الأَحْـــوَذِيَّ القُلَّبـــا بَالفَعـــالِ[٤]

* * *

هَجَـمَ الـدَّاخِلُ فـي وَجْـهِ الـزَّعيمْ كائِـــــدا[٥]
فَطَـوى مـا خَلْفَـهُ طَـيَّ الظَّلـيمْ شـــارِدا[٦]
وَاقْتَفـى آثـارَهُ الجَـيْشُ النَّظـيمْ صـــائِدا
رامَ «غَرْناطَـــةَ» يَبْغـــي مَرْكَبـــا لِلنِّـــضالِ[٧]

---

(١) كبا: انكبّ على وجهه. الخبال: الهلاك.

(٢) الحطام: ما تكسر من اليبس.

(٣) الخُلَّب: السحاب لا مطر فيه، والأصل برق السحاب.

(٤) الأحوذي: الحاذق المشمر للأمور، القاهر لها، لا يشذ عليه شيء.

(٥) الداخل: عبد الرحمن الداخل.

(٦) الظليم: المظلوم. وتراب الأرض المظلومة.

(٧) غرناطة: مدينة في الأندلس، احتلها المرابطون عام ١٠٩٠م، واتخذها محمد بن =

أَمَـــلٌ أَبْـــرَقَ حينـــاً وَخَبـــا كالـــذُّبالِ[١]

* * *

أَغْمَـــدَ الـــسَّيْفَ وَمَـــدَّ العُنُقـــا لِلـــسَّلامْ[٢]

فَـــأَراهُ الـــصَّقْرُ عَزْمـــاً ذَلِقـــا لا يَنـــامْ[٣]

أَحْـــرَزَ ابْنَيْـــهِ لِيَـــأْبى الرَّهَقـــا فـي الـذِّمامِ[٤]

كـانَ فـي النَّـاسِ زَعيمـاً فَـاحْتَبى بِـــاعْتِزالِ

لَـمْ يُطِـقْ ـ كالطِّفْـلِ ـ صَـبْراً إِذْ نَبـا عَـنْ فِـصالِ[٥]

* * *

تَـــبَّ لَيْـــلٌ شَـــدَّ فيـــهِ المِئْـــزَرا لانْتِقـــامِ[٦]

= نصر مؤسس سلالة بني الأحمر عاصمة له عام ١٢٣٥م، وأهم آثارها قصر الحمراء.

(١) خبا: طفئ وخمد. الذبال: جمع الذبالة: الفتيلة.

(٢) لما حاصر (صقر قريش) مدينة غرناطة، وهي آخر ما التجأ إليه يوسف الفهري، اضطر هذا الأخير إلى طلب الصلح، فصالحه بشروطه المشهورة التي منها: وضع ابنيه عند الصقر رهن إخلاصه الدائم.

(٣) الذلق: الحادّ.

(٤) أحرز: ألجأ. الرهق: حمل الإنسان على ما لا يطيقه.

(٥) نبا: تجافى وتباعد. الفصال: فطم المولود وفصله عن أمه.

(٦) تبّ: هلك وخسر. المئزر: الإزار. الانتقام: إن يوسف لم تطب له حياة الراحة، فلم تصل سنة ١٤١هـ حتى نقض العهد معتزاً بعشرين ألفاً من البربر، فالتحق بطليطلة، إلا أن الصقر قام له إلى أن جيء له برأسه.

وَامْتَطــى رَأْيــاً عَقيمــاً أَغْبَــرا كالجَهــامِ[١]

لَيْتَــهُ مــا انْــسَلَّ لَـيْلاً وانْبَــرى في احْتِـدامِ[٢]

فــي مَغــاني آلِ هُــودٍ وَثَبــا لِلــصِّيالِ[٣]

هَــزَّ جِـذْعَ الأَمْــنِ أَلْقــى الطُّنَبـا في اخْـتِلالِ[٤]

* * *

أَرْهَــقَ ابْنَيْــهِ جَفــاءً وَهَفــا لِلرِّياسَــهْ[٥]

مــا تَحــامى أَنْ يَكونــا هَــدَفا لِلــسِّياسَهْ

رَكِبَــتْ مِــنْ قَتْــلِ هَــذا سَــرَفا في الـشَّراسَهْ[٦]

وَطَــوَتْ هَــذا لِيَبْقــى حُقُبــا في اعْتِقـالِ[٧]

سَــلْ بِــهِ إذْ فَــرَّ مــاذا ارْتَكَبــا مِــنْ مُحــالِ

* * *

قَـذَفَتْ نــارُ الـوَغى فــي «مــارِدَهْ» بِالــشَّرارِ[٨]

---

(١) العقيم: لا تقبل الولد، ولا تلد. الجَهام: السحاب لا ماء فيه.

(٢) انسل: انطلق في استخفاء. انبرى: اعترض. الاحتدام: شدة الغيظ.

(٣) المغاني: جمع المغنى: المنزل. الصيال: السطو، والقهر، المواثبة.

(٤) الطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت، الوتد.

(٥) هفا: أسرع.

(٦) السرف: الإسراف.

(٧) الحقب: ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك، الدهر.

(٨) ماردة: بلدة واسعة في الأندلس تابعة إلى قرطبة.

أَشْــرَعَ الــصَّقْرُ قَنــاةً ســائِدَهْ   بانْتِــــــصارِ
أَطْلَــقَ الْفِهْــرِيُّ رِجْــلاً جاهِــدَهْ   فــي الْفِــرارِ[1]
لَحِــقَ المَــوْتُ بِــهِ واعَجَبــا   لِلنِّــــــصالِ
تُــنْهِضُ الحَتْــفَ إذا مــا نَــشَبا   فــي عِقــالِ[2]

* * *

بَلَــغَ الــصَّقْرُ مِــنَ العِــزِّ أَشُــدَّهْ   وَاسْــــتوى
لَبِــسَ الحَــزْمَ لِمَــنْ صــاعَرَ خَــدَّهْ   وَالْتَــــوَى[3]
هُــوَ لَــوْلا بَأْسُــهُ يَحْــرُسُ بَنْــدَهْ   لا نْطَــوَى[4]
ســارَ بالأُمَّــةِ شَــوْطاً عَجَبــا   فــي اعْتِــدالِ
لا يُــرى أَسْــرى بِهــا أَوْ أَوَّبــا   فــي مَــلالِ[5]

* * *

بَعَــثَ الْعِرْفــانَ مِــنْ مَرْقَــدِهِ   فــــي رُواءِ
وَعَلَــتْ عُنْــقُ الهُــدى فــي عَهْــدِهِ   كــــــاللِّواءِ
رَدَّتِ الــشِّرْكَ مَواضــي جِــدِّهِ   فــي انْــزِواءِ

---

(١) الفهري: أي: يوسف الفهري.
(٢) نشب: عَلِق. العقال: حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه.
(٣) صاعر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر.
(٤) البند: العَلَم الكبير.
(٥) الملال: السآمة والضجر.

نَفَثَتْ في «شَرْلُمانَ» الرَّهَبا كالسَّعالي[١]
هابَها «المَنْصورُ» يَخْشى الْغَلَبا في السِّجالِ[٢]

* * *

لَقِيَ العُمْرانَ مَقْصوصَ الجَناحْ خامِلا
راشَهُ فَانْسابَ في تِلْكَ البِطاحْ جائِلا[٣]
يَضْبِطُ الشَّكْوَى كَخَصْرٍ في وِشاحْ عادِلا
يَمْتَطي المِنْبَرَ يُلْقي خُطَبا ذاتَ بالِ
يَقْدِمُ النَّاسَ إماماً مُجْتَبى بِابْتِهالِ[٤]

* * *

رَحِمَ اللّهُ الفَتى أَنْضى العِتاقْ في العُلا[٥]
وَغَدا إنْ عُدَّ فُرْسانُ السِّباقْ أَوَّلا

---

(١) شرلمان: شارل الكبير (٧٤٢ ـ ٨١٤م) ملك الإفرنج، حاول الاستيلاء على إسبانيا، ففشل في سرقسطة سنة ٧٧٨م. السعالي: جمع السعلاة: الغول، أو أنثى الغول.

(٢) السّجال: يقال: الحرب بينهم سجال: أي: سجلٌ منها على هؤلاء، وآخر على هؤلاء، يعني: أنها مرة لهم: ومرة عليهم.

(٣) راش السهم: ألزق عليه الريش.

(٤) المجتبى: المختار من صفوة الناس.

(٥) العتاق: جمع العتيقة: الفرس الكريم. رحم الله الفتى: توفي الأمير عبد الرحمن الداخل بقرطبة سنة ١٧٢هـ بعد أن ملك الأندلس لأبنائه، فتوارثه من أعقابه تسعة عشرة أميراً إلى أن أسقطتهم الثورة العسكرية سنة ٤٢٢هـ.

شَـرِبَ الحِكْمَـةَ بالْكَـأْسِ الـدِّهاقْ   عَلَـــــــلا[1]
عَزْمُــهُ كــالفَجْرِ يَفْــري الْغَيْهَبــا   فــي تَعــالي[2]
فَهْـــوَ جُنْـــدِيٌّ سِياسِـــيٌّ رَبــا   فـــي كَمــالِ

تحيّة الوطن[3]

«قالها أيام مقدمه من الشام إلى مصر سنة ١٣٣٩هـ متشوقاً إلى تونس ومن فارقهم بها من الأصدقاء».

مـا لِـيَ لا أَلْمَـحُ مِـنْ ذي الجَمـالْ   سِـوى الخَيـالْ[4]
أَلَـمْ يَكُـنْ يُـدْني قُطـوفَ الوِصـالْ   بِـــلا مَـــلالْ
الـشَّوْقُ أَلْقـى مُهْجَتـي فـي نِـضالْ   ماضي النِّصالْ
مــاذا تَــرى والهَجْــرُ فِيمـا يُقـالْ   داءٌ عُـــــضالْ

* * *

يا مَوْطِني لَـمْ أَنْـسَ عَهْـدَ الـشَّبابْ   عَذْبَ الرِّضابْ[5]
وَرَيْثَمــا شَـــمَّرَ يَبْغــي الــذَّهابْ   صاحَ الْغُـرابْ
بِنَّـا وخُـضْنا فـي غِمـارِ الـصِّعابْ   بِـلا حِـسابْ

---

(١) الدهاق: الكأس الممتلئة.

(٢) يفري: يشق ويقطع. الغيهب: الظلمة.

(٣) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد العاشر.

(٤) ذو الجمال: يقصد به الشاعر وطنه تونس الخضراء.

(٥) الرضاب: الريق، لعاب النحل.

بَيْنـي وَبَـيْنَ المَجْـدِ عَهْـدٌ يُهـابْ فَـلا عِتـابْ
فَـصَمْتَ بـي يـا بَيْنُ عِقْـدَ الرِّفـاقْ بَعْدَ انْتِـساقْ[1]
وقُمْـتَ تَنْعـي عِنْـدَ شَـدِّ الوَثـاقْ يَوْمَ الـتَّلاقْ[2]
مَلْقـى رِفـاقي فـي لَيـالي المُحـاقْ مِثْلُ الفِـراقْ[3]
إنْ فـاتَني مَـرْآهُمْ بِالحِـداقْ فَـالْوُدُّ بـاقْ[4]

* * *

حَيَّـا رُبـى تـونُسَ ذاتِ الزُّهـورْ عَهْـدُ الـسُّرورْ
وافْتَـرَّ فـي طَلْعَـةِ تِلْـكَ الْقُـصورْ أُنْـسُ الْبُـدور
مـا الأُنْـسُ فـي أَقْـداحِ راحٍ تَـدورْ مـا بَـيْنَ حُـورْ
إنَّ الَّتـي تَلْفَحُنـا فـي الـصُّدورْ نـارُ الْغَيُـورْ

* * *

يـا شـاطِئَ الْمَرْسـى إلامَ الهُجـودْ فُـكَّ الْقُيـودْ[5]

---

(١) الانتساق: انتظام الأشياء بعضها مع بعض.

(٢) عند شد الوثاق: أي: عندما حيل بيني وبين صحابتي، كأنني أصبحت في أسر البين مشدود الوثاق.

(٣) ليالي المحاق: ويريد بها الشاعر: السنوات التي تسلط بها المستعمر على تونس، وسلب حريتها، وظلم شعبها.

(٤) الحداق: جمع الحدقة: سواد العين الأعظم.

(٥) المرسى: بلدة في ضواحي تونس فيها منتزهات تجمع بين منظر البحر الأبيض =

وكُـنْ كَمـا كُنْـتَ لِعَهْـدِ الجُـدودْ غِيلَ الأُسـودْ[١]
يَمْـرَحُ فيـكَ العِـزُّ بَـيْنَ الجُنـودْ ضافِي البُـرودْ
فَأَنْـتَ لا تُزْهـى بِتَلْحـيْنِ خُـودْ وَنَقْـرِ عـودْ[٢]
يـا مَعْهَـداً يَثْمُـلُ فيـهِ الْكِـرامْ بِـلا مُـدامْ[٣]
وابْتَـسَمَتْ أَزْهـارُهُ فـي نِظـامْ بِـلا كِمـامْ
نَهَـضْتَ تَحْـدو بـالنُّفوسِ العِظـامْ إلـى الأَمـامْ
أَقْلامُـكَ الحُـرَّةُ تَرْعـى الـذِّمامْ ولا تَنـامْ
يـا نَـسْمَةً ماسـتْ كَـشارِبِ راحْ قَبْلَ الـصَّباحْ[٤]
والطَّلُّ أَصْـفى مِـنْ دُمـوعِ المِـلاحْ فَوْقَ الوِشـاحْ[٥]
هُبِّي وجُرِّي فـي النَّـوادي الفِـساحْ ذَيْلَ المِـراحْ[٦]

= والحدائق الأنيقة. وطالما تمتع الشاعر بالتنزه فيها، إذ هي مقر صديقه منذ عهد طلب العلم العلامة المرحوم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الهجود: النوم.

(١) الغِيل: الشجر الكثير الملتف، ويقصد به: العرين.

(٢) الخود: الحسنة الخَلْق.

(٣) المعهد: جامع الزيتونة بتونس الذي تلقى فيه الشاعر العلم إلى أن تولى التدريس فيه. يثمل: يسكر.

(٤) ماست: تبخترت وتمايلت.

(٥) الطل: أخف المطر وأضعفه، الندى.

(٦) المراح: شدة الفرح والنشاط.

هُبِّـي وَهـاتي نَفْـحَ أُنْـسٍ قَـراحْ ... يَـشْفي الجِـراحْ[١]

هي ملقى الضدين[٢]

كُنْ عَذيري إنْ كُنْتَ يَوْمـاً عَـذولا ... لِفَتـىً إذْ يَـوَدُّ مَوْتـاً عَجـولا

مَـسَّهُ فـي الحَيـاةِ ضَـيْرٌ فَـأَلْقَى ... فـي هِجـاءِ الحَيـاةِ قَـوْلاً ثَقـيلا[٣]

رُبَّ خَطْـبٍ دَهـى امْـرَأً وتَلَقَّـا ... هُ بِعَـزْمٍ فَكـانَ ذِكْـراً نَبـيلا

ونَعـيمٍ وافـاهُ عَفْـواً وَمـا أَوْ ... لاهُ شُـكْراً فَعـادَ شَـرّاً وَبـيلا[٤]

هِيَ مَلْقى الضِّدَّيْنِ حَيْثُ تَـرى فيـ ... ـها بَغيـضاً تَـرى هُنـاكَ خَلـيلا

تَبْعَـثُ الـشَّمْسُ فـي الهَجيـرِ لَهيبـاً ... فَتُـذيعُ الـصَّبا نَـسيماً عَلـيلا[٥]

وتُرينـا الآفـاقُ فَحْمَـةَ لَيْـلٍ ... فَتُرينـا الـسَّماءُ بَـدْراً جَمـيلا

ويَـراعُ الْبَليـغِ يُرْسِـلُ إنْ شـا ... ءَ زُعافـاً وَإنْ يَـشَأْ سَلْـسَبيلا[٦]

زادَ أَكْبادَنـا الزُّعـاقُ غَلـيلاً ... فَـشَفى النِّيـلُ والفُـراتُ الْغَلـيلا[٧]

---

(١) القراح: الذي لا يشوبه شيء.

(٢) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الخامس عشر.

(٣) الضير: الضر.

(٤) الشر الوبيل: الشديد.

(٥) الهجير: نصف النهار، شدة الحر. الصَّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٦) الزعاف: يقال: سم زعاف: قاتل سريعاً. السلسبيل: الماء السهل المساغ.

(٧) الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه. الغليل: العطش.

يَخْفُـقُ الْقَلْـبُ رَوْعَـةً مِـنْ غَـشومٍ   هَـزَّ رُمْحـاً أَوْ سَـلَّ سَـيْفاً صَـقيلا

وتَقَـرُّ الْعُيُـونُ فـي مَـوْطِنٍ قَـدْ   بَـسَطَ الأَمْـنُ فيـهِ ظِـلاًّ ظَلـيلا

مُلْتَقَـى وَحْـشَةٍ وَأُنْـسٍ وَإِنْ لَـمْ   يَـكُ وَقْـتُ الإِينـاسِ فيها طَـويلا

أَتَـرى الْفَيْلَـسوفَ يَـدْري لِمـاذا   كـانَ حَـظُّ الـسُّرورِ مِنْهـا ضَـئيلا

جذوة أو زهرة

وافَـتْ تُـسائِلُني وَلَـمْ يَـسْتَفْتِني   مِنْ قَبْلُ في فَـنٍّ النَّسيبِ سَؤولُ

قالَتْ: يَقولُ أَبو فِراسٍ في الهـوى   «حُلْـوٌ ومُـرٌّ» هَـلْ لَـدَيْكَ دَليـلُ[1]

قُلْـتُ المَحَبَّـةُ فـي فُـؤادي جَـذْوَةٌ   إِنْ لَـمْ يَجُـدْ لـي باللِّقـاءِ خَليـلُ[2]

وإذا الْتَقَيْنـــا فَالْمَحَبَّـــةُ زَهْـــرَةٌ   يَـــذْكو شَـــذاها والنَّـــسيمُ عَليـــلُ

الدَّيْنُ سُمٌّ

يا غامِساً يَـدَهُ فـي الـدَّيْنِ إنَّـكَ قَـدْ   غَمَسْتَها في صَديدٍ خِلْتَـهُ عَـسَلا[3]

والـدَّيْنُ لِلْمـالِ سُـمٌّ نـاقِعٌ فَـإِذا   ما انْدَسَّ في ثَرْوَةٍ أَوْدى بِها عَجِـلا

هذه السّفينة

هَذي السَّفينَةُ تَفْري الْمَـوْجَ جارِيَـةً   لِمُـسْتَقَرٍّ لَهـا كَـيْ تَـدْرَأَ الْكَلَـلا

---

(١) أبو فراس: مرت ترجمته. وهذا البيت إشارة إلى قول أبي فراس:

خليلـيّ مـا أحلـى الهـوى وأمـرّه   وأعلمنـي بـالحلو منـه وبـالمرّ

(٢) الجذوة: القبسة من النار، والجمرة الملتهبة.

(٣) الصديد: ما يسيل من الجرح من قيح.

وأَذْكَرَتْنـي بِمِـسْراها إلـى جَبَـلٍ ... قَـوْلَ الْخَليفَـةِ ياسّـارِيَّةُ الْجَـبَلا

الشُّعُور طليعة الفلاح

«من قصيدة قالها الشاعر أيام الحرب العظمى في دمشق سنة ١٣٣٤هـ، وهي من القصائد التي كان يدعو بها إلى اتحاد العرب والترك».

وَإِنْ ساوَرَتْ بَعْضَ الْقُلوبِ ضَـغينَةٌ ... وعادَتْ مِنَ الْبَغْضاءِ كالحَشَفِ الْبالي[1]

فَقَدْ يَسْتَفيقُ الصَّبُّ مِنْ سَكْرَةِ الهوى ... وَتخْضَلُّ أَزْهارُ الرُّبى بَعْـدَ إِمْحـالِ[2]

وكَمْ عَبَثَتْ ريـحُ الخِـلافِ بِوَحْـدَةٍ ... وَلَـمْ تُبْـقِ مِـنْ بُنْيانِهـا غَيْـرَ أَطْـلالِ

فَـلاحَ شُـعورٌ وَهْـوَ أَسْـعَدُ طـالِعٍ ... يَلُمُّ شُعوثاً تَحْـتَ وارِفِ أَظْـلالِ[3]

شُـعورٌ فَعِلْـمٌ فَاتِّحـادٌ فَقُـوَّةٌ ... فَعَـزْمٌ فَإِقْـدامٌ فَـإِحْرازُ آمـالِ

لَنا هِمَـمٌ تَـسْمو إلـى الْعِلْـمِ رِفْعَـةً ... وَهِمَّاتُ بَعْضِ النَّاسِ تَصْبو إلى الْمالِ

وَلَوْ قِيلَ في طِرْسِ الْغَزالَـةِ حِكْمَـةٌ ... عَرَجْنـا بِأَبْكـارٍ وعُـدْنا بِآصـال[4]

حبّ الوطن

وَطَنـي عَلَّمْتَنـي الحُـبَّ الَّـذي ... يَـدَعُ الْقَلْـبَ لَـدى الْبَـيْنِ عَلـيلا

لا تَلُمْنـي إنْ نَـأَى بـي قَـدَرٌ ... وغَـدا الـشَّرْقُ مِـنَ الْغَـرْبِ بَـديلا

---

(١) الضغينة: الحقد. الحشف: أردأ التمر، واحده حشفة.

(٢) تخضل: تبتلّ.

(٣) الشعث: انتشار الأمر وخلله.

(٤) الطرس: الصحيفة. الغزالة: الشمس؛ لأنها تمد حبالاً كأنها تغزل.

عَزْمَـــةٌ قَـــدْ أَبْرَمَتْهـــا هِمَّـــةٌ وَجَدَتْ لِلْمَجْدِ في الظَّعْنِ سَبيلا[١]

أنـا لا أَنْـسى علـى طُـولِ النَّـوى وَطَنـاً طـابَ مَبيتـاً وَمَقـيلا[٢]

فـــي يَمينـــي قَلَـــمٌ لا يَنْثَنـــي عَنْ كِفاحٍ ويَـرى الـصَّبْرَ جَمـيلا[٣]

هُـوَ ذا طـاعِنْ بِـهِ خَـصْمَكَ مِـنْ قَبْلِ أَنْ تَخْتَرِطَ الـسَّيْفَ الـصَّقيلا[٤]

في كل شيء له آية

يَعْجَبُ النَّاسُ فـي الحَيـاةِ وأَقْـضي عَجَبـي مِنْـكَ أَنْ ضَـلَلْتَ الـسَّبيلا

أَنْـتَ تَرْتـابُ أَنْ يُـدَبِّرَ أَمْـرَ الْــ ـكَوْنِ مَـنْ جَـلَّ مُلْكُـهُ أَنْ يَـزولا

وتَخـالُ الوُجـودَ وَقْفـاً علـى مـا تُبْـصِرُ الْعَـيْنُ بُكْـرَةً وأَصـيلا

وكـأَيِّنْ فـي الكَـوْنِ مِـنْ آيَـةٍ إنْ كُنْـتَ تَبْغـي إلـى الْيَقـينِ وُصـولا

كُـلُّ مـا أَبْـصَرَتْهُ عَيْنـاكَ لَـيْلاً أَوْ نَهـاراً يُملـي عَلَيْـكَ دَلـيلاً

الذّل في البطالة

لا يَرْتَجي العِزَّ شَعْبٌ ظَلَّ فـي وَسَـنٍ مِـنَ الْبَطالَـةِ لا سَـعْياً ولا أَمَـلا[٥]

فالدُّرُّ يَـسْمو إلـى جيـدِ الْفَتـاةِ وَإِنْ حامَ النُّعاسُ علـى أَجْفانِهـا نَـزَلا[٦]

---

(١) الظعن: السير.

(٢) النوى: البعد.

(٣) يرى الصبر جميلا: ويريد بذلك الصبر على الكفاح.

(٤) اخترط السيف: سلّه من غمده.

(٥) الوسن: النعاس، والحاجة.

(٦) نزلا: إشارة إلى عادة نزع الحلي عند النوم.

من أديب إلى فقيه

سَبَتْ مِنّا الْبَصائِرَ بِنْتُ كَرْمٍ ... فَقُلْتَ: الخَمْرُ تَسْتَدْعي نكالا[1]

وَحينَ سَبَتْ بَناتُ الشِّعْرِ مِنَّا ... نُهًى سَمَّيْتَها الْخَمْرَ الحَلالا

من الفقيه إلى الأديب

بَناتُ الشِّعْرِ تَسْبي مِنْكَ لُبّاً ... وتَرْفَعُهُ إلى أُفُقٍ تَعالى

وَبِنْتُ الْكَرْمِ تَنْهَبُهُ وَتَغْشَى ... بِهِ دِمَناً وَأَنْدِيَةً رُذالا[2]

ذكرى المولد النّبوي

«قيلت في الاحتفال بالمولد النبوي سنة ١٣٤٨هـ».

حَيِّ ذاكَ الْبَدْرَ بالزَّهْرِ النَّظيمِ ... وامْلأِ الجَفْنَ بِمَرآهُ الوَسيمِ

إنَّهُ يَحْكي مُحَيَّا المُصْطفى ... إذْ بَدا بَيْنَ المُصَلّى والحَطيمِ[3]

إنْ تَكُنْ يا بَدْرُ تَزْهو بِسَناً ... يُرْشِدُ السَّارِيَ في اللَّيْلِ الْبَهيمِ[4]

فَسَنا أَحْمَدَ يَهْدي أُمَماً ... ويُريها سَنَنَ الْعِزِّ المُقيمِ

عُجْ بِرَوْضٍ باكَرَ الطَّلُّ بِهِ ... دَوْحَ وَرْدٍ هَزَّهُ كَفُّ النَّسيمِ[5]

تَلْقَ في الرَّوضِ شَذاً يُشْبِهُ ما ... لِنَبِيِّ اللهِ مِنْ خُلْقٍ كَريمِ

---

(١) سبى: أسر. بنت الكرم: الخمر. النكال: ما يجعل عبرة للغير.

(٢) الدمن: جمع الدمنة: آثار الدار. الرذال: جمع الرذل: الرديء من كل شيء.

(٣) الحطيم: جدار حِجْر الكعبة.

(٤) الساري: الذي يسير عامة الليل. البهيم: الأسود.

(٥) عجْ: يقال: عاج بالمكان: أقام به.

إنْ تكُنْ يا رَوْضُ يَزْهوكَ جَنىً ... هُوَ زَهْوُ الْعَيْنِ أَوْ عِطْرُ الشَّميم

فِلِطهَ كَلِمٌ يَسْلو بِها ... عاشِقُ الحِكْمَةِ عَنْ كُلِّ نَعيم

إنْ تَرَ العَضْبَ بِيُمْنى بَطَلٍ ... هَزَّهُ بَيْنَ قَتيلٍ وَكليم[١]

فاذْكُرِ الْعَزْمَ الَّذي لاقى بِهِ ... خاتَمُ الرُّسْلِ أذى كُلِّ زَنيم[٢]

غَيْرَ أَنَّ الْعَضْبَ يَقْضي مُرْغَماً ... في الوغى حاجَةَ جَبّارٍ نَهيم[٣]

يا خَصيماً لِهُدى أَحْمَدَ ما ... لِخَصيمِ الْحَقِّ مِنْ قَلْبٍ سَليم

دُونَكَ التّاريخُ لا تُبْقي مَدَى ... في حَديثٍ إنْ تَشأْ أَوْ في قَديم

هَلْ رأى النّاسُ كِتاباً عَجَباً ... مِثْلَ ما يُتْلى مِنَ الذِّكْرِ الحَكيم؟

وَيْحَ قَوْمٍ سَحَرَتْ أَعْيُنَهُمْ ... هذِهِ الدُّنْيا بِمَرْعاها الوَخيم[٤]

غَرِقوا في لَهْوِها واتَّخذوا ... مِنْ مُوالاةِ الهوى أَشْقى نَديم

نَكَروا الْقُرْآنَ بالذَّوقِ الَّذي ... يُؤْثِرُ الذَّرَّ على الدُّرِّ اليَتيم[٥]

دَعَوُا الإلْحادَ إصْلاحاً وَهَلْ ... يَعْرِفُ الإصْلاحَ ذُو ذَوْقٍ سَقيم

ورَسولُ اللهِ هادٍ لِلْعُلا ... مُنْذِرٌ عاقِبَةَ الْفِعْلِ الذَّميم

مَثَلٌ أَعْلى لِنَفْسٍ جَمَعَتْ ... سَطْوَةَ الْعادِلِ في أُنْسِ الحَليم

---

(١) العضب: السيف القاطع. الكليم: الجريح.

(٢) الزنيم: الدعيُّ اللئيم.

(٣) النهيم: ذو النهم: وهو إفراط الشهوة في الطعام.

(٤) ويح: كلمة ترّحم وتوَجعٌ، وقيل: هي بمعنى وَيْل. الوخيم: غير موافق.

(٥) الذّر: صغار النمل.

عِـزَّةٌ قَعْـساءُ فـي أَسْـنى تُقـىً هِمَّـةٌ شَـمَّاءُ فـي قَلْـبٍ رَحـيمِ[١]

هُـوَ إذْ يُرْهِـفُ حَـدّاً لِلَّـذي عاثَ أَوْ يَأْذَنُ في حَرْبِ الْخَصيمِ[٢]

لـم يُـرِدْ إلاَّ سَـلاماً سـائِداً واعْتِـزازاً لِـذَوي الـدِّينِ القَـويمِ

إنْ تَكُـنْ تَعْجَـبُ فاعْجَـبْ لِيَـدٍ لَبِـسَتْ قُفَّـازَ أَفَّـاكٍ أَثـيمِ[٣]

كَتَبَـتْ تَـزْعُمُ مِـنْ شَـقْوَتِها أَنَّـهُ لَـمْ يَـكُ بِالـشَّخْصِ العَظـيمِ

عَلِّموهـا أَنَّـهُ أَعْظَـمُ مَـنْ سَارَ في النَّاسِ على هـذا الأَديـمِ[٤]

صـاحِبَ الرَّوضَـةِ فـي طَيْبَـةَ نَـمْ آمِناً طُغْيـانَ ذا الخَطْـبِ الجَـسيمِ[٥]

إنَّ فـي الـشَّرْقِ رِجـالاً نَهَـضوا يَقْرَعـونَ الخَطْـبَ بـالْعَزْمِ الـصَّميمِ

لا يُبـالونَ إذا مـا جاهَـدوا غَـضَبَ الغاشِـمِ أَوْ كَيْـدَ اللَّئـيمِ

قَـدَّسَ اللهُ ثَـرى قَبْـرِكَ مـا نَفَـحَ الْقُـرْآنُ بِالْهَـدْيِ العَمـيمِ[٦]

وأَقـامَ العِلْـمَ آيـاتٍ عَلـى أَنَّـهُ تَنْزيـلُ خَـلاَّقٍ حَكـيمِ

---

(١) عزة قعساء: أي: ثابتة منيعة.

(٢) عاث في الشيء: أفسده. الخصيم: المخاصم.

(٣) اليد: يريد بذلك: ما كتبه علي عبد الرازق في جريدة «السياسة» بالقاهرة يوم ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ، وقد رد عليه صاحب الديوان بمحاضرة تحت عنوان: «العظمة». انظر كتابه: «محمد رسول الله وخاتم النبيين».

(٤) الأديم: الأرض.

(٥) طيبة: اسم المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ.

(٦) العميم: التام من كل شيء.

افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي

«قصيدة ألقاها الشاعر في افتتاح مؤتمر «المجمع اللغوي» بالقاهرة في ٢٦ يناير كانون الثاني ١٩٤١».

نَــهَضَ الْقِطــارُ فَأَوْمــأوا بِــسَلامِ　　وجَـرى بِهِـمْ طَلَقـاً بِغَيْـرِ زِمـامِ[١]

بـانوا فَمـا بـالي فقَـدْتُ حُـشاشَتي　　أَمَضَى بِها في الرَّكْبِ فَرْطُ هُيَامِ[٢]

عَجَباً لِروحٍ فارَقَـتْ جَـسَدَ امْـرِئٍ　　يَقْظـانَ لَـمْ يُرْشَـقْ بِـسَهْمِ حِمـامِ[٣]

طَوَتِ النَّوى عَهْـداً يَطـوفُ سُـقاتُهُ　　بِكُـؤوسِ أُنْـسٍ لا كُـؤوسِ مُـدامِ[٤]

رُضْـتُ الْقَـريضَ لَعَلَّنـي أَسْـلو بِـهِ　　ذِكْـراهُمُ وأَغيـبُ عَــنْ آلامــي[٥]

فَصَحَوْتُ مِنْ شَجَنٍ إلى شَغَفٍ بِما　　في نُطْقِ يَعْرُبَ مِنْ سَنىً وَوِسـامِ[٦]

هِـيَ لَهْجَـةٌ شَـبَّتْ بِـأَرْضِ بَـداوَةٍ　　فَيْحــاءَ بَــيْنَ الأُسْــدِ والآرامِ[٧]

لَكِنَّها وَسِـعَتْ عُلـومَ «أَرِسْـطُ» بَـلْ　　وَسِعتْ حَـضارَةَ فـارِسٍ والـشَّامِ[٨]

---

(١) طلقاً: يقال طَلِق طلَقاً: تباعد. الزمام: المقود.

(٢) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح، وقيل: رمق من حياة النفس.

(٣) الحِمام: قضاء الموت وقدره.

(٤) المدام: الخمر.

(٥) راض المهر: ذلَّلَهُ. القريض: الشعر.

(٦) الشجن: الهم والحزن. الشغف: أقصى الحب. السنى: الضوء. الوسام: الحسن.

(٧) الآرام: جمع الرئم: الظبي الخالص البياض.

(٨) أرسط: أرسطو: مرت ترجمته.

اللَّفْظُ أَصْفى مِنْ حَبابِ سُلافَةٍ ... قَدْ لَثَّموا إبْريقَها بِفَدامِ[1]

لَوْ أَنَّ خَوْداً تَسْتَعيرُ الحَلْيَ مِنْ ... صَوْغِ ابنِ بُرْدٍ أَوْ أَبي تَمَّامِ[2]

أَسَرَتْ أُسوداً قَدْ تحامَوا قَبْلَها ... أَنْ يُؤسَروا بِصَبابَةٍ وَغَرام

ولَرُبَّ مُتَّئِدٍ يُصاعِرُ خَدَّهُ ... مُتَجافِياً عَنْ مُطْرِبِ الأَنْغامِ

حَيَّتْهُ رَوْضاتُ الْبَيانِ بِباقَةٍ ... مِعْطارَةٍ مِنْ زَهْرِها الْبَسَّامِ

فَصَبا إلى الآدابِ مَنْ لَمْ يُصْبِهِ ... تَلْحينُ زِرْيابٍ وَسَجْعُ حَمامِ[3]

أَذْكى خَطيبُ الْجَيْشِ فيهِ حَماسَةً ... أَهْوَتْ بِراحَتِهِ إلى الصَّمْصامِ[4]

نَطَقَ الْكِتابُ بِها فَأَفْحَمَ أَلْسُناً ... لَمْ تُبْلَ قَبْلُ بِوَصْمَةِ الإِفْحامِ[5]

وتَأَلَّقَتْ حِكَمُ النَّبِيِّ كَأَنَّها ... شُهُبُ السَّماءِ تَشُقُّ بَحْرَ ظَلامِ

---

(١) السلافة: الخمر. الفدام: المصفاة تجعل على فم الإبريق ليصفى بها ما فيه، وخرقة تشدها العجم والمجوس على أفواهها عند السقي.

(٢) الخود: الحسنة الخَلْق. ابن برد: بشار بن برد (٩٥ ـ ١٦٧هـ) أشعر المولدين، كان ضريراً، نشأ في البصرة، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، ودفن بالبصرة، له ديوان شعر مطبوع. أبو تمام: مرت ترجمته.

(٣) صبا: مال وحنَّ. زرياب: علي بن نافع (. . . ـ ٢٣٠هـ) نابغة الموسيقى في عصره، مولى المهدي العباسي، كان حسن الصوت، سافر إلى الأندلس، ولقيه عبد الرحمن ابن الحكم، وتوفي بقرطبة.

(٤) الصمصام: السيف الذي لا ينثني.

(٥) الكتاب: هو القرآن الكريم. أفحم: أسكت بالحجة.

سادَ الهَوى وَسَما لِـواءُ المُلْـكِ مـا ... بَـيْنَ الـسُّيوفِ الْغُـرِّ والأقْـلامِ

الـدِّينُ يَعْلـو بِانْتِـضاءِ يَراعَـةٍ ... والمُلْـكُ يَعْلـو بامْتِشاقِ حُـسامِ[1]

بُعْـداً لِيَـوْمٍ نـامَ فيـهِ حُماتُهـا ... وَرَمَـتْ صُـروفٌ وَجْههَـا بِرَغـامِ[2]

مُنِيَـتْ بِلَحْـنٍ واللِّـسانُ مُلَحَّـنٌ ... مـا لَـمْ تَرُضْـهُ عُلومُهـا بِلِجـامِ[3]

لَوْ جَسَّ «جالينوسُ» مَنْبَضَ قَلْبِـها ... لِـيُحِسَّ مـا تَـشْكُو مِـنَ الأَسْـقامِ[4]

أَلْفَـى ذُبـولَ الظَّامِئـاتِ وَأَحْرُفـاً ... كـادَتْ تَزيـغُ بِهـا إلـى إعْجـامِ[5]

مَنْ ذا يَغارُ على بَيـانِ الْعُـرْبِ مِـنْ ... أَيْـدٍ تُـواري شَمْـسَهُ بِقَتـامِ[6]

يـا مَجْمَعـاً نِيطَـتْ بِـهِ هِمَـمٌ تُبـا ... هـي الزَّهْـرَ فـي أَفْلاكِهـا وتُـسامي

هذي شُعوبُ الشَّرْقِ تَنْظُرُ وَهْيَ في ... أَوطانِهـا الْقُـصوى بِعَـيْنِ حَـذامِ[7]

---

(١) اليراعة: القصبة، ويريد بها: القلم. الحسام: السيف القاطع.

(٢) الرغام: التراب.

(٣) اللحن: الخطأ في الإعراب. ملحّن: أي: مصاب باللحن. اللجام: ما يجعل في فم الفرس من الحديد من الحكمتين والعذارين والسير.

(٤) جالينوس: مرت ترجمته.

(٥) الإعجام: عدم الإفصاح بالكلام.

(٦) القتام: الغبار الأسود.

(٧) حذام: حذام بنت الريان، جاهلية يمانية (.... - ....) يضرب بها المثل في صدق الخبر. وينسب لزوجها قوله:

إذا قالـت حـذام فـصدقوها ... فـإن القـول مـا قالـت حـذام

تَرْنـــو إلَيْـــكَ بِمُقْلَـــةٍ نقَّـــادَةٍ عَرَفَـتْ وُجـوهَ الـنَّقْضِ والإِبْـرام[١]

فَلْـنَقْضِ لِلْفُـصْحى لُبانَـةَ دَوْحَـةٍ قَذَفَ الهَجيـرُ غُـصونَها بِـضِـرامِ[٢]

وَلْنَـسْقِ ظامِئَهـا عَـصيرَ دِرايَـةٍ إذْ كـانَ لا يُـسْقى عَـصيرَ غَمـامِ

مـا أَشْـبَهَ الآمـالَ يَـوْمَ يَخونُهـا عَـزْمٌ بِأَضْـغاثٍ مِـنَ الأَحْـلامِ[٣]

يَحْلو النِّـضالُ ولا نِـضالَ أَلَـذُّ مِـنْ تَنْقـــادِ آراءٍ بِغَيْـــرِ خِـــصامِ[٤]

هِيَ كالـسَّحائِبِ: هَـذِهِ وَطْفـاءُ إنْ سَنَحَتْ، وَتِلْـكَ تَمُـرُّ مَـرَّ جَهـامِ[٥]

والرَّأْيُ يَخْلُصُ بالنِّقاشِ الحُـرِّ مِـنْ صَـدَإِ الخُمـولِ ولُبْـسَةِ الإبْهـامِ

وَجَـآذِرُ الأَفْكـارِ لا تَـرِدُ الحِمـى مـا لَـمْ تُـسَسْ بِرَوِيَّـةٍ وَنِظـامِ[٦]

بكاء على قبر

«قالها صاحب الديوان في رثاء والدته سنة ١٣٣٥هـ».

قَطَّـبَ الـدَّهْرُ فَأَبْـدَيْتُ ابْتِـساما وانْتَضى الخَطْبُ فَما قُلْتُ سَلاماً[٧]

---

(١) النقض: يقال: نقض البناء: هدمه. الإبرام: يقال: أبرم الشيء: أحكمه. وكلمتا (النقض والإبرام) مصطلح قانوني يطلق على اسم المحكمة العليا التي تبت بالأحكام القضائية بصورة نهائية.

(٢) اللبانة: الحاجة. الهجير: نصف النهار، شدة الحر. الضرام: ما اشتعل من الحطب.

(٣) أضغاث أحلام: أحلام ملتبسة لا يصح تأويلها؛ لاختلاطها.

(٤) تنقاد الآراء: بيان الصحيح منها والمردود، يقال: انتقد الدراهم: أخرج منها الزيف.

(٥) الوطفاء: السحابة الوطفاء: المسترخية لكثرة مائها. الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٦) الجآذر: جمع الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

(٧) قطّب: زوّى ما بين عينيه.

لَـسْتُ أَدْرِي أَنَّ فـِـي كَفَّيْـكَ يـا   دَهْـرُ رُزْءاً يَمْـلأُ الْعَـيْنَ ظَلامـا[1]

لَـسْتُ أَدْرِي أَنَّـكَ الْقَـاذِفُ فـِـي   مُهْجَتـي نـاراً ومُـذْكيها ضـِـراما

فَـإِذا الْعَـيْنُ تَـرى مِـنْ كَثَـبٍ   كَيْفَ تَلْقى نَفْسِيَ الأُخْـرى حِمامـا

كَيْـفَ تُخْفيهـا أَكُـفٌّ فـي الثَّـرى   كَيْفَ تَحْثو فَوْقَهـا التُّـرْبَ رُكامـا[2]

أَوْدَعوهـا قَعْـرَ لَحْـدٍ ضَـرَبوا   فَوْقَـهُ مِـنْ لازِبِ الطِّـينِ خِتامـا[3]

يـا سُـقاةَ التُّـرْبِ مـاءً هـاكُمُ   عَبَراتـي إِنَّ فـي الجَفْـنِ جِمامـا[4]

أَفَـلا يَبْكـي الْفَتـى نازِحَـةً   سَـهِرَتْ مِـنْ أَجْلِـهِ اللَّيْـلَ وَنامـا

وانْثَنَـتْ تُرْشِـفُهُ مِـنْ أَدَبٍ   مُذْ لَهـا عَـنْ لَـبَنِ الثَّـدْيِ فِطامـا[5]

«بِنْـتَ عَـزُّورَ» لَقَـدْ لَقَّنْتِنـا   خَـشْيَةَ اللهِ وأَنْ نَرْعـى الـذِّماما[6]

وَدَرَيْنـا مِنْـكِ أَنْ لا نَـشْتَري   بِمَعالينـا مِـنَ الـدُّنْيا حُطامـا[7]

---

(١) الرزء: المصيبة.

(٢) الركام: الرمل المتراكم فوق بعضه.

(٣) اللازب: اللازم الثابت؛ أي: الطين المتماسك. الختام: الطين يختم به على الشيء.

(٤) الجِمام: الماء كثر واجتمع.

(٥) رشف: الماء: مصه بشفتيه.

(٦) بنت عزور: السيدة البارة المرحومة حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزور، والدة الشاعر، ومن الشهيرات بالتقى والعلم والصلاح، ولدت بتونس سنة ١٢٧٠هـ، وتوفيت بدمشق سنة ١٣٣٥هـ. الذمام: الحق والحرمة.

(٧) الحطام: ما تكسر من اليبس، ويقصد الشاعر: مال الدنيا وزخرفها.

وَدَرَيْنـــــا مِنْـــــكِ أَنَّ اللهَ لا يَخْـذُلُ الْعَبْـدَ إذا الْعَبْـدُ اسْـتَقاما[١]

وَدَرَيْنــا كيْــفَ لا نَعْنــو لِمَــنْ حارَبَ الحَقَّ وَإِنْ سَلَّ الحُـساما[٢]

كُنْــتِ نــوراً فــي حِمانــا مِثْلَمــا نَجْتَلــي الْبَــدْرَ إذا الْبَـدْرُ تَـسامى

أَفَلَــمْ تُحْيِيــهِ بــالقُرْآنِ فــي رِقَّــةِ الخاشِــعِ مــا عِـشْتِ لِزامــا

كُنْــتِ لــي رَوْضَــةَ أُنْــسٍ أَيْنَمــا سِرْتُ أَهْدَتْ نَفْحَ وَرْدٍ وخُزامـى[٣]

كـانَ لـي مِـنْ قَلْبِـكِ الطَّـاهِرِ فـي كُـلِّ يَـوْمٍ دَعْـوَةٌ تَجْنـي المَرامــا

كـانَ لـي مِنْـكِ إذا أَشْـكو النَّـوى كُتُــبٌ تَحْمِــلُ عَطْفــاً وسَــلاما

ضـاعَ مِنِّـي أَنْ أُجيـلَ الطَّـرْفَ فـي وَجْهِـكِ الرَّيّـانِ بِـشْراً واحْتِـشاما

إنَّ فــي هــذا التَّنــائي قَــسْوَةً جَعَلَــتْ مَــرآكِ بِــالعَيْنِ حَرامــا

لَهْـفَ قَلْـبٍ بـاتَ لا يَرْجـو لِقـا ءَكِ إلاَّ أَنْ يَــرى الطَّيْــفَ مَنامــا

فَـادْخُلي فــي سَـلَفٍ قُمْـتِ عَلـى هَدْيِـهِ الحَـقِّ وأَحْـسَنْتِ الْقِيامـا[٤]

واسْـعَدي نُـزُلاً إلـى المَلْقـى إلـى يَوْمِ لا نَخْشى عَلى الأُنْسِ انْصِراما[٥]

---

(١) خذل الرّجلَ: ترك نصرته وإعانته.

(٢) نعنو: عنا له: خضع وذل.

(٣) الخزامى: نبت زهرةٍ أطيب الأزهار نفحة، ويتمثل به في الطيب.

(٤) السلف: كل من تقدم من آبائك وقرابتك.

(٥) النزل: ما هيئ للضيف أن ينزل عليه. الانصرام: الانقطاع.

الشّعر كالبيداء

«قيلت في تونس».

لا خَيْرَ فيمَنْ جَفَّ طَبْعاً واشْتَرى	بِلَطائِفِ الأُدَباءِ كَأْسَ مُدامِ
والشِّعْرُ كالبَيْداءِ: هَذا مَهْمَهٌ	قَفْرٌ، وهَذا مَرْتَعُ الآرامِ(1)

مساعي الورى شتّى

«أبيات من قصيدة هنّأ الشاعر بها صديقه العلامة المرحوم الطاهر بن عاشور عند ولايته التدريس في جامع الزيتونة بتونس سنة ١٣٢٣هـ».

مَساعي الوَرى شَتّى وكُلٌّ لَهُ مَرْمى	ومَسْعى ابْنِ عاشُورٍ لَهُ الأَمَدُ الأَسْمى(2)
فَتًى آنَسَ الآدابَ أَوَّلَ نَشْئِهِ	فَكانَتْ لَهُ رُوحاً وكانَ لَها جِسْما(3)
وَما أَدَبُ الإنْسانِ إلاَّ عَوائِدٌ	تَخُطُّ لَهُ في لَوْحِ إحْساسِهِ رَسْما(4)
فَتىً شَبَّ في مَهْدِ النَّعيمِ ولَمْ تَنَلْ	زَخارِفُهُ مِنْ عَزْمِهِ المُنْتَضى ثَلْما
وفي بَهْجَةِ الدُّنيا وخُضْرَةِ عَيْشِها	غُرورٌ لِباغي المَجْدِ إنْ لم يَفُقْ حَزما
وشادَ على التَّحْقيقِ صَرْحَ عُلومِهِ	فَما اسْطاعَ أَعْداءُ النُّبوغِ لَهُ هَضْما

(١) المهمه: المفازة البعيدة، والبلد المقفر، والجمع مهامه. الآرام: جمع الرئم: الظبي الخالص البياض.

(٢) الأمد: الغاية، المنتهى.

(٣) آنس: أبصر، وعلم.

(٤) العوائد: جمع العادة: ما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة، وتجمع على عادات وعوائد.

ومَـــنْ شَـــدَّ بـــالتَّفْويضِ لله أَزْرَهُ　　ومَدَّ شِباكَ الجِدِّ صادَ بِها النَّجْما

وذي خُطَّـةُ التَّـدْريسِ تَوْطِئَـةٌ لأَنْ　　نَراهُ وَقِسْطاسُ الحُقوقِ بِـهِ يُحْمى[١]

رَجاءٌ كَرَأْيِ العَيْنِ عِنْدَ أُولي الحِجا　　يُوافيـهِ كـالمَعْطوفِ بالفـاءِ لا ثُمَّـا

بَلَونا حُلَى الأَلْفاظِ في سِلْكِ نُطْقِـهِ　　فَلَمْ يُلْفِ صافي الذَّوْقِ في عَقْدِها جَشْما[٢]

وَفـي النَّـاسِ مِهْـذارٌ تَـراهُ يَلوكُهـا　　بِلَهْجَتِـهِ لَـوْكَ المُـسَوَّمَةِ اللُّجْمـا[٣]

بِطانَةُ صَدْري صُوِّرَتْ مِنْ إخـائِكُمْ　　وَجاءَ بَنانُ الخُلْـدِ يَرْقُمُهـا رَقْمـا[٤]

وإنِّـي أَرى بـابَ المُـداجاةِ ضَـيِّقاً　　فَلا يَسَعُ النَّفْسَ الَّتي كَبُرَتْ هَمَّـا[٥]

وإنْ شِمْتَ في نَسْخِ القَريضِ تَخاذُلاً　　وآنَسْتَ في مَغْزى فَواصِلِهِ وَصْـما[٦]

فَزَهْـرَةُ فِكْـري لا تَطيـبُ عُـصارةً　　إذا نَفَثَ الإيحاشُ في أَضْلُعي سُـمَّا

أَلَمْ تَـرَ أَزْهـارَ الرُّبـى حينمـا نَـأَتْ　　أفانينُهـا كـانَ الـذُّبولُ لَهـا وَسْـما

---

(١) القسطاس: الميزان.

(٢) الجشم: الثقل والكلفة.

(٣) المهذار: يقال: هذر كلامه: كثر في الخطأ والصواب، فهو مهذار. اللهجة: اللسان، اللغة. المسوّمة: الخيل التي عليها علامة.

(٤) البطانة من الشيء: خلاف ظاهره. يرقمها رقماً: يكتبها كتابة.

(٥) المداجاة: المداراة.

(٦) شمت: نظرت، يقال: شام البرقَ: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر. الوصم: العيب والعار.

كأني دينار

«قيلت عند سفره من دمشق».

كـــأَنِّيَ دينـــارٌ وَجِلَّـــقُ راحَـــةٌ ... تُنافِسُ في الإِنْفـاقِ راحَـةَ حـاتِمِ[١]

فَكَمْ سَمَحَتْ بي للرَّحيلِ، وَلَيْتَنـي ... ضَرَبْتُ بِهـا الأَوْتـادَ ضَـرْبَةَ لازِمِ[٢]

الملك الطبيعي أو راعي الغنم

«قيلت في قرية (ويزن دورف) بضواحي برلين».

تَقَلَّدَ المُلْـكَ بَـيْنَ الـضَّالِ والـسَّلَمِ ... وهَبَّ يَفْتَحُ مِـنْ غَـوْرٍ إلـى عَلَـمِ[٣]

فَعَرْشُـهُ رَبْـوَةٌ حاكَـتْ خَميلَتَهـا ... يَدُ الْغَمامَـةِ إِذْ جـادَتْ بِمُنْسَجِمِ[٤]

وتاجُهُ الـشَّمْسُ تَبْـدو فَـوقَ مَفْرِقِـهِ ... تاجٌ مَصونٌ بِلا جُنْـدٍ وسَـفْكِ دَمِ[٥]

سِراجُهُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ يُرْسِلُ مِـنْ ... عَلْيائِـهِ بِـسَناً يَنْـسابُ فـي الظُّلَـمِ

والظَّبْيُ يَرْقُمُ في طِرْسِ الْفَلاةِ خُطـاً ... أَحْلَـى لِنـاظِرِهِ مِـنْ جَوْلَـةِ الْقَلَـمِ[٦]

صَـفَتْ مَنـاظِرُ غُـدْرانٍ فَكـانَ لَـهُ ... فيهـا مَزايـا جَلاهـا صـاقِلُ النَّـسَمِ

---

(١) جلق: دمشق: حاتم: حاتم الطائي (. . . ـ ٤٦هـ) يضرب المثل بجوده، عاش في الجاهلية فارساً شاعراً. مات في عوارض (جبل في بلاد طيء).

(٢) اللازم: الثابت.

(٣) الضال والسلم: من أشجار البادية. الغور: ما انحدر من الأرض، ويقابله النجد، والقعر من كل شيء. العلم: الجبل الطويل.

(٤) الخميلة: الشجر الكثير الملتف حيث كان.

(٥) المفرق: وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر.

(٦) الظبي: الغزال للذكر والأنثى. الطرس: الصحيفة.

وآلـةُ الطَّـرَبِ الحُمْـلانُ تَرْتَـعُ فـي ... خِصْبٍ فَيُسْمَعُ مِنْها أَطْيَـبُ الـنَّغَمِ[١]

عَيْناهُ: ذي سارَقَتْ جَفْنَ المَها نَظَـراً ... وتِلْكَ نـاظِرَةٌ شَـزْراً إلـى الأَجَـمِ[٢]

لَـمْ يَتَّخِـذْ سـامِراً يُـوحي إِلَيْـه بِمـا ... يَهْوى ويَخْضِـبُ بَعْضَ الحَقِّ بِالْكَتَمِ[٣]

ومَا امْتَطى مَرْكَباً كَـيْلا يُـضايقَ فـي ... مَـسيرِهِ نَفَـسَ الْعَجْفـاءِ والْهَـرَمِ[٤]

ومَـنْ تَـولَّى زِمـامَ الأَمْـرِ فـي مَـلإٍ ... لَمْ يَغْلُ إنْ ساسَهُمْ سَعْياً عَلى قَـدَمِ

فقدوا أحلامهم

طـافَ بِالكَـأْسِ عَلـى نُدْمانِـهِ ... لاغْتيـالِ الهَـمِّ فيمـا زَعَمـا[٥]

لـم يُمِـتْ هَمّاً ولَـمْ يَغْتَـلْ نُهًـى ... مـا بُغـاةُ الخَمْـرِ إلاَّ فـي عَمـى[٦]

فَقَـدوا أَحْلامَهُـمْ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ ... يَـسْفِكوا مِـنْ أَكْـؤسِ الخَمْـرِ دَمـا

لَـوْ فَحَـصْتُمْ أَنْفُـساً هَمَّـتْ بِـأَنْ ... تُطْفِـئَ الْعَقْـلَ رَأَيْـتُمْ لَمَمـا[٧]

---

(١) الحملان: جمع الحمل: الصغير من أولاد الضأن.

(٢) المها: جمع المهاة: البقرة الوحشية. الشزر: نظر الغضبان بمؤخر العين، أو النظر عن يمين وشمال. الأجم: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف، وهي مأوى الأسد.

(٣) السامر: مجلس السمار. الكتم: نبت يخلط بالحناء، ويخضب به الشعر، فيبقى لونه، ويريد الشاعر بذلك: ما يخفي وجه الحق.

(٤) العجفاء: المهزولة.

(٥) الندمان: جمع النديم: وهو المنادم والمجالس على الشرب.

(٦) النهى: جمع النهية: العقل.

(٧) اللمم: الجنون الخفيف، أو طرف من الجنون.

سَــنَرى فيهــا حُلومــاً عِنْــدَما نُبصِرُ الأَحْلامَ حَلَّتْ فـي الـدُّمى[1]

مروحة الرّوح

«أبيات قالها الشاعر جواباً على بيتين[2] بعث بهما إليه صديقه الشيخ محمد المقداد الورتاني من تونس صحبة مروحة على وجه الهدية».

يا أَخـا الآدابِ صُـغْتَ الـشِّعْرَ مِـنْ كَلِـمٍ يَعْـذُبُ فـي سَـمْعٍ وفَـمْ

وَدَرَيْــتَ الحَــرَّ فــي مِــصْرَ إذا أَقْبَـلَ الـصَّيْفُ تَلَظَّـى واحْتَـدَمْ[3]

فَتَخَيَّــرْتَ لأَنْ تُهْــدِيَ لــي مِـنْ بِـلادِ النَّخْـلِ مِهْـداءَ النَّـسَمْ[4]

أَنــا فــي حَــرٍّ مِــنَ الـشَّوْقِ فَمــا طِـبُّ حَـرِّ الـشَّوْقِ إنْ شَـوْقٌ أَلَـمْ

طِبُّــهُ النَّــاجِعُ مَلْقــاكَ أَلا تَبْتَغـي مِـصْرَ سَـبيلاً لِلْحَـرَمْ[5]

هَــذِهِ مِرْوَحَــةُ الــرُّوحِ وَدَعْ سَـعَفَ النَّخْـلِ إلـى لَحْـمٍ وَدَمْ[6]

---

(١) الحلوم: جمع الحلم: العقل. الدمى: جمع الدمية: الصورة المنقوشة المزينة.

(٢) البيتان هما:

مروحـــة مـــن تـــونس إلـــى الأعـــزّ الأخـــضر

نـــسيمها يهـــدي لـــه أزكـــى ســـلام عطـــر

(٣) تلظى: تلهب. احتدمَ: اشتد.

(٤) بلاد النخل: تونس حيث يكثر في جنوبها النحيل. المهداء: الذي من عادته أن يهدي.

(٥) الناجع: المؤثر. مصر سبيل للحرم: أي: طريق بين تونس ومكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وفي هذا البيت دعوة لزيارة القاهرة.

(٦) السعف: جريد النخل وورقه.

برقيّة الشّوق

«قالها أثناء رجوعه من الآستانة إلى تونس سنة ١٣٣٠هـ، وقد مرت به الباخرة بالقرب من شاطئ (المرسى) حيث كان يقيم صديقه المرحوم العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور».

قَلْبـي يُحَيِّـكَ إذْ مَـرَّتْ سَفينَـتُنا تُجـاهَ واديـكَ والأَمْـواجُ تَلْـتَطِمُ
تَحِيَّـةً أَبْـرَقَ الـشَّوْقُ الـشَّديدُ بِهـا في سِلْكِ وِدٍّ بأَقْصى الـرُّوحِ يَنْـتَظِمُ

إحضار الأرواح

«بيتان خاطب الشاعر بهما صديقه الأستاذ خير الدين الزركلي[1] بدمشق عندما تليت عليه قصيدة بليغة من نظمه».

يـا مُحْـضِـراً فـي بُـرْدِ شِـعْرٍ رائِـعٍ روحَ ابْنِ بُرْدٍ وَهْوَ يَلْفِظُ بـالحِكَمْ[2]
مَـنْ عَلَّـمَ الـشُّعَراءَ أَنْ يَتَحَـضَّروا روحاً تَـرَدَّى جِـسْمُها ثَـوْبَ الْعَـدَمْ

الرّجاء تعلة

«قالها بمناسبة ورود بيتين لعلي بن الجهم[3] في مجلس أدب».

أُوَدِّعُ جيرانـــاً لِفُرْقَـــةِ لَيْلَـــةٍ بِلَوْعَـةِ مَـنْ هَمُّـوا بِفُرْقَتِـهِ عامـا

---

(١) خير الدين الزركلي: صاحب كتاب «الأعلام».

(٢) البُرْد: ثوب مخطط. ابن برد: الشاعر بشار: مرت ترجمته.

(٣) علي بن الجهم: (... ـ ٢٤٩هـ) شاعر رقيق الشعر من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام، غضب عليه المتوكل العباسي، فنفاه إلى خراسان، وانتقل إلى حلب، وقتل وهو في طريقه للغزو مع جماعة. والبيتان هما قوله:

يـــا غائبـــاً بكتابـــه ووصـــاله هـــل يرتجـــى مـــن غيبتيـــك إيـــاب
لـــولا التعلـــل بالرجـــا لتقطعـــت نفـــس عليـــك شـــعارها الأوصـــاب

أُشَـيِّعُهُمْ بِـالطَّرْفِ أَرْجـو الْتِفَاتَـةً ... تُرينـي وُجوهـاً كالْبُـدورِ وِسـاما[1]

وَلِلـنَّفْسِ إذْ يَنْـأَى الأَحِبَّـةُ رَوْعَـةٌ ... تُثيـرُ شـجوناً فـي الحَشا وَسِـقاما

ولَـولا رَجـائي والرَّجـاءُ تَعِلَّـةٌ ... لأَوْبَـتِهِمْ كـانَ الـوَداعُ حِمامـا[2]

النّدامى

تُـديرُ علـى الرِّفـاقِ كُـؤوسَ خَمْـرٍ ... وتَـدْعوهُمْ بِمَجْلِـسِكَ النَّـدامى[3]

وإنْ عَـضُّوا الأَنامِـلَ بَعْـدَ صَـحْوٍ ... فَـإِنَّ اللهَ يَغْفِـرُ لِلنَّـدامى[4]

ذر الخُمول

ذَرِ الخُمـولَ وَلُـذْ بِـالْعِزِّ مُعْتَـصِماً ... بِـاللهِ كَـيْ تَتَـوَقَّى جِيْـدَكَ الْقَـدَمُ[5]

فالـشِّيحُ يَحْطِمُـهُ دَوْسُ الثَّعالِـبِ إذْ ... لَمْ يَعْلُ هاماً وتَنْجو الضّالُ والسّلَمُ[6]

في الحبس

غَـلَّ ذا الحَـبْسُ يَـدي عَـنْ قَلَـمٍ ... كانَ لا يَـصْحو عـن الطِّـرْسِ فَنَامـا

---

(١) الوسام: جمع الوسيم: الحسن الوجه.

(٢) التعلة: ما يتعلل به من طعام أو غيره. الحِمام: قضاء الموت وقدره.

(٣) الندامى: جمع الندمان: بمعنى النديم: المنادم والمجالس على الشرب.

(٤) الندامى: جمع ندمان بمعنى نادم: التائب والآسف على ما فعل.

(٥) قالها بعد أن سمع في أحد الدروس أيام التعليم بيتين، وهما:

عـذ بـالخمول ولـذ بالـذل معتـصما ... بـالله تـنج كمـا أهـل النهـى سـلموا

فـالريح تحطـم إن هبـت عواصـفها ... دوح الثمـار وينجـو الـشيح والـرتم

(انظر: كتاب «الرحلات» للإمام).

(٦) الشيح: نبات ترعاه المواشي.

هَـلْ يَـذُودُ الغَمْـضُ عَـنْ مُقْلَتِـهِ ... أَوْ يُلاقـي بَعْـدَهُ الْمَـوْتَ الزُّؤامـا

أَنَـا لَـوْلا هِمَّـةٌ تَحْـدو إلـى ... خِدْمَـةِ الإسْـلام آثَـرْتُ الحِمَامـا

لَيْـسَتِ الـدُّنْيا ومـا يقـسُمُ مـن ... زَهْرِهـا إلاَّ سَـراباً أو جَهامـا[١]

نخوة

تَبْغـي اللّيـالي أَنْ تَفُـلَّ حُـسامي ... وتَـصُدَّ وَجْـدي بـالعُلا وغَرامـي[٢]

طَفِقَتْ تَحُثُّ خُطى الْمَطِيَّةِ بَعْـدَما ... أَلْقَـتْ لهـا أَيْـدي النَّـوى بِزمـامِ[٣]

أتَخَـالُني أبْلـى بِـسَلْوَةِ خَامِـلٍ ... ما شَطَّ عَنْ وَطَنـي الأَنيسِ مُقَامي

العَـزْمُ مَـا بَـيْنَ الجَـوانِحِ مُرْهَـفٌ ... والْمَجْـدُ أنّـى سِـرْتُ فَهـوَ أَمـامي

والسَّهْمُ يَصْدُرُ راغِمـاً ويُريـكَ مِـنْ ... جَلَـدٍ تَـرَنُّمَ ظـافِرٍ بِمَـرامِ

لَولا السُّرى لَمْ تَرْشُفِ النَّكْبـاءُ مِـنْ ... نَفَحـاتِ ثَغْـرِ الزَّهْـرَةِ البَـسَّامِ

كَـمْ مِـنْ يَـدٍ بَيْـضاءَ طَـوَّقَني بِهـا ... حَـادِي الرِّكـابِ إلـى رُبـوعِ الـشّام

وأَلَـذُّها سَـمَرٌ يُـذَكِّرُني البَهـا ... وابـنَ الْعَميـدِ إلـى أبـي تَمّـامِ[٤]

❐ ❐ ❐

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٢) تفل: تثلم.

(٣) طفق يفعل كذا: ابتدأ وأخذ.

(٤) البها: البهاء زهير (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) شاعر رقيق، ولد بمكة، واتصل بالملك الصالح أيوب بمصر، وتوفي بها. وله ديوان شعر مطبوع، ترجم إلى الإنكليزية نظماً.
ابن العميد: مرت ترجمته. أبو تمام: مرت ترجمته.



قافية النون

مشاهداتي في الحجاز[1]

أَلمَجْـــــدِ لا يَنـــــالُ القـــــاطِنينْ	وَدَّعَ الـصَّحْبَ وَحَيَّـا الظَّـاعِنينْ[2]
شـــامَ فـــي وِجْهَتِــهِ يُمْنـــاً وَلَـــوْ	زَجَـرَ الطَّيْـرَ لَمَـرَّتْ بـاليَمينْ[3]
لا تَلومَــا فــي النَّـوى مَـنْ هاجَـهُ	لِلنَّوى لا عِجُ شَـوْقٍ فـي الكَنـينْ[4]
شــاقَهُ الْبَيْــتُ وَقَبْــرُ المُــصْطَفى	ورُبــوعُ الخُلَفــاءِ الرَّاشِــدينْ[5]
ســارَ شَــوْطاً وَهْــوَ لا يَــدْري أَفـي	حُلُــمٍ أَمْ فــي زَمــانٍ لا يَخــونْ
ذَكَـرَ «الخِـضْرَ» و«موسـى» إذْ أَتـى	مَجْمَـعَ الْبَحْـرَيْنِ مُرْتـادَ الـسَّفينْ[6]

(١) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر من المجلد الخامس.

(٢) الظاعن: السائر.

(٣) شام البرق: نظر إليه من أين يقصد وأين يمطر. اليمن: البركة. زجر الطير: تفاءل به، يقال: فلان يزجر الطير: أي: يعافها: وهي أن يرمي الطائر بحصاة، أو أن يصيح به، فإن ولاه في طيرانه ميامنة، تفاءل به، وإن ولاه مياسرة، تطيّر منه. ونرى الشاعر يقول: لو زجر الطير، فهو لم يزجرها؛ لأن ذلك ضرب من الطيرة المنهي عنه.

(٤) النوى: البعد. الكنين: المستور، ويراد به: القلب والضمير.

(٥) شاقه الحب: شوقه إليه. البيت: الكعبة المشرفة بيت الله الحرام.

(٦) الخضر: صاحب النبي موسى عليه السلام. موسى: النبي موسى عليه السلام. =

رَكِبَ «الطَّائِفَ» يَطْوي الْبَحْرَ في ... جَذَلٍ والْبَحْرُ كالشَّيْخِ الرَّزينْ[1]

وإذا هَبَّتْ جَنوبٌ طَرَدَتْ ... ما يُلاقيهِ النَّدامى مِنْ شُجونْ[2]

هُمْ سُكارى ما احْتَسَتْ آذانُهُمْ ... حِكْمَةَ الْقُرْآنِ في نُطْقٍ رَصينْ

وَدَنَوا مِنْ «رابِغٍ» فاسْتَبَقوا ... يَذْكُرونَ اللهَ جَهْراً مُحْرِمينْ[3]

في بَياضٍ ناصِعٍ تَحْسَبُهُمْ ... بادِئَ الرَّأْيِ زُهوراً في الغُصونْ

رَسَتِ الطَّائِفُ في «جُدَّةَ» لا ... بَرِحَتْ «جُدَّةُ» في حِصْنٍ حَصينْ[4]

رَحَلوا في جُنْحِ لَيْلٍ وَأَتَوا ... مَكَّةَ الْغَرَّاءَ مِنْ نَحْوِ الحَجونْ[5]

في رِضا اللهِ خُطاً خاضوا بِها ... في حَصًى يَغْبِطُهُ الدُّرُّ المَصونْ

دَخَلوا بَيْتاً حَراماً يَسْتَوي ... فيهِ ذو التَّاجِ ومُغْبَرُّ الجَبينْ

شاهَدوا الكَعْبَةَ وَهْناً فَجَرَتْ ... عَبَراتُ الْبِشْرِ مِنْ بَعْضِ الجُفونْ[6]

= مجمع البحرين: ملتقى مجرى بحري فارس والروم.

(١) الطائف: اسم الباخرة التي ركبها صاحب الديوان من السويس إلى جدة.

(٢) الجنوب: ريح تقابل الشمال، ومنه: «إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح».

(٣) رابغ: بلدة على البحر الأحمر في الطريق بين جدة والمدينة المنورة، يحرم منها الحجاج القادمون من الشام ومصر والمغرب. المحرم: أحرم الحاج أو المعتمر: دخل في عمل حُرم عليه به ما كان حلالاً.

(٤) جدة: مدينة على البحر الأحمر، وهي ميناء مكة المكرمة، وباب الحجاج إليها بحراً، وقد أسسها سيدنا عثمان بن عفان، وبها قبر ينسب إلى حواء أم البشر.

(٥) الحجون: جبل بأعلى مكة المكرمة، عليه مدافن أهلها.

(٦) الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

مُقْلَــةُ الــدُّنْيا فَــإِنْ أَبْــصَرْتَها	فــي سَــوادٍ فَعُيــونُ الْغِيــدِ جُــون[١]
لَثَمــوا مِــنْ رُكْنِهــا الأَيْمَــنِ مــا	لَثَمَتْــهُ شَــفَتا طــهَ الأَمــينْ[٢]
هِــيَ بَيْــتُ اللهِ إِنْ طــافوا بِهــا	وَهُــمُ أَضْــيافُ رَبِّ الْعــالَمينْ
وَرَدوا «زَمْــزَمَ» يَــشْفونَ بهــا	ظَمَــأَ الأَكْبــادِ حينــاً بَعْــدَ حــينْ[٣]
لَوْ شَـفى «عَمْـرُو بْـنُ كُلْثـومٍ» بِهـا	غُلَّــهُ عــافَ خُمــورَ الأَنْــدَرِينْ[٤]
صَعِدوا «المَرْوَةَ» مِنْ بَعْدِ «الـصَّفا»	وَسَــعَوا للهِ سَــبْعاً راجِلــينْ[٥]
وَقَفــوا فــي «عَرَفــاتٍ» مَوْقِفــاً	يَطْرَحُ الآثامَ مِــنْ ماضــي الــسِّنينْ[٦]
إِنَّ دَهْــراً طــافَ ســاقِيهِ بِمــا	تَــشْتَهي أَنْفُــسُهُمْ غَيْــرُ ضَــنينْ

---

(١) مقلة الدنيا: الكعبة المشرفة وهي مجللة بالسواد، شبهها الشاعر بعين الدنيا. الجون: جمع الجوْن: السود.

(٢) الركن الأيمن: الركن اليماني من أركان الكعبة، وهو إلى جهة المغرب.

(٣) زمزم: هي البئر المعروفة داخل الحرم المكي، قيل: سميت بها لكثرة مائها، يقال: ماء زمزم، وزمزام، وقيل: هو اسم علم لها.

(٤) عمرو بن كلثوم: (. . . ـ ٤٠ق هـ) شاعر جاهلي، ولد في شمال جزيرة العرب، ومات في الجزيرة الفراتية. وكان عزيز النفس فاتكاً شجاعاً.

(٥) الصفا والمروة: يمتد المسعى بين الصفا والمروة إلى الجهتين الشرقية والجنوبية من المسجد الحرام، وكل منهما عبارة عن سطح مرتفع يصعد إليه بمدرجات قليلة العدد، وبه الميلان الأخضران. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨].

(٦) عرفات: مكان اجتماع الحجيج، ويبعد عن مكة المكرمة نحو خمسة وعشرين ميلاً.

هَبَطوا «جَمْعاً» وَقَدْ سادَ الدُّجى   وحَدَوْا منْها المَطايا مُصْبِحينْ[1]
هَلْ دَرَى المَشْعَرُ إذْ عاجوا بِهِ   أَنَّهُمْ جُنْدُ إمامِ المُرْسَلينْ[2]
نزلوا «خَيْفَ مِنىً» حَيْثُ رَمَوْا   بالحَصى سَبْعاً عَلى وَجْهِ اللَّعينْ[3]
وأَتَوْا «أُمَّ القُرى» فَاطَّوَّفوا   ثُمَّ عادوا «لِمنىً» في العائِدينْ[4]
رَكَعوا في مَسْجِدِ الخَيْفِ وَهَلْ   أَحْرَزوا فيهِ ثَوابَ الخاشِعينْ[5]
وَقَضَوْا حَقَّ «مِنىً» وَارْتَحَلوا   بَعْدَ أَنْ أَذَّنَ بالعَصْرِ أَذينْ[6]
سَلْ «ثَبيراً» ما لَهُ ظَلَّ بِها   مُلْقِيَ الرَّحْلِ وقَدْ بانَ الْقَطينْ[7]
أَفَلا يَحْمِلُ ما نَحْمِلُهُ   لِرُبى طَيْبَةَ مِنْ شَوْقٍ مَكينْ
دَعْ «ثَبيراً» قاسِيَ الْقَلْبِ فَهَلْ   تَلْفَحُ الأَشْواقُ صَخْراً فَيَلينْ

---

(١) جمع: هي المزدلفة: وسمي جمعاً؛ لاجتماع الناس فيه. الدجى: الظلمة.

(٢) المشعر: المشعر الحرام، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[البقرة: ١٩٨]، وقيل: إن المزدلفة كلها المشعر الحرام. ومعنى المشعر: معلم للعبادة.

(٣) خيف منى: سفح الجبل فيها. اللعين: إبليس.

(٤) أم القرى: من أسماء مكة المكرمة.

(٥) مسجد الخيف: مسجد في منى، وفي الحديث الشريف: «صلّى في مسجد الخيف سبعون نبيّاً منهم موسى». وبه المحراب والمنبر الذي خطب عليه النبي ﷺ.

(٦) الأذين: المؤذن.

(٧) ثبير: جبل بمكة المكرمة، سمي كذلك باسم رجل من هذيل مات فيه، فعرف به، وكان فيه سوق في الجاهلية كسوق عكاظ. القطين: القاطن.

3418

هَــذِهِ مَكَّــةُ مــا لِلــشَّمْسِ فــي   صُــفْرَةٍ تَحْكـي بِهـا وَجْـهَ الحَـزينْ

أَتُرينــا والنَّــوى قَــدْ أَزِفَــتْ   كَيْــفَ تَــصْفَرُّ وُجـوهُ النَّــازِحينْ

بَلْــدَةٌ عُظْمــى وَفــي آثارِهــا   أَنْفَــعُ الــذِّكْرى لِقَــومٍ يَعْقِلــونْ

شَــبَّ فـي بَطْحائها خَيْـرُ الـوَرى   وشَـبا فـي أُفْقِهـا أَسْـمَحُ دِيـنْ[1]

إِنْ عَزَمْنـا النَّـأْيَ عَنْهـا فالـضَّرو   راتُ قَدْ تُنْئي خَديناً عَـنْ خَـدين[2]

* * *

ســائِقَ الــسَّيَّارَةِ انْهَــضْ نَغْتَــنِمْ   فُرصَــةً نَرْقُبُهــا مُنْــذُ سِــنينْ

خُضْ بِـها الْبِـيدَ على سَلْعٍ فَلي   حاجَةٌ فـي أَرْضِ سَـلْعٍ وشُـؤونْ[3]

بَـيْنَ لَيْـلٍ مِثْـلِ أَحْـداقِ المَهـا   ونَهـارٍ مِثْـلِ نَـوْرِ الياسَـمينْ[4]

أَحْمَــدُ الإِدْلاجَ والتَّأْوِيــبَ إِذْ   أَرَيَـاني خَيْـرَ مـا تَهْـوى الْعُيـونْ[5]

أَمْتَعـا طَرْفــي بِمَــرْأَى رَوْضَــةٍ   أَوْدَعــوا تُرْبَتَهــا خَيْــرَ دفَــينْ

رَوْضَــةٌ يَــصْبو إِلَيْهــا كُـلُّ مَـنْ   عَــرَفَ الحَــقَّ وبــالحَقِّ يَـدينْ

---

(١) بطحاء مكة: ما بين جبليها المسميين بالأخشبين، وهما: أبو قبيس، والأحمر، وذلك صميم مكة، ومن كان يسكن البطحاء هم المحض واللباب من قريش، وكان دونهم من يسكن الظواهر من مكة. شبا: أضاء. أسمح دين: الإسلام.

(٢) الخدين: الصاحب والصديق.

(٣) سَلْع: جبل في ظاهر المدينة.

(٤) المها: جمع المهاة: البقرة الوحشية.

(٥) الإدلاج: السير أول الليل، وربما استعمل للسير آخر الليل. التأويب: السير جميع النهار.

شـادَها الهـادي عَلـى أُسِّ التُّقـى ... وَتـلا القُـرْآنَ فيهـا جِبْـرَئينْ[1]

حَـرَمٌ كَـمْ سُـقِيَتْ حَـصْباؤُهُ ... في دُجى اللَّيْـلِ دُمـوعَ القـانِتينْ[2]

فَاسْألوا المِحْرابَ عَنْ بَـدْرِ الهُـدى ... إذْ هَوى يَـسْجُدُ فـي مـاءٍ وَطـينْ[3]

مَعْهَـدُ الحِكْمَـةِ لا يَنْبُـتُ فـي ... دَوْحِـهِ إلاَّ الـدُّعاةُ المُـصْلِحونْ

مِـدْرَسٌ لِلْحَـرْبِ لَـمْ يَـرْمِ العِـدا ... قَـطُّ إلاَّ بِالكُمـاةِ الفـاتِحينْ[4]

ثُكْنَـةٌ لِلْجُنْـدِ والْقَـضْبِ إذا ... لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِـنَ الحَـرْبِ الزَّبـونْ[5]

حُجُـراتٌ مُلِئَـتْ طُهْـراً أمـا ... عَمَّرَتْهـا أُمَّهـاتُ المُـؤْمِنينْ

لُقِّنَـتْ فيهـا حُقـوقٌ أَنْقَـذَتْ ... رَبَّـةَ المَنْـزِلِ مِـنْ أَسْـرٍ يَـشينْ

---

(١) جبرئين: جبريل ـ عليه السلام ـ .

(٢) الحرم: الحرم النبوي الشريف، ومعنى الحرم: ما لا يحل انتهاكه. الحصباء: الحصى، الواحدة حصبة. القانت: القائم بالطاعة، والدائم عليها، والمصلي.

(٣) يسجد في ماء وطين: في هذا البيت يلمح الشاعر لما ورد في «صحيح البخاري» عن أبي سعيد ﷺ، قال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين، فخطبنا، وقال: «. . . إني رأيت أني أسجد في ماء وطين، فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ، فليرجع»، فرجعنا، وما في السماء قزعة (قطعة من السحاب)، فجاءت سحابة، فمطرت حتى سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته ﷺ.

(٤) المِدْرس: الموضع الذي يدرس فيه. الكماة: جمع الكمي: الشجاع.

(٥) القَضب: ما قطعت من الأغصان للسهام والقسي، ويقصد بها: السلاح والعتاد الحربي. حرب زبون: يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

هأنَــذا فــي مُقــامِ مُــؤْنِسٍ كَــسَنا الْبَـدْرِ مَهيـبٍ كـالعَرينْ[١]
فَــسَلاماً فــي حُــضورٍ بَعْــدَما كــادَ يُزْجيـهِ علـى البُعْـدِ حَنـينْ

* * *

جِئْـتَ يـا مُخْتـارُ والْعَـالَمُ فـي لَيْـلِ جَهْـلٍ وضَـلالٍ ومُجـونْ[٢]
فَمَحَــوْتَ الهَــزْلَ بالجِــدِّ كَمـا ذُدْتَ لَيْلَ الغَـيِّ عَـنْ صُبْحِ اليقـينْ
وَأَقَمْــتَ العِلْـمَ صَـرْحاً شـامِخاً وصَرَعْتَ الجَهْلَ طَعْناً فـي الـوَتينْ[٣]
سُــسْتَ أَقْوامــاً فَــساسُوا أُمَمــاً بِيَـدِ الإِنْـصافِ فـي حَـزْمٍ وَلِـينْ
وقَــضَوْا فيهــا بِــشَرْعٍ قَــيِّمٍ فَأَرَوْهـا كَيْـفَ يَقْـضي الْعـادِلونْ
«خـاتَمَ الرُّسْـلِ» أَلَـمْ يَأْتِـكَ مـا حَـلَّ بالأُمَّـةِ مِـنْ خَطْـبٍ مُهـينْ
وَيْلَهــا مِــنْ مُرْهِــقٍ فــي عَلَــنٍ وَخَـؤونٍ فـي ثِيـابِ النَّاصِـحينْ[٤]
لَيْـتَ قَوْمـاً وَرِثـوا هَـدْيَكَ لَـمْ يُغْمِضوا عَـنْ مُوبقـاتِ المُتْـرَفينْ[٥]
لَيْـتَ قَوْمـاً وَرِثـوا الرَّايَـةَ قَـدْ فَطِنـوا لِلـدَّاءِ والـدَّاءُ كَمـينْ[٦]

* * *

(١) مهيب: يخافه الناس. العرين: مأوى الأسد.

(٢) المجون: الهزل: يقال: مجن الرجل مجوناً: كان لا يبالي قولاً وفعلاً.

(٣) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٤) المرهق: الحاكم الظالم الجائر الذي يحمّل الأمة ما لا تطيق. الخؤون: الخائن.

(٥) الموبقات: المعاصي.

(٦) الكمين: الداخل في الأمر لا يفطن له.

دِينُــكَ الوَضَّــاءُ ثــارَتْ حَوْلَــهُ ... غُبْـرَةٌ مِـنْ شُـبُهاتِ الْمُبْطِلِـينْ[1]

مِـنْ يَـدٍ تَرْميـهِ فـي رَأْدِ الـضُّحى ... ويَدٍ تَرْميـهِ مِـنْ خَلْـفِ الـدُّجونْ[2]

ولَهُــمْ فــي كُــلِّ وادٍ قَلَــمٌ ... ولِـسانٌ لاصْـطِيادِ الغـافِلِينْ

كَـمْ أزاغـوا عَـنْ عَفـافٍ وهُـدًى ... مِـنْ بَنـاتٍ طـاهِراتٍ وَبَنِـينْ

لَـمْ يَرُعْنـا يـا أَبـا القاسِـمِ مِـنْ ... جَوْلَـةِ الغَـيِّ دَوِيٌّ وَطَنِـينْ[3]

إنَّ فـي الـشَّرْقِ شَـباباً أَيْقَنـوا ... أَنَّـكَ الـدَّاعي إلـى الحَـقِّ المُبِـينْ

إنَّ أَسْـنى المَجْـدِ فـي شَـعْبٍ إذا ... سـامَهُ الخَـصْمُ أَذًى لا يَـسْتَكِينْ

وَقَفـوا يَرْمـونَ أَعْـداءَ الهُـدى ... بِنِبـالٍ قَوْسُـها الْعِلْـمُ المَتِـينْ

يَعْـشَقونَ الْبَـذْلَ فـي الخَيْـرِ إذا ... عَـشِقَ الْمـالَ طَغـامٌ مُوسِـرونْ[4]

يُـؤْثِرونَ المَـوْتَ فـي عِـزٍّ علـى ... أَنْ يَعيشوا تَحْـتَ إرْهـاقٍ وهُـوْنْ[5]

وإلــى الحَــضْرَةِ مــا حُمِّلْتُــهُ ... مِـنْ تَحِيَّـاتِ شَـبابٍ ناهِـضِينْ

* * *

---

(١) الغبرة: الغبار.

(٢) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في الخمس الأول، وذلك شباب النهار. الدجون: جمع الدجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء، ويقصد بذلك: الظلمات.

(٣) أبو القاسم: النبي ﷺ.

(٤) الطغام: أوغاد الناس، الواحد والجمع فيه سواء.

(٥) الهون: الخزي.

أَيُّ وِرْدٍ لَـــمْ يُكَـــدَّرْ صَـــفْوُهُ   صَـــدَرٌ مـا الـدَّهْرُ إلاَّ مِنْجَنُـونْ[1]

أَزْمَـعَ الرَّكْـبُ رَحـيلاً لَـمْ يَكُـنْ   مِنْـهُ بُـدٌّ، والـضَّروراتُ فُنُـونْ

فَوَقَفْنــا لِـــوَداعٍ، والأَســـى   يَلْـذَعُ الآمـاقَ بالـدَّمْعِ السَّخينْ[2]

أَفَـلا نأْســى عَلـى عَهْـدٍ أَتـى   وَتَـوَلَّى وَهْـوَ مَقْطـوعُ القَـرينْ[3]

نَـضِرٌ كـالرَّوْضِ حَـلاَّهُ النَّـدى   بِجُمـانٍ صِـيغَ مِـنْ مـاءِ مَعـينْ[4]

* * *

يـا حِمًـى وَدَّعْتُـهُ والـشَّمْسُ قَـدْ   وَدَّعَـــتْ وَالْتَحَقَـــتْ بِـــالرّاحِلينْ

هَـلْ لَنـا عَـوْدٌ كَعَـوْدِ الـشَّمْسِ مِـنْ   قَبْـلِ أَنْ يَـصْرِفَنا عَنْـكَ المَنُـونْ[5]

وسَـــلاماً كُلَّمـــا رَتَّلْتُـــهُ   قالَـتِ الـدُّنْيا وَمَـنْ فيهـا: أَمـينْ[6]

رضيت عن اغترابي

«قالها بعد قدومه من الشام إلى مصر سنة ١٣٤١هـ».

رَضِـيتُ عَـنِ اغْتِرابـي إذْ لَحـاني   فَـــتًى لا يَنْظُـرُ الـدُّنيا بِعَيْنِـــي[7]

---

(١) الورد: الإشراف على الماء، والماء الذي يورد. الصَّدَر: الرجوع عن الماء. المنجنون: الدولاب الذي يستقى عليها، وهي مؤنثة.

(٢) السخين: الحار.

(٣) القرين: المقارن.

(٤) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. المعين: الجاري.

(٥) المنون: الموت.

(٦) أمين: آمين: اسم فعل معناه: استجب.

(٧) لحاني: لامني.

يَقُولُ: تُقِيمُ فِي مِصْرٍ وَحِيداً ... وَفَقْدُ الأُنْسِ إِحْدى المَوْتَتَيْنِ

أَلا تَحْدُو المَطِيَّةَ نَحْوَ أَرْضٍ ... تُعِيدُ إِلَيْكَ أُنْسَ الأُسْرَتَيْنِ[1]

وَعَيْشاً ناعِماً يَدَعُ الْبَقايَا ... مِنَ الأَعْمارِ بِيضاً كَاللُّجَيْنِ[2]

وقَوْمٌ أَمْحَضوكَ النُّصْحَ أَمْسَوْا ... كَواكِبَ فِي سَماءِ الْمَغْرِبَيْنِ[3]

فَقُلْتُ لَهُ: أَيَحْلُو لِي إِيابٌ ... وَتِلْكَ الأَرْضُ طافِحَةٌ بِغَيْنِ[4]

وما غَيْنُ البِلادِ سِوى اعْتِسافٍ ... يُدَنِّسُها بِهِ خَرِقُ الْيَدَيْنِ[5]

فَعَيْشٌ رافِهٌ فيها يُساوي ... إِذا أَنا سُمْتُهُ خُفَّيْ حُنَيْنِ[6]

أَحِنُّ إِلى لَيالِيها كَصَبٍّ ... يَحِنُّ إِلى لَيالي الرَّقْمَتَيْنِ[7]

---

(١) الأسرتان: أسرة والده من آل الحسين، وأسرة والدته من آل عزوز من أشراف العائلات التونسية.

(٢) اللجين: الفضة.

(٣) المغربان: ويقصد بهما المغرب الأدنى تونس، والمغرب الأوسط الجزائر، إذ أن عائلة الشاعر تقيم في القطرين.

(٤) الغين: الغيم، تلميح إلى الاستعمار الفرنسي آنذاك.

(٥) الاعتساف: يقال: اعتسف الأمر: ركبه بلا تدبير ولا روية. خَرِقُ اليدين: من لا يحسن الصنعة.

(٦) الرافه: الرغد والخصب. خفي حنين: إشارة إلى المثل «رجع بخفي حنين»، وقصته معروفة.

(٧) الرقمتان: روضتان بناحية الصَّمّان، ومنها قول القاضي عياض:

رأت قمر السماء فذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين

وَمَطْمَـحُ هِمَّتـي فـي أَنْ أَراهـا تُـسامي فـي عُلاهـا الفَرْقَـدَيْنِ[١]

عذاب الصّامتين

صُـغْتُ بِالنَّـارِ سُـيوفاً لَـمْ يَكُـنْ صَـوْغُها إلاّ لِكَـبْحِ المُجْـرِمينْ
قَبَـضَتْ أَيْـدٍ علـى هاماتِهـا وانتُـضَتْها نُـصْرَةً لِلظَّـالِمينْ[٢]
أَطْفِـئِ النَّـارَ فَإِسْـعادُ أُولـي الْـ ـبَغْيِ طَعْنٌ في ظُهـورِ المُـصْلِحينْ
لَـوْ يَحـولُ الْبَغْـيُ طَيْـراً لَـمْ يَـصِرْ غَيْرَ بُوْمٍ فـي حِـسابِ الزَّاجِـرينْ[٣]
إنْ يَحُـمْ فـي أَرْضِ قَـوْمٍ سـادِراً لَقِـيَ الْقَـوْمُ عَـذابَ الـصَّامِتينْ[٤]
وَيْحَهُـمْ لَـوْ نَهَـضوا حَتَّـى رَأَوْا عُنُـقَ الْبَاطِـلِ مَقْطـوعَ الـوَتينْ

أسمع جعجعة ولا أرى طحنا

«قيلت للنصح بترك الهذيان في مجالس أهل الفضل».

أَتَـى زَيْـدٌ وأَسْـرَفَ فـي هُـذاءٍ تَـضيقُ بِـهِ صُـدورُ الـسَّامِرينا[٥]
يُحَـدِّثُنا فَـلا يَـرْوي غَريبـاً ولا يُبْـدي لَنـا رَأْيـاً رَصـينا

---

(١) الفرقدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي يهتدي بهما

(٢) الهامات: جمع الهامة: رأس كل شيء.

(٣) البوم: طائر يسكن الخراب، يضرب به المثل في الشؤم. الزاجر: زجر الطير: تفاءل به فتطير فنهره.

(٤) السادر: الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع.

(٥) الهذاء: هذى الرجل: تكلم بغير معقول لمرض أو غيره، والاسم الهذاء.

كَمِثْـلِ رَحًـى تُجَعْجِـعُ طـولَ لَيْـلٍ ... ولا تُلْقـي علـى ثُفْـلٍ طَحينـا[1]

كلانا ناظر ورداً

«قالها بمناسبة ما جرى في بعض المجالس من المذاكرة في معنى البيتين المشار إليهما في هذه الأبيات التالية».

أَنْشَدَتْنا شِعْرَ لَهْفانٍ عَلى ... وَصْلِ لَيْلى وَلَيالي الرَّقْمَتَيْنِ[2]

قُلْتُ: خَلِّي ذِكْرَ مَنْ قالَ وَلَمْ ... يُبْرِزِ المَعْنى: رَأَتْ بَدْراً بِعَيْني

واذْكُري يَوْمَ تَلاقينا عَلى ... رَبْوَةٍ والماءُ صافٍ كاللُّجَيْنِ

غادَةٌ تَرْنو إلى وَرْدِ الرُّبى ... وفَتىً يَلْحَظُ وَرْدَ الوَجْنَتَيْنَ

أحمد الظعن

«قيلت على لسان قلم أهداه لأحد الكتاب بعد عودته من برلين سنة ١٣٣٤هـ».

أَطْوي المَراحِلَ مِنْ «بَرْلينَ» في أَمَلٍ ... لَمْ يَجْنِ زَهْرَتَهُ كَفُّ الَّذي قَطَنا[3]

فَأَحْمَدُ الظَّعْنَ إِنَّ الظَّعْنَ أَظْفَرَني ... بِأَنْمُلٍ تَخْدِمُ الإِسْلامَ والوَطَنا[4]

الزّيارة دعامة الصّداقة

لي صَديقٌ أَلْقاهُ يَوْماً فَيَوْماً ... في احْتِفاءٍ وَما شَعَرْنا بِغَبْنِ[5]

---

(١) الرحى: الطاحون. الثفل: جلد يبسط فتجعل الرحى فوقه، فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق.

(٢) اللهفان: المتحسر.

(٣) المراحل: جمع المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم.

(٤) الظعن: السير. الأنمل: جمع الأنملة: رأس الأصبع.

(٥) الغبن: الخديعة.

غـــابَ عَنَّـــا ثَلاثَـــةً فعَتِبْنـــا   خَـوْفَ أَنْ يُبْتَلـى الـوِدادُ بِـوَهْنِ
وإذا رُمْـــتَ للـــصَّداقَةِ حِـــصْنا   فَعِتـابُ الـصَّديقِ أَمْنَـعُ حِـصْنِ
قـالَ: أَخْـشَى إذا وَصَـلْتُ لِقـاءً   بِلِقـاءٍ أَنْ يَـسْأَمَ الخِـلُّ مِنِّـي
قُلْـتُ: أَصْـفَيْتُكَ الـوِدادَ لأَخْـلا   قِ سِـماحٍ كأَنَّهـا مـاءُ مُـزْنِ[1]
فَـإذا مـا سَـئِمْتُ مَلْقـاكَ فـايْقِنْ   أَنَّـني قَـدْ سَئِمْتُ لَحْظي وجَفْني

ننجي الوطنا

طـالَ لَيْلـي ولِمـا طـالَ وَلَـمْ   أَشْكُ هِجْرانَ حَبيبٍ أَوْ ضَنى[2]
فَكَـأَنَّ الـصُّبْحَ طِـرْفٌ جامِحٌ   سـارَ شَـوْطاً نَحْوَنـا ثُـمَّ انْثَنـى[3]
أَرَقٌ يَمْـــلأُ أَجْفـــاني وقَـــدْ   مُلِئَـتْ أَجْفـانُ غَيْـري وَسَـنا
أَتَـرى اللَّيْـلَ سَـواداً غَرِقَـتْ   فيـهِ آفـاقٌ وَوارى أَعْيُنـا؟
أَمْ تُـرى الـصُّبْحَ بَياضـاً خَطَّـهُ   في جَبينِ الْكَونِ وَضَّاحُ السَّنا؟[4]
لَـمْ نَـزَلْ فـي غَـسَقٍ مُـذْ هَـزَّ فـي   أَرْضِـنا الطَّـاغي بُنـوداً وقَنـا[5]

---

(١) المزن: السحاب.

(٢) الضنى: المرض والهزال وسوء الحال.

(٣) الطِّرف: الكريم من الخيل. وكذلك الكريم الأطراف من الآباء والأمهات. الجامح: اسم فاعل، الذكر والأنثى فيه سواء، ويجمع على جوامح، يقال: جمح الفرس: ركب رأسه لا يثنيه شيء.

(٤) السنا: الضوء الساطع، والمراد به، الشمس.

(٥) البنود: جمع البند: العلم الكبير.

وَصَباحي يَومَ نَطْوي بَنْدَهُ ... بِيَدِ الْقَهْرِ وَنُنْجي الوَطَنا

خانها الحرّاس

«قالها في واقعة حال بالآستانة».

يا رِياضاً خانَها الحُرَّاسُ إذْ ... غَرِقَتْ أَعْيُنُهُم في وَسَنِ[1]

سَرَقَتْ ريحُ الصَّبا مِنْكَ شَذاً ... طابَ وانْسابَتْ بِهِ في الدِّمَنِ[2]

على طريقة حديث عنقاء

«قالها بمناسبة مذاكرة أدبية جرى فيها قول أبي سهل في طالع قصيدة: حديث عنقاء صب أدرك الأملا».

حَديثُ عَنْقاءَ شَعْبٌ أَنْقَذَ الوَطَنا ... ولَمْ يَسُلَّ سُيوفاً أَوْ يَهُزَّ قَنا[3]

والعِزُّ يَجْعَلُ أَرْضي رَوْضَةً أُنُفاً ... فَإِنْ أَناخَ بِها ضَيْمٌ غَدَتْ دِمَنا[4]

وَلَيْسَ يَلْدِزُ والبُرْدُ الْقَشيبُ إذا ... ما ساَسَنا الخَصْمُ إلاَّ الْقَبْرَ والكَفَنا[5]

---

(١) الوسن: شدة النوم.

(٢) الدمن: جمع الدمنة: آثار الدار.

(٣) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم لا يعرف، ويراد بحديث عنقاء: الأمر لا حقيقة له، قال الشاعر:

الجود والغول والعنقاء ثالثة ... أسماء أشياء لم توجد ولم تكن،

وقال آخر:

ثلاثة ليس لها وجود ... الغول والعنقاء والودود.

(٤) الروضة الأنف: التي لم يرعها أحد. أناخ: أنزل. الضيم: الظلم.

(٥) يلدز: قصر السلاطين العثمانيين في الآستانة. القشيب: الجديد.

عُسْفُ العِدا دَرَنٌ فاسْكُبْ عَلَيْهِ دَماً مِنَ الدِّماءِ الْغَوالي تَغْسِلُ الدَّرَنا[1]

ولا يَروعَنْكَ جُنْدٌ شَنَّ غارَتَه على الْبُغاثِ فَلاقى الجُبْنَ والوَهَنا[2]

إنَّ الصُّقورَ إذا انْقَضَّتْ تُنافِحُ عَنْ أَوْكارِها لَمْ تَهَبْ جُنْداً ولا ثُكَنا[3]

وسيرَةُ الحُرِّ إذْ يُبْلى بِطاغِيَةٍ يَسومُهُ رَهَقاً أَنْ يَهْجُرَ الوَسَنا[4]

ويُسْرِحَ الطَّرْفَ في غَوْرٍ وفي عَلَمٍ ويُنْفِذَ السَّهْمَ إنْ سِرّاً وَإنْ عَلَنا[5]

يَبْغي الحَياةَ فَإِنْ ضاقَتْ عَلى الهِمَمِ الْـ ـكُبْرى فَما هُوَ مِمَّنْ يَعْشَقُ الزَّمَنا

الدّعاء للميّت خير من تأبينه

«قيلت في مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٦٨».

تُسائِلُني هَلْ في صِحابِكَ شاعِرٌ إذا مُتَّ قالَ الشِّعْرَ وَهْوَ حَزينُ

فَقُلْتُ لها: لا هَمَّ لي بَعْدَ مَوْتَتي سِوى أَنْ أَرى أُخْرايَ كَيْفَ تَكونُ

وما الشِّعْرُ بِالمُغْني فَتيلاً عَنِ امْرِئٍ يُلاقي جَزاءً والجَزاءُ مُهينُ[6]

وَإنْ أَحْظَ بالرُّحْمى فَما لِيَ مِنْ هَوًى سِواها، وأَهْواءُ النُّفوسِ شُجونُ

---

(١) العسف: الظلم. الدرن: الوسخ.

(٢) البغاث: طائر لا يصاد ولا يُرغب في صيده، شرار الطير.

(٣) الثكن: جمع الثكنة: مركز الأجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم، وإن لم يكن هناك لواء ولا علم.

(٤) الرهق: حمل الإنسان على ما لا يطيقه.

(٥) الغور: ما انحدر من الأرض. العلم: الجبل الطويل.

(٦) الفتيل: حبل دقيق من خزم أو ليف أو غيره.

فَخَلِّي فَعولُنْ فاعِلاتٌ تُقالُ في ... أُناسٍ لَهُمْ فَوْقَ التُّرابِ شُؤونُ
وَإنْ شِئْتِ تَأْبيني فَدَعْوَةُ ساجِدٍ ... لَهُ بَيْنَ أَحْناءِ الضُّلوعِ حَنينُ[1]

من برلين إلى دمشق

«قيلت في دمشق عند رجوعه من ألمانيا سنة ١٣٣٧هـ».

سَئِمْتُ، وَما سَئِمْتُ سِوى مُقامي ... بِدارٍ لا يَروجُ بِهِ بَياني[2]
فَأَزْمَعْتُ الرَّحيلَ، وفَرْطُ شَوْقي ... إلى بَرَدَى تَحَكَّمَ في عِناني
بَكَرْتُ إلى القِطارِ فَسارَ تَوًّا ... إلى مَرْسى السَّفينِ كَأُفْعُوانِ[3]
نَهَضْتُ على السَّفينَةِ في رِفاقٍ ... سَلَوْتُ بِأُنْسِهِمْ نُوَبَ الزَّمانِ
وقَضَّيْنا بِها عِشْرينَ يَوْماً ... فَلَمْ نَلِجِ الْبِلادَ ولا المَواني
تُقَلِّبُها الْعَواصِفُ كَيْفَ شاءَتْ ... وتَقْذِفُها بِأَمْواجٍ سِمانِ
أَلا بُعْداً لِما تُذْكيهِ ريحٌ ... عَلى الدَّأْماءِ مِنْ حَرْبٍ عَوانِ[4]
رَسَتْ بِمياهِ لُنْدُنَ وَهْيَ قُصْوى ... فَلا بَشَراً نُحِسُّ ولا المَغاني[5]
وَوافاها الْعريفُ ومُسْعِدوهُ ... سِراعاً في زَوارِقَ كالْهِجانِ[6]

---

(١) التأبين: الثناء على الميت.

(٢) يروج: يقال: راجت السلعة: أي: نفقت.

(٣) مرسى السفين: ميناء هامبورغ بألمانيا.

(٤) الدأماء: البحر. حرب عوان: هي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.

(٥) لندن: عاصمة إنكلترا. قصوى: بعيدة. المغاني: جمع المغنى: المنزل.

(٦) العريف: القيم بأمر القوم الذي عرف بذلك. الهجان من الإبل: البيض الكرام.

وأَبْـصَرْنا جَفـاءً فـي وُجـوهٍ مُقَطَّبَـةٍ وأَحْـداقٍ رَوانـي
فَقُـلْ لِلإِنْكليـزِ صَـرَعْتَ خَـصْماً وحُـزْتَ الـسَّبْقَ فـي يَـوْمِ الرِّهـانِ
فَخَـلٍّ الـشَّرْقَ يَـنْهَضُ مُـسْتَقِلاًّ فَمـا هُـوَ بِـاليَؤُوسِ ولا الجَبـانِ

* * *

أَرُبَّـانَ الـسَّفينَةِ قِـفْ مَلِيّـاً نُـؤَبِّنُ فاتِحـاً ثَبْـتَ الجَنـانِ(١)
كَـأَنَّ رِيَـاحَ هـذا الـصُّبْحِ مَـرَّتْ بِـأَرْواحٍ تَـنَعَّمُ فـي الجِنـانِ(٢)
أَرى جَـبَلاً تَـسَنَّمَهُ قَـديماً دُعـاةُ الحَـقِّ والـسُّنَنِ الحِـسانِ(٣)
وَساسُـوا أرضَ أَنْـدَلُسٍ بِعَـدْلٍ كمـا صَـنَعوا بِـأَرْضِ القَيْـرَوانِ
ومـا انْقَلَبَـتْ إلـى الإسْـبانِ إلاَّ عَلـى أَيْـدي الْمَزاهِـرِ والقِيـانِ
عَبَرنـا الـدَّرْدَنيلَ ضُـحًى وجِئْنـا فَـروقَ وقَـدْ تَهـاوَتْ فـي هَـوانِ(٤)
لَمَحْـتُ عَلـى الوُجـوهِ بِهـا كُـسوفاً وكِـدْتُ أَرى الـتَّجَهُّمَ فـي المَبـاني
يَمـيسُ بأَرْضِـها الحُلَفـاءُ سَـكْرى وإِنْ لَـمْ يَحْتَـسوا بِنْـتَ الـدِّنانِ(٥)
ولَـمْ أَعْهَـدْ بِهـا إِلاَّ حُـصوناً كَـسَتْها رَوْعَـةَ الـسَّيْفِ الْيَمـاني

* * *

---

(١) الفاتح: طارق بن زياد. الجَنان: القلب.

(٢) الجِنان: جمع الجنة: الحديقة ذات الشجر.

(٣) تسنَّم الشيء: علاه.

(٤) فروق: إستانبول.

(٥) بنت الدنان: الخمر.

بَرِحْـتُ فَـروقَ مَأْسـوفاً وهـذي — رُبـى أَزْميـرَ حالِكَـةُ الـدِّجانِ[1]

يَجـوسُ خِلالَهـا اليُونـانُ مَرْحـى — مِـراحَ الفُـرْسِ يَـوْمَ المِهْرَجـانِ[2]

فَيا نَكَـدي يَـسوسُ الخَـصْمُ أَمْـري — وكُنْـتُ أَذَقْتُـهُ حَـرَّ الطِّعـانِ

* * *

قَـصَدْتُ إلـى الـشَّآمِ ولَـسْتُ أدْري — أَيَقْـسُو أَمْ يَلـينُ بِهـا زَمـاني

وللإِفْـرَنْجِ فـي بَيْـروتَ عَـيْنٌ — يُـسَمّى مَـنْ يُـساجِلُهُمْ بِجـاني[3]

وَصَـلْتُ إلـى طَـرابُلُسٍ وَحِيـداً — أُعـانِي بِـالتَّنَكُّرِ مـا أُعـاني[4]

يَـشينُ قِبابَهـا عَلَـمٌ غَريـبٌ — وَذاكَ عَلامَـةُ الـوَطَنِ الْمُهـانِ

هَلُـمَّ حَقيبَتـي لأَحُـطَّ رَحْلـي — فَـنَفْحُ زُهـورٍ جِلَّـقَ فـي تَـداني

فَخُـضْ بـي أَيُّهـا الحـادي رُباهـا — وَأَلْـقِ عَـصا التَّرَحُّـلِ غَيْـرَ واني[5]

حَلَلْـتُ بِهـا وَلَـمْ أَفْقِـدْ نَـدامَى — عَلـى أَدَبٍ وعَيْـشاً فـي لِيـانِ[6]

ولِلأَقْـدارِ فـي الـدُّنْيا صُـروفٌ — طَوَيْتُ على الحَديثِ بِها لِساني[7]

---

(١) أزمير: مرفأ في تركيا على بحر إيجه. الدِّجان: جمع الدّجين: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء.

(٢) المِراح: التبختر والاختيال.

(٣) العين: الجاسوس. ساجل: بارى وفاخر وعارض.

(٤) طرابلس: مدينة ساحلية في لبنان.

(٥) الواني: الضعيف البدن.

(٦) ليان: رخاء العيش ونعيمه.

(٧) الصروف: جمع الصرْف: حدثان الدهر ونوائبه.

على النّيل

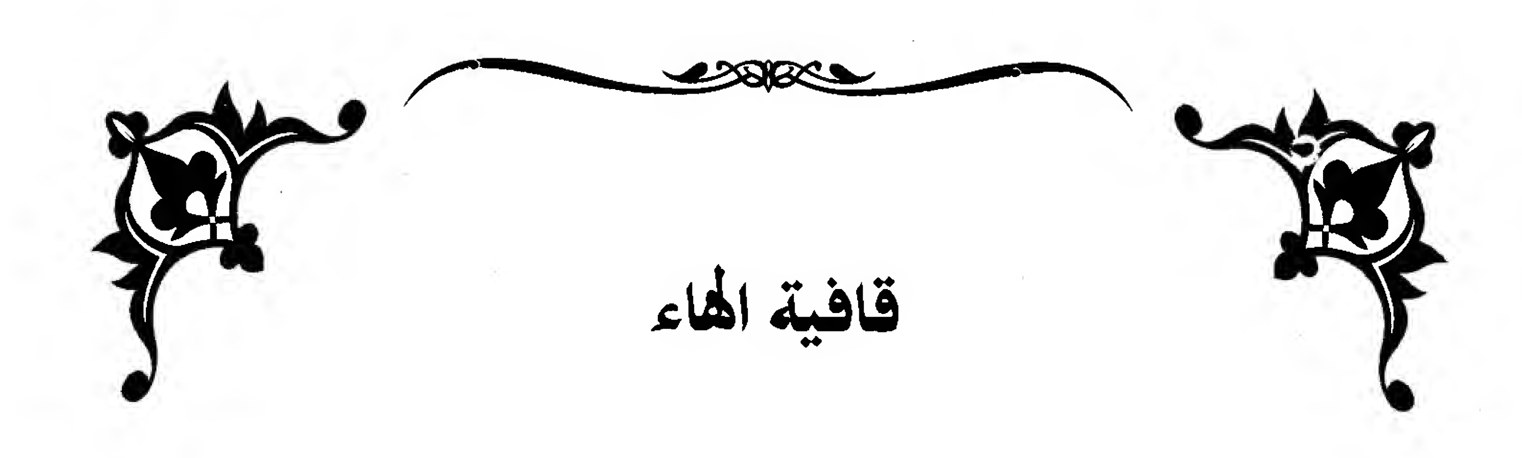
عَبَرْتُ عَلى جِسْرٍ أَرى النَّيـلَ تَحْتَـهُ إلى رَوْضَةٍ فاشْتَقْتُ مَنْهَـلَ زَغْـوانِ[1]
صِـراطٌ وفِـرْدَوْسٌ وسَلْسَالُ كَـوْثَرٍ وما قَيْظُ أَشْواقي سِوى وَهْجِ نيـرانِ

أزمير

لأَزْميـرَ شَـكْلٌ كـالهِلالِ مقَـوَّسٌ وَلَكِنْ لَهُ فـي مُنْتَهـى البَحْـرِ أَلـوانُ
وَأَحْسَبُهُ الشَّكْلَ الَّذي اخْتَطَفَ النُّهى لِقَوْمٍ فقَالوا: في الكَواكِـبِ سُـكَّانُ

❐ ❐ ❐

(١) زغوان: نهر في تونس.



قافية الهاء

تحية دمشق سنة ١٣٥٦هـ[1]

زارَهـا بَعْـدَ نَـوًى طـالَ مَـداها ... فَـشَفى قَلْبـاً مُجِـدّاً فـي هَواهـا[2]

راحَ نَــشْوانَ ولا راحٌ سِـــوى ... أَنْ أَرى الـشّامَ وَحَيّـاهُ شَـذاها[3]

نَظْــرَةٌ فـــي ســاحِها تُــذْكِرُهُ ... كَيْفَ كانَ الْعَيْشُ يَحْلـو فـي رُباهـا

مــا شَــكا فيهــا اغْترابــاً، وإذا ... حَدَّثَتْـهُ الـنَّفْسُ بالـشَّكْوى نَهاهـا

مَنْ يَحُـثُّ العِيسَ فـي البِيدِ إلـى ... بَـرَدَى يَحْمَـدُ لِلعـيسِ سُـراها[4]

فَهُنــا قامَــتْ نَــوادي فِتْيَــةٍ ... تَبْلُـغُ الـنَّفْسُ بِمَلْقـاهُمْ مُناهـا

أَدَبٌ يَزهـــو كَزَهْـــرٍ عَطِـــرٍ ... أَرْشَفَتْهُ الـسُّحْبُ مِـنْ خَمْـرٍ نَـداها

خُلُــقٌ لَــوْ نَـصَحَ الخَـوْدَ بِــهِ ... ناصِـحٌ لاتَّخَـذَتْ مِنْـهُ حُلاهـا[5]

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني من المجلد العاشر.

(٢) النوى: البعد.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، أو ظلمة خفية، الواحد أعيس، والواحدة عيساء، ويقال: هي كرام الإبل. بردى: نهر في دمشق. السُّرى: سير عامة الليل.

(٥) الخوْد: الحسنة الخَلْق.

مَلَــؤوا «جِلَّــقَ» أُنْـسـاً فَــأَرى	لَيْلَهـا طَلْـقَ المُحَيَّـا كَـضُحاها[١]
شَـدَّ مـا لاقَـوْا خُطوبـاً فَانْتَـضَوْا	مُرْهَفاتِ الْعَزْمِ طَعْنـاً فـي لَهاهـا[٢]
عِــزَّةُ الأُمَّـــةِ فـــي نَــشْءٍ إذا	نَـشَبَتْ فـي خَطَـرٍ كـانوا فِـداها
وَجَناحـــا فَوْزِهـــا اسْتِمْـــساكُها	بِهُـــدى اللهِ وإرْهـــافُ قَناهـــا
هِـــيَ عَـــيْنٌ والهُـــدى إنْـسانُها	فَـإذا مـا فَـسَقَتْ لاقَـتْ عَماهـا[٣]
رتِّـــلِ الـــذِّكرَ مَلِيَّـــاً تَـــرَهُ	يَغْـرِسُ الحِكْمَـةَ أَوْ يَجْنـي جَناهـا
أطْلَـقَ الأَفْكـارَ مِـنْ أَصْـفادِها	فَمَـضَتْ تَرْعـى الثُّرَيّـا وسُـهاها[٤]
خُـضْ عُلـومَ الْكَـوْنِ أَحْقابـاً وسِـرْ	في سَماها إنْ تَـشَأْ أَوْ فـي ثَراهـا[٥]
لا تَـرى فـي الـدِّينِ إلاَّ مُغْرِيـاً	بِحُلاهـــا أَوْ مُزيحـــاً لَقَـــذاها[٦]
ذَكَّرونـــا سَــلَفاً قـــامَ عَلـــى	خُطَّـةٍ غَـرَّاءَ والـدَّهْرُ طَواهـا[٧]
أُمَّـــةٌ يُـــذْكي التُّقـــى غَيْرَتَهـــا	مِثْلَمـا يُـذْكي النَّـدى نـارَ قِراهـا[٨]

---

(١) جلق: دمشق.

(٢) اللهى: جمع اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٣) الإنسان: المثال الذي يرى في سواد العين.

(٤) الأصفاد: جمع الصفد: الوثاق الذي يشد به الأسير. الثريا: سبعة كواكب في عنق الثور، سميت بذلك؛ لكثرة كواكبها مع ضيق المحل. السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

(٥) الأحقاب: جمع الحُقب: ثمانون سنة، وقيل: أكثر من ذلك، الدهر.

(٦) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

(٧) السلف: كل من تقدمك من آبائك وقرابتك، والجمع أسلاف.

(٨) الندى: الجود. القرى: الضيافة.

شَـرَفٌ لَـوْ آنَـسَتْهُ الـشَّمْسُ فـي ... أُفْقِـهِ الأَعْلـى لَظَنَّتْـهُ أَباهـا

أَوَ يُجْـدي مَجْـدُ أَسْـلافٍ إذا ... غَرِقَتْ أَجْفانُ خَلْفٍ في كَراها[1]

أُمَّـةٌ تَلْهـو بِـذِكْرى تالِـدٍ ... عَنْ طَريفٍ لَمْ تَـرِمْ عَهْدَ صِباها[2]

فَابْعَثوهـا هِمَمـاً تَـسْمو كَمـا ... سَمَتِ الجَوْزاءُ تَزْهو في سَناها[3]

مـا الفَخـارُ الحَـقُّ إلاَّ نَهْـضَةٌ ... أَحْكَـمَ الإيمـانُ والْعِلْـمُ عُراهـا

سرق الغمام

سَـرَقَ الغَمـامُ الْيَـوْمَ ظِلّـي بَعْـدَ أَنْ ... رَسَمَتْهُ في «لنداو» شَمْسُ ضُحاها

ويَدُ الرّحيلِ تَخَطَّفَتْ مِـنْ «جِلَّـقٍ» ... جِسْمِي وأَبْقَـتْ مُهْجَتـي بُرباهـا

فَأَنـا خَيـالٌ والبُحَيْـرَةُ مُقْلَـةٌ ... لَكِـنْ تَطـاوَلَ بِالخَيـالِ كَراهَـا

هاهنا شمسُ علوم

«عاد الشاعر من ألمانيا سنة ١٣٣٤هـ إلى الآستانة، وكان خاله العلامة الشيخ محمد المكي بن عزوز[4] قد توفي بها قبل قدوم صاحب الديوان بنحو شهرين، فزار قبره. وبهذه المناسبة قال هذه القصيدة».

رُبَّ شَـمْسٍ طَلَعَـتْ فـي مَغْـرِبٍ ... وتَـوارى فـي ثَـرى الـشَّرْقِ سَناها

---

(١) الكرى: النعاس.

(٢) التالد: المال القديم. الطريف: المكتسب من المال.

(٣) الجوزاء: برج في السماء.

(٤) محمد المكي بن عزوز: (١٢٧٠ ـ ١٣٣٤هـ) عالم محدث مؤرخ ففيه أديب، ولد في «نفطة» بتونس، وولي القضاء والإفتاء بنفطة، ثم رحل إلى الآستانة، فتولى تدريس الحديث في «دار الفنون ومدرسة الواعظين»، وتوفي بالآستانة، له مؤلفات عديدة في سائر العلوم.

هاهُنــا شَــمْسُ عُلــومٍ غَرَبَــتْ   بَعْدَ أنْ أبْلَتْ «بِتِرْشِيشَ» ضُحاها[١]

بِفُــؤادي لَوْعَــةٌ مِــنْ فَقْــدِها   كُلَّمــا أَذْكُــرُهُ اشْــتَدَّ لَظاهــا

فَقِفــا لَمْحَــةَ طَــرْفٍ نَقْتَنــي   عِبَــراً مِــنْ سِــيرَةٍ طــابَ شَــذاها

أَيُّهــا الرَّاحِــلُ قَــدْ رَوَّعْتَنــا   بِفِــراقٍ حَــرَمَ الْعَــيْنَ كَراهــا

لَــكَ نَفْــسٌ سَــرَّحَتْ هِمَّتَهــا   في مَراعي الْعِلْمِ مِنْ عَهْدِ صِباها

صــاعَرَتْ لِلَّهْــوِ خَــدّاً وَرَأَتْ   فــي ذُرى الْعَلْيــاءِ أَهْــدافَ هَواهــا

تَتَبــاهى الْبِــيضُ فــي يَــوْمِ الــوَغى   بِظُبــاً مُرْهَفَــةٍ لا بِحُلاهــا[٢]

وحِجــاً أَشْــرَفَ مِــنْ عَلْيائِــهِ   يَجْتَلي زُهْرَ الدَّيَاجي وسُهاها[٣]

غِبْــتُ فــي ذِكْــرى لَيــالٍ غَــضَّةٍ   وَثَــبَ الــدَّهْرُ عَلَيْهــا فَطَواهــا

إذْ رُبــى «نَفْطَــةَ» تُزْهــى فــي حُلــى   زَهْرِها الرَّيّانِ مِنْ خَمْرِ نَداها[٤]

وظِــلالٍ بَــيْنَ دَوْحٍ ناضِــرٍ   ونُهــورٍ يَبْهَــرُ الكَــأْسَ صَــفاها

وطُيــورُ الأَيْــكِ فــي أَغْــصانِها   تَخْطَفُ السَّمْعَ بِأَنْغامِ لُغاها[٥]

بَــيْنَ هاتيــكَ الرُّبــى لَقَّنْتَنــا   أَدَبَ الْعُــرْبِ كِتابــاً وَشِــفاها

---

(١) ترشيش: اسم قديم من أسماء تونس.

(٢) البيض: جمع الأبيض: السيف. الوغى: الحرب. الظبا: جمع الظبي: حد السيف. مرهف: محدد مرقق الحد.

(٣) الحِجا: العقل. السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

(٤) نفطة: بلدة في الجريد من أعمال تونس. الريان: ضد العطشان.

(٥) الأيك: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة أيكة. لغى: جمع لغة.

وتَرَحَّلْتَ إلى تونُسَ في ... نِعْمَةِ الْمَغْبوطِ إقْبالاً وَجاها[1]
صُغْتَ بِالتَّدْريسِ أَطْواقاً شَبا ... دُرُّها بالجامعِ السَّامي فتاها[2]
أيْنَما كُنْتَ تَداعَتْ أُمَمٌ ... تَتَمَلَّى رَوْضَةً يَحْلو جَناها
مِنْ عُلومِ اللُّغَةِ الْفُصْحى إلى ... حِكْمَةِ الشَّرْعِ إلى عِلْمٍ سِواها[3]
لُغَةُ الْعُرْبِ ثِقافٌ لِلنُّهى ... وعُلومُ الدِّينِ نِبْراسُ هُداها[4]
وتَفاءَلْتَ فَأَزْمَعْتَ النَّوى ... و(بِإِسْتانْبولَ) أَلْقَيْتَ عَصاها[5]
أَلَقِيتَ الأُنْسَ في أَرْجائِها ... مِثْلَما تَلْقى بِها ريحَ صَباها؟
زُرْتُ مَغْناكَ ومِنْ سُمَّارِكَ الْـ ... ـقَلَمُ الْباحِثُ في سُنَّةِ (طه)[6]
ورِجالٌ بَعَثوا أَرْواحَهُمْ ... في قَراطيسَ تُناجي مَنْ وَعاها
لَمْ تَعِشْ فيها غَريباً فَقَرا ... بَةُ أَهْلِ النُّبْلِ أَحْكَمْتَ عُراها

---

(١) المغبوط: الذي يتمنى الإنسان مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه؛ لما أعجبه منه، وعظم عنده.

(٢) شبا: أضاء.

(٣) علم سواها: كان العلامة محمد مكي بن عزوز عارفاً بعلم الفلك، وله فيه مؤلف مطبوع، إضافة إلى رسوخه في علوم الشريعة، وعلوم اللغة العربية.

(٤) الثقاف: آلة من خشب تسوى بها الرماح. النبراس: المصباح، ويجمع على نباريس.

(٥) ألقى عصاه: بلغ موضعه، وأقام واطمأن وترك الأسفار، وكانت رحلته إلى الآستانة سنة ١٣١٨هـ.

(٦) المغنى: المنزل.

عَـــرَّجَ النَّـــاعي عَلـــى أَنْدِيَـــةٍ   كُنْـتَ إنْ وافَيْتَهـا قُطْـبَ رَحاهـا[١]

ودَرَتْ «دارُ الْفُنــونِ» النَّعْــيَ مِــنْ   صُبْحِها الطَّالِعِ فـي لَـوْنِ دُجاهـا[٢]

طِـبْ مُقامـاً «يـا بْـنَ عَـزُّوزٍ» فَقَـدْ   كُنْـتَ تُعْطـي دَعْـوَةَ الحَـقِّ مُناهـا

دقاقة الأعناق

«قالها في مصر بمناسبة بلوغه الستين».

قَضَيْتَ سِتِّيْنَ عاماً في الحَياةِ وَهَـلْ   قَضَّيْتَ يَـوْمَيْنِ مِنْهـا فـي رِضـا اللهِ

فَـلا يَغُرَّنْـكَ أَقْـلامٌ وأَلْـسِنَةٌ   تَقـولُ إنَّـكَ ذو عِلْـمٍ وذو جـاهِ

ومـا أُبَـرِّىءُ نَفْـسي والهَـوى يَقِـظٌ   بَـيْنَ الجَـوانِحِ وَهْـوَ الآمِـرُ النَّـاهي

وافَتْـكَ دَقّاقَـةُ الأَعْنـاقِ مُنْـذِرَةً   فَأَرْعِهـا بانْتِبـاهٍ سَـمْعَ أَوَّاهِ[٣]

سِواكَ جاوَزَهـا فـي صَبْوَةٍ فَهَـوى   في حَمْأَةٍ مِنْ حَياةِ السَّادِرِ اللاَّهي[٤]

فَانْهَضْ إذا ما لَمَحْتَ الخَيْرَ في عَمَلٍ   وخَـلِّ «سَـوْفَ» لِعَـزْمٍ خامِـلٍ واهِ

إلى الحاكم المسلم

رُزِقْـتَ جاهـاً فَخَـلِّ العِـزَّ يَحْميـهِ   والْعِـزُّ حِـصْنٌ وتَقْـوى اللهِ تَبْنيـهِ

---

(١) قطب الرحى: سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم.

(٢) دار الفنون: معهد أنشأته الحكومة العثمانية بالآستانة يدرس فيه علوم الدين والعربية، وكان العلامة ابن عزوز مدرس علم الحديث في المعهد.

(٣) دقاقة الأعناق: هي العشر السنين ما بين الستين والسبعين من عمر الإنسان، وهكذا يسميها العرب. الأواه: الموقن، أو الدّعاءِ أو الرحيم الرقيق.

(٤) الصبوة: جهلة الفتوة. الحمأة: الطين الأسود المنتن. السادر: الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع.

قُلِّدْتَ حُكْماً ومِنْهاجُ السِّياسَةِ أَنْ … تَرْعى الشَّريعَةَ فيما أَنْتَ قاضيهِ

أَنْتَ الهُمامُ الَّذي يَقْضي اللَّيالِيَ في … صَحْوٍ مِنَ الحَزْمِ لا في سَكْرَةِ التِّيهِ[١]

وَلَسْتَ أَنْتَ كَزَيْدٍ إنْ يُصِبْ هَدَفاً … أَوْ لا يُصِبْ، قَلَّ لاحِيهِ ومُطْريهِ[٢]

بَلْ أَنْتَ كالبَدْرِ يَدْري النَّاسُ قاطِبَةً … لَوْ حادَ طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنْ مَعاليهِ

يَجْتابُ سيرَتَكَ النُّقادُ في مَلإٍ … أَو في طُروسٍ بِلَوْمٍ أَوْ بِتَنْبيهِ[٣]

والشَّعْبُ كالدَّوْحِ يَسْتَمْري الْغَيُورُ لَهُ … أَخْلافَ مُزْنَةِ عِرْفانٍ فَيُحْييهِ[٤]

ولا فَلاحٌ إذا ما قَيَّدَتْهُ يَدٌ … عَنِ النُّهوضِ إلى أَقْصى أمانيهِ

ومَنْ يُذِقْهُ رَحيقَ الأَمْنِ يَرْعَ لَهُ … حُسْنَ الوَلاءِ وبالأَرْواحِ يَفْديهِ

وما الوَلاءُ سِوى مُهْرٍ لِهِمَّةِ مَنْ … يَرى سَماءَ الهُدى أَعْلى مَراقيهِ

فَإنْ تَضَعْ لَبِناتٍ في بِناءِ عُلاً … تَنافَسَ الْقَوْمُ في إنْجازِ باقيهِ

وإنْ نَهَضْتَ لِخَصْمٍ يَوْمَ مَلْحَمَةٍ … كانوا الأَسِنَّةَ طَعْناً في تَراقِيهِ[٥]

حُلَى السِّياسة حِلْمٌ إذْ يَزِلُّ فَتًى … لا يَعْرِفُ النَّاسُ شَرّاً في مَساعيهِ

---

(١) الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع. التيه: الصلف والكبر، الضلال.

(٢) اللاحي: اللائم. المطري: المادح، والذي يثني على الناس.

(٣) يجتاب: يقطع ويخرق.

(٤) يستمري: يستدر. أخلاف: جمع خِلْف: حلمة ضرع الناقة. المزنة: القطعة من السحاب به ماء.

(٥) الملحمة: الوقعة العظيمة القتل في الفتنة. التراقي: جمع الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين.

وإنْ تبــارى وُلاةٌ فالفَخــارُ لِمَــنْ يَــسوسُ حُــرّاً بإصْــلاحٍ وتَوْجيــهِ

وللــرَّئيسِ عُيــونٌ مِــنْ بطانَتِــهِ تَفْري الظَّلامَ وتُوري ما انْطَوى فيهِ[١]

أَوْفى البـِطانَةِ عَهْداً مَنْ يُبَلِّـغُ ما دَراهُ مِــنْ غَيْــرِ تَزْويــرٍ وتَمْويــهِ

والْعَبْقَرِيَّــةُ والــشُّورى إذا التَقَتــا عَلى بِـساطِكَ قَـرَّتْ عَـيْنُ رائيـهِ[٢]

يَـسْتَطْلِعُ المُسْتَـشيرُ الـرَّأْيَ يَرْدُفُـهُ صَــفاءُ أَفْئِـدَةٍ كانَـتْ تُجافيـهِ[٣]

تَـسودُ بـالحُكْمِ أَحْقابـاً وذلِـكَ مـا أَعْنـي إذا قُلْـتُ: لَيْـتَ اللهَ يُبْقيـهِ

والخُلْدُ لِلصِّيتِ والرَّأْيِ الَّذي ازْدَهَرَتْ بِهِ الـصَّحائِفُ واسْـتَدَّتْ مَراميـهِ[٤]

الكرمة

مِـنْ بَـديعِ الْكَـوْنِ أَيْـدٍ غَرَسَـتْ دَوْحَــةً فــي تُرْبَــةٍ طــابَ ثَراهــا

تَتَحَــسَّى لَــبَنَ الْمُــزْنِ إلــى أَنْ تَجَلَّتْ كَعَـروسٍ فـي حُلاهـا[٥]

تُرْسِــلُ الْعُنْقــودَ مــا أَشْــبَهَهُ بِالثُّرَيَّـا وَهْـيَ تُزْهـى فـي دُجاهـا

يَرْشُـفُ الْبـائِسُ فـي الْقَـوْمِ كَمـا يَرْشُفُ المُتْرَفُ مِنْ شَـهْدٍ لَماهـا[٦]

هَـلْ رَعـى الإنْـسانُ عَهْـدَ اللهِ فـي دَوْحَــةٍ تُطْعِمُــهُ حُلْــوَ جَناهــا

---

(١) تفري: فرى الشيء فرياً: قطعه وشقه.

(٢) قرت العين: بردت سروراً، وانقطع بكاؤها، أو رأت ما كانت متشوقة إليه.

(٣) يردف: يتبع.

(٤) الصيت: الذكر الحسن ينتشر بين الناس. استدت: انتظمت واستقامت.

(٥) تتحسى: تشرب شيئاً بعد شيء. المزن: السحاب ذو المطر.

(٦) اللمى: سمرة في باطن الشفة، أو شربة سواد فيها، وذلك مما يستحسن.

قَلَـبَ الْعَـذْبَ إلـى مُـرٍّ وَكَـمْ   قَلَـبَ الخَيْـرَ إلـى شَـرٍّ فَتاهـا[١]
حَـبَسَ الخَمْـرَةَ حَتّـى عَجَـزَتْ   وَاسْـتَبانَ الْغَـوْلُ فيهـا وتَنـاهى[٢]
مَـلأَ الإبْريـقَ والكَـأْسَ ومـا   صَـبَّ فـي أَحْـشائِهِ إلاَ عَتاهـا[٣]
فَهْـوَ سَـكْرانٌ فَـلا تَـسْمَعُ فـي   نُطْقِـهِ إلاَّ هُـذاءً وسِـفاها[٤]

في مصنع الزجاج

«قيلت في دمشق سنة ١٣٣٢هـ».

إنَّ هـذا الزُّجـاجَ يُـصْنَعُ كَأْسـاً   لِيَبيـتَ الحَلـيمُ مِنَّـا سَـفيها
ويَـصوغُ الـدَّواةَ مِـنْ بَعْـدِ كَـأْسٍ   لِيَـصيرَ الجَهـولُ حَبْـراً نَبيهـا[٥]
فَهْـوَ كالفَيْلَـسوفِ يَنْفُـثُ غَيّـاً   ثُـمَّ يَـأْتي بِمـا يَـرُوقُ الْفَقيهـا[٦]

إفحام العَذول

قالَ العَذولُ، وقَدْ مَحَضْتُ مَـوَدَّتي   مَنْ يَزْدَهي في نَخْوَةٍ وأَلِفْتُ قُرْبَهُ[٧]:
أَتُحِبُّـهُ وَقَـدِ ازْدَهـاهُ تَعَظُّـمٌ؟   فَأَجَبْتُـهُ: لَـوْلا الـتَّعَظُّمُ لَـمْ أُحِبَّـهْ

---

(١) تاه: صلف وتكبر وضلّ.

(٢) عجزت: صارت عجوزاً، والعجوز: الخمر. الغول: السكر.

(٣) العتاه: نقص العقل.

(٤) الهذاء: التكلم بغير معقول لمرض أو غيره. السفاه: الجهل.

(٥) الحبر: العالم الصالح.

(٦) ينفث: يرمي من فيه. الغي: الضلال والانهماك في الجهل.

(٧) العذول: الكثير اللوم. محضت: أخلصت.

كفى المرء نبلاً

«تشطير بيت اقترحه عليه أحد الأدباء في تونس».

«فَمَنْ ذا الَّذي تُرْضى سَجَاياهُ كُلُّها» فَلَمْ يَلْقَهُ بِالعَذْلِ يَوْماً مُراقِبُهْ[1]
فَقُلْ لِلَّذي يُحْصي عُيوبَ ذَوي الْعُلا: «كَفى المَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعايِبُهْ»

ويحها من ساعة

كُنْتَ تَخْشى اللهَ في السِّرِّ فَما لَكَ تَرْعى حَوْلَ نارٍ مُحْرِقَهْ[2]
أَخَلا الْقَلْبُ مِنَ التَّقْوى وَقَدْ كانَ بِالتَّقْوى كَشَمْسٍ مُشْرِقَهْ
لا يَغُرَّنَّكَ عَيْشٌ رَغِدٌ وَزُهورٌ في الرُّبى مُتَّسِقَهْ
ومُنىً يُسْعِدُها الجاهُ فَلا تَجِدُ الأَبْوابَ يَوْماً مُغْلَقَهْ
لا يَغُرَّنْكَ مَديحٌ رائِقٌ تَتَعاطاهُ شِفاهٌ لَبِقَهْ[3]
رُبَّ صيتٍ سارَ في النَّاسِ وَما هُوَ إلاَّ كَلِمٌ مُخْتَلَقَهْ[4]
يُمْهِلُ اللهُ نُفوساً طالَما قَذَفَ الجَهْلُ بِها في موبِقَهْ[5]
وَيْحَها مِنْ ساعَةٍ لَوْ سَأَلَتْ عِنْدَها الأَمْنَ لَعادَتْ مُخْفِقَهْ[6]

---

(١) السجايا: جمع السجية: الخلق والطبيعة.

(٢) ترعى: تسرح وتأكل.

(٣) اللبقة: اللينة، اللطيفة الظريفة.

(٤) الصيت: الذكر الحسن الذي ينتشر في الناس. الكلم: الكلمات.

(٥) الموبقة: المهلكة.

(٦) ويح: كلمة ترحم وتوجع.

أَفْلَحَــتْ نَفْــسٌ تُنــاجي رَبَّهــا ... وَهْــيَ مِــنْ أَسْــرِ هَواهَــا مُطْلَقَــهْ

تقدير الأدب والألمعية

أُحِبُّــكَ حُــبَّ الأَديــبِ الَّــذي ... صَــفا ذَوْقُــهُ وتَــسامى حِجــاهُ[(١)]

وكَــمْ تــاقَ سَــمْعي إلــى سَــمَرٍ ... لَذيــذٍ فَيَلْقــى لَــدَيْكَ مُنــاهُ[(٢)]

وإنْ تَطْــوِ عَنَّــا حَــديثَكَ لَــمْ ... نَجِـدْ نَـشْوَةَ الأُنْـسِ فيمـا سِـواهْ

مرقاة العلا

نَبَتَــتْ نَفْــسُكَ فــي وادي هُــدًى ... وشَفَتْ مِنْ مَنْهَلِ الْعِلْـمِ صَـداها[(٣)]

واكْتَــسَتْ بالحَمْــدِ أَسْــنى حُلَــلٍ ... أَوْرَثَتْها فـي الـوَرى عِـزّاً وَجاهـا[(٤)]

تِلْــكَ مِرْقــاةُ العُــلا والــنَّفْسُ إنْ ... أَحْرَزَتْهــا بَلَغَــتْ أَقْــصى مُناهــا[(٥)]

أَتَراهــــا أَمِنَـــــتْ عاصِـــــفَةً ... مِنْ هَوًى تُطْفِـئُ بالعَـصْفِ سَـناها

يَــصْرِفُ اللهُ الهــوى عَــنْ أَنْفُــسٍ ... جَعَلَــتْ طاعَتَــهُ قُطْــبَ رَحاهــا[(٦)]

القلب كالرّحى

لا تُخْلِ نَفْسَكَ مِنْ فِكْـرٍ تَجـولُ بِـهِ ... في الصَّالِحاتِ فَحَبْسُ الْفِكْرِ يُـضْنيها

---

(١) الحجا: العقل والفطنة.

(٢) تاق: اشتاق.

(٣) المنهل: المورد. الصدى: العطش الشديد.

(٤) الورى: الخلق.

(٥) المرقاة: الدرجة.

(٦) قطب الرحى: أي: السيد الذي يدور عليه الأمر.

3444

والْقَلْبُ إنْ لَمْ يَدُرْ يَوْماً عَلى رَشَـدِ   دارَتْ عَلَيْـهِ هُمـومٌ عَـزَّ راقيهـا[1]

مِثْلُ الرَّحى إنْ تُدِرْها وَهْـيَ خاوِيَـةٌ   مِنَ الطَّعـامِ فَـإنَّ الطَّحْـنَ يُرْديهـا[2]

❐ ❐ ❐

(١) الرَّشد: الهداية. الراقي: من يصنع الرقية.

(٢) الرَّحى: الطاحون.



قافية الواو

هي فطرة

«قيلت محاورة لمن أطلق في تفضيل عهد المشيب على عهد الشبيبة».

سَــمَّيْتَ يــا هَــذا الــشَّبيـ ــبةَ سَـكْرَةً والـشَّيْبَ صَـحْوَا

وَأَتَيْــتَ فــي التَّمْثيــلِ بِــدْ عــاً وَهْــوَ لِلأُدَبــاءِ سَــلْوى[1]

أَمَّــا أَنــا فَرَأَيْــتُ فــي بَعْــضِ الــشَّبابِ عُــلاً وَتَقْــوى

وَرَأَيْــتُ رَأْيَ الحَــقِّ فــي بَعْــضِ الــشُّيوخِ هَــوًى وَلَهْــوا

نفْــسانِ: تَحْمِــلُ هَــذِهِ كَــدَراً، وتَحْمِــلُ تِلْــكَ صَــفْوا

هِــيَ فِطْــرَةٌ بِيَــدَيْكَ فَاصْـ ـبُغْها كَمــا تَبْغــي وتَهْــوى[2]

تَزْكــو إذا انْــسَجَمَتْ بِهــا مِــنْ مُزْنَــةِ الْعِرْفــانِ جَــدْوى[3]

وتَحــورُ أَنَّــى ساوَرَتْــ ـها مِنْ جَليسِ السَّوْءِ نَجْوى[4]

---

(١) البِدْع: المبتدع. السلوى: كل ما سلاّك.

(٢) الفطرة: الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته.

(٣) المزنة: القطعة من السحاب به ماء. الجدوى: المطر العام، أو الذي لا يعرف أقصاه.

(٤) تحور: تنقص. ساور: واثب. النجوى: السر.



قافية الياء

لوعة الفراق

قِفْ بِنا يا حادِيَ الرَّكْبِ مَلِيَّا ... فَالصَّبا أَهْدَتْ لَنا أَطْيَبَ رَيّا[1]

قِفْ مَلِيّاً هُوَ ذا الرَّبْعُ الَّذي ... كُنْتُ قَدْ أَوْدَعْتُهُ قَلْباً شَجِيّاً[2]

لَسْتُ أَدْري أَرَعَوْا بَعْدَ النَّوى ... عَهْدَنا أَمْ أَحْدَثوا في الْعَهْدِ شَيّا

قِفْ عَسى أَنْ أَجْنِيَ الأُنْسَ الَّذي ... كُنْتُ أَجْنيهِ غُدُوّاً وعَشِيّا

حَسْبُنا في الْعَيْشِ أَنّا لا نَرى ... بَيْنَنا قَلْباً مِنَ الْوُدِّ خَلِيّا

وأحاديثُ هِيَ الرّاحُ الَّتي ... مَجَّها في الدَّنِّ عُنْقودُ الثُّرَيّا[3]

رَوَّعَ الْبَيْنُ فُؤاداً لا يُرى ... فَزِعاً يَوْمَ يُلاقي الْمَشْرَفِيّا[4]

وبَدا الصُّبْحُ عَبوساً بَعْدَما ... كُنْتُ أَلْقى لَيْلَهُمْ طَلْقَ الْمُحَيّا[5]

---

(١) المليّ: الساعة الطويلة من النهار. الريّا: الريح الطيبة.

(٢) الشجي: الحزين.

(٣) الراح: الخمر. مجّ الشراب: رمى به من فيه. الدن: الوعاء.

(٤) البين: الفرقة. المشرفي: السيف.

(٥) المحيا: جماعة الوجه.

قِيلَ لـي الطَّيْـفُ أَنـيسٌ، قُلْـتُ مـا ... تَـرَكَ الوَجْـدُ كَـرًى فـي مُقْلَتَيّـا[١]

عَلِمـوا التِّمْثـالَ يُـذْكي فـي الحَشا ... لَوْعَــةَ الــشَّوْقِ فَأَهْــدَوْهُ إلَيَّــا

لَـيْسَ لـي مِـنْ سَـلْوَةٍ عَـنْهُمْ وَلَـوْ ... بِـتُّ طُـولَ اللَّيْـلِ لِلْبَـدْرِ نَجِيّـا[٢]

رثاء المرحوم تيمور باشا[٣]

أَهَذا الدُّجى والصُّبْحُ ما زالَ خافِيـا ... أَمِ الصُّبْحُ وافى حائِلَ اللَّوْنِ داجِيـا[٤]

أُقَلِّبُ وَجْهي فـي الحَيـاةِ فَـلا أَرى ... لَذيذاً وكانَ الْعَـيْشُ بـالأَمْسِ زاهِيـا

حَمامَـةَ وادي النِّيـلِ راعَ حُـشاشَتي ... هُتافُـكِ إذْ أَرْسَـلْتِهِ الْيَـوْمَ شـاجِيا

سَقى دَوْحَكِ الوَسْمِيُّ وَهْناً فَما لَنـا ... نَـرى غُـصْنَهُ الْمَيَّـادَ أَغْبَـرَ ذاوِيـا[٥]

لَحى اللهُ صَوْتَ الهَـاتِفِ الْيَـوْمَ إنَّـهُ ... نُعابُ غُرابٍ يَقْرَعُ الـسَّمْعَ جافِيـا[٦]

أَصــاخَ لَـهُ صَـحْبي فَأَنْبَـأَ بـالَّتي ... تَشُبُّ الأَسى بَيْنَ الجَوانِحِ طاغِيـا[٧]

نَعى عَبْقَرِيَّ الشَّرْقِ تَيْمورَ فاغْتَـدى ... لِمَنْعاهُ قَلْبُ الـشَّرْقِ كـالقَرْحِ دامِيـا

---

(١) الوجد: المحبة. الكرى: النعاس.

(٢) النجي: من تساره.

(٣) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد الثاني.

(٤) الدجى: الظلمة.

(٥) الوسمي: مطر الربيع الأول، سمي به؛ لأنه يسم الأرض بالنبات. الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

(٦) الهاتف: آلة الهاتف المعروفة، وقد بلغ الشاعر نبأ الوفاة بواسطته.

(٧) أصاخ: استمع وأصغى. تشب: توقد.

حَنانَيْكَ عَزَّ الْعِلْمَ والمَجْدَ والهُـدى ... فَقَدْ كـانَ عَلاَّمـاً مَجيـداً وَهادِيـا[١]

تَرَحَّـــلَ بـــالتَّقْوى وأَبْقـــى وَراءَهُ ... ثَنـاءً كَـنَفْحِ المِـسْكِ يَـسْطَعُ ذاكِيـا

رَعى اللهُ قَبراً، بَلْ رَعَى اللهُ رَوْضَـةً ... تبوَّأهــا مَــنْ كــانَ لِلْعَهْــدِ راعِيــا

لماذا يبكي الطفل ساعة ولادته؟

«قالها الشاعر في الآستانة».

كَـمْ لَيـالٍ مَـضَتْ وَلَـمْ تَـكُ شَـيّا ... فَلِما صِرْتَ نـامِيَ الجِـسْمِ حَيّـا؟[٢]

كُنْـتَ فـي ظُلْمَـةٍ فَوافَيْـتَ نـوراً ... تَـــتَمَلاَّهُ بُكْـــرَةً وَعَـــشِيّا[٣]

أَكْرَمَــتْ نُزْلَــكَ الحَيــاةُ وَأَبْــدَتْ ... لَـكَ يَـوْمَ الـوِلادِ وَجْهـاً سَـنيّا[٤]

فَعَـــلامَ اسْـــتَقْبَلْتَها بِنَحيـــبٍ؟ ... إنَّ فـي ذا النَّجيـبِ سِـرّاً خَفِيّـا[٥]

مَنْ يُلاقـي الْبَشْيرَ فـي هَـذِه الـدَّارِ ... فَـــسَرْعانَ مـــا يُلاقـــي النَّعِيّـــا[٦]

كَيْفَ يَصْفو عَيْشُ الأريبِ وَقَدْ جا ... وَرَ قَوْمـاً ضَـلُّوا الـصِّراطَ الـسَّوِيَّا

والهـوى كـالغُرابِ إنْ أَلِـفَ النَّفْـ ... ـسَ رَأَيْـتَ النَّعـيمَ مِنْهـا قَـصِيّا

---

(١) حنانيك: تحنن عليَّ مرة بعد أخرى.

(٢) فلما صرت: يريد: فلم صرت؟ إذ المقام للاستفهام، وقد جاء إثبات ألف «ما» في مثل هذا في الشعر.

(٣) تتملاه: تتمتع به. يقال: تملّى فلان عمره: استمتع به.

(٤) النُّزْل: ما هيئ للضيف أن ينزل عليه؛ أي: رزقه وقراه.

(٥) النحيب: رفع الصوت بالبكاء.

(٦) البشير: المبشر. النعي: الناعي الذي يأتي بخبر الموت.

فَاصْرِفِ النَّفْسَ عَـنْ هَواهـا إذا مـا رُمْـتَ عَيْـشاً مِـنَ الهُمـومِ نَقِيّـا

بطل الريف

«قالها بعد عودتـه من مقابلة بطـل الريف الأميـر محمد عبد الكريم الخطابي[١] على ظهر الباخرة بميناء السويس في منتصف ليلة السبت ١١ رجب سنة ١٣٦٦هـ».

قُلْـتُ لِلـشَّرْقِ وَقَـدْ قـامَ عَلـى قَـدَمٍ يَعْـرِضُ أَرْبـابَ الْمَزايـا:

أَرِنـي طَلْعَـةَ شَـهْمٍ يَنْتَـضي سَيْفَهُ الْعَضْبَ ولا يَخْشى المَنايا[٢]

أَرِنيهـا، إنَّنـي مِـنْ أُمَّـةٍ تَرْكَـبُ الْهَـوْلَ ولا تَرْضـى الـدَّنايا

فَـأَراني بَطَـلَ الرِّيـفِ الَّـذي دَحَـرَ الأَعْـداءَ فارْتَـدُّوا خَزايـا[٣]

غَـضْبَةٌ حَـرّاءُ هَزَّتْـهُ لأَنْ يُنْقِذَ المَغْرِبَ مِـنْ أَيْـدي الرَّزايا[٤]

شَـبَّ حَرْبـاً لَـوْ شَـدَدْنا أَزْرَهـا لأَصـابَتْ كُـلَّ بـاغٍ بِـشَظايا[٥]

---

(١) زعيم قبائل الريف بالمغرب (١٨٨٢ ـ ١٩٦٣م) شن حرباً دامية ضد الأسبان من أجل التحرير، نفاه الفرنسيون إلى إحدى جزر المحيط، واستطاع الفرار من سجانيه الفرنسيين عام ١٩٤٧م بينما كان يمر بقناة السويس في طريقه إلى منفى جديد بفرنسا، وكان الشاعر أول من استقبله في بورسعيد، وتوفي بالقاهرة.

(٢) العضب: السيف القاطع.

(٣) دحر: طرد وأبعد. الخزايا: جمع خزيان، يقال: خزي منه: استحى منه.

(٤) حراء: ساخنة. الرزايا: جمع الرزيئة: المصيبة، ويقال: الرزية ـ بالإدغام ـ.

(٥) الأزر: القوة، الظهر.

أنت صدر أينما كنت

شَرَفٌ كالشَّمْسِ في رَأْدِ الضُّحى وثَناءٌ كَشَذا المِسْكِ الذَّكِيِّ[١]

غايَةٌ مِضْمارُها الغَوْصُ عَلى دُرَرِ العِلْمِ بِفِكْرِ الأَلْمَعِيِّ[٢]

فاطْلُبِ الحِكْمَةَ ما عِشْتَ وَدَعْ زُخْرُفَ الدُّنْيا لِغُمْرٍ أَوْ غَبِيٍّ[٣]

لا تَضِقْ صَدْراً إذا لاقاكَ مِنْ مَجْلِسِ القَوْمِ جَفاءُ الجاهِلِيِّ

أَنْتَ صَدْرٌ أَيْنَما كُنْتَ وإنْ جَلَسَ الأَذْنابُ في صَدْرِ النَّدِيِّ[٤]

الألمعيّ

دَعَوْكَ الأَلْمَعِيَّ فَقُلْتُ خَلُّوا لِطُلاَّبِ العُلا اسْمَ الأَلْمَعِيِّ[٥]

وَأَمَّا مَنْ يَبِيعُ عُلاً بِلَهْوٍ فَما في ثَوْبِهِ غَيْرُ الغَبِيِّ

أسرب القطا

أَسِرْبَ القَطا والبَيْنُ أَقْصى مَغانِيا تَمَلَّيْتَ أُنْساً في رُباها لَيالِيا[٦]

---

(١) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في الخمس الأول، وذلك شباب النهار.

(٢) المضمار: الموضع.

(٣) الغُمْر: من لم يجرب الأمور، الجاهل الأبله، جمع أغمار.

(٤) الندي: مجلس القوم ومتحدثهم.

(٥) الألمعي: الذكي المتوقد.

(٦) السرب: الجماعة من النساء والبقر والقطا. القطا: جمع القطاة: طائر في حجم الحمام، صوته قطا.. قطا. المغاني: جمع المغنى: المنزل.

أَحِنُّ إلى المَغْنى الأَنيسِ وأَيْنُقي ... تَجوبُ لِمَلْقاهُ الْقُرى والْفَيافِيا[1]

أَعِرْني جَناحاً فالمَسالِكُ وَعْرَةٌ ... وَأَخفافُ تلْكَ الْعِيسِ أَمْسَتْ دَوامِيا[2]

أَعِرْني جَناحاً كَيْ أُلِمَّ بِجيرةٍ ... وشَمْسٍ تَهادى في السَّماءِ كما هِيا

فَقالَ: أَعِشْتَ الدَّهْرَ في رأسِ شاهِقٍ ... وَما زِلْتَ عَنْ مَجْلَى الحَضارَةِ نائِيا![3]

مِنَ الإِنسِ أَسْرابٌ تَطيرُ كأَنَّها ... بُروقٌ إذا مَرَّتْ تَشُقُّ الدَّياجِيا

فَكُنْ طائِراً لا يَسْتَعيرُ قَوادِماً ... - إذا رامَ مَغْنىً قاصِياً - أَوْ خَوافِيا[4]

العُمر وعاء

عَهِدْتُكَ في الثَّقافَةِ عَبْقَرِيّا ... وَرَأْيُكَ يَكْشِفُ الأَمَدَ الْقَصِيّا[5]

ونَفْسُكَ لا تُطيعُ هَوًى إذا ما ... غَزا الأَهْواءُ قَلْباً سَمْهَرِيّا[6]

---

(١) الأينق: جمع الناقة: الأنثى من الإبل. الفيافي: جمع الفيفي والفيفاء والفيفاة: المكان المستوي، وقيل: المفازة لا ماء فيها.

(٢) الأخفاف: جمع الخف: وهو للبعير والنعام بمنزلة الحافر لغيرها. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، ويقال هي كرام الإبل، الواحد أعيس، والواحدة عيساء.

(٣) المجلى: مقدمة الرأس.

(٤) القوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش، الواحدة قادمة. الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت، وقيل: هي الأربع اللواتي بعد المناكب.

(٥) الأمد: الغاية والمنتهى. القصي: البعيد.

(٦) السمهري: الرمح الصلب.

عَــلامَ صَــمَدْتَ فــي وادٍ تلاقــي ... عَلــى جَنبَاتِــهِ لَغْــواً وَغَيّــا[1]

وآذانــاً تَــصامَمُ عَــنْ رَشــادٍ ... إذا هَــزَّ الطُّغــاةُ الْمَــشْرَفِيّا[2]

فَمَهْما اسْطَعْتَ مِـنْ مَرْمًـى فَعَـرِّجْ ... عَلَيْـهِ ولا تَنـي مـا دُمْـتَ حَيّـا[3]

فَعُمْـرُ المَــرْءِ فــي الــدُّنْيا وِعــاءٌ ... عَزيــزٌ حــينَ يَمْلَــؤهُ حُلِيّــا

ومـا حُلْـيُ الحَيـاةِ سِـوى صُـنوفٍ ... مِنَ الحُسْنى حَلَتْ في العَيْنِ رِيّـا[4]

❒ ❒ ❒

---

(١) اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره. الغي: الضلال والانهماك في الجهل.

(٢) المشرفي: السيف.

(٣) تني: تضعف وتفتر وتكل.

(٤) الحسنى: العاقبة الحسنة، النظر إلى الله ﷻ الرِيّ: المنظر الحسن.

فهرس الموضوعات

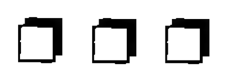
الموضوع	الصفحة

3457

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





الفهرس العام للموسوعة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

ديوان

خواطر الحياة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- رضيت عن اغترابي	3422
- عذاب الصامتين	3424
- أسمع جعجعة ولا أرى طِحناً	3424
- كلانا ناظر ورداً	3425
- أحمد الظعن	3425
- الزيارة دعامة الصداقة	3425
- ننجي الوطنا	3426
- خانها الحراس	3427
- على طريقة حديث عنقاء	3427
- الدعاء للميت خير من تأبينه	3428
- من برلين إلى دمشق	3429
- على النيل	3432
- أزمير	3432
* قافية الهاء	3433
- تحية دمشق سنة ١٣٥٦هـ	3433
- سرق الغمام	3435
- هاهنا شمس علوم	3435
- دقاقة الأعناق	3438
- إلى الحاكم المسلم	3438
- الكرمة	3440
- في مصنع الزجاج	3441
- إفحام العذول	3441

الموضوع	الصفحة

